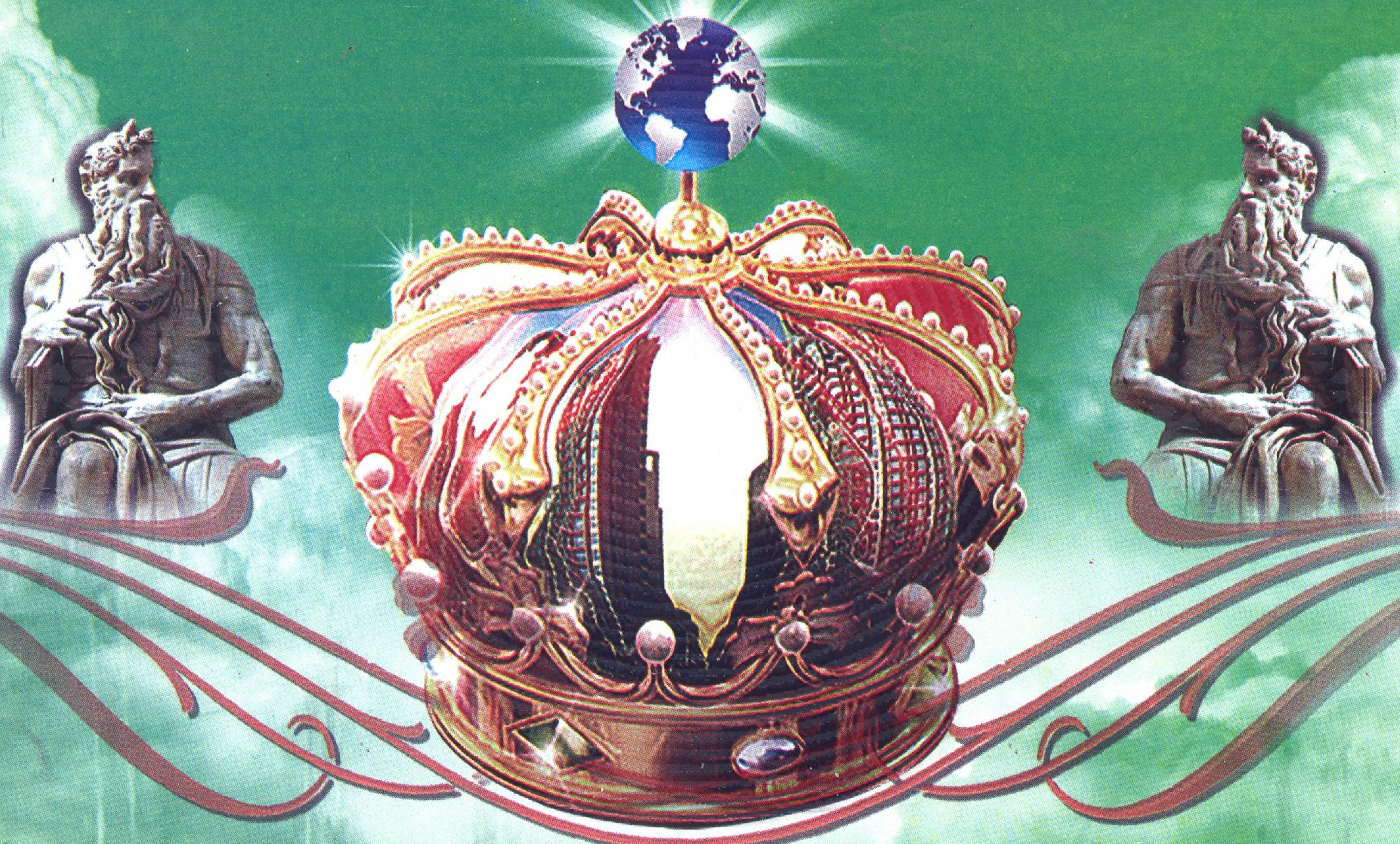
A.M.

ملوك الدنيا الأربعة 4

504



ذُو الْقَرْنَيْن

المَلِكُ العَادِلُ الَّذِي طَافَ بالأَرضِ

منصور عبد الحكيم

1980
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

Friday
6/4/2018

أحمد خالد توفيق



ذو القرنين



منصور عبد الحكيم

ذو القرنين شخصية حيرت المؤرخين قديما وحديثا فهوأحد الملوك الذين حكموا الأرض وجاء ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف.بوصفه ملكا عادلا مؤمنا موحدا لله.وفي هذا الكتاب يقوم المؤلف باستعراض شخصية هذا الملك العادل الذي أعطاه الله من الأسباب ومكن له في الأرض وملكها وطاف بها من المشرق إلى المغرب .

فتقرأ في هذا الكتاب ذكر ذي القرنين في القرآن والسنة النبوية والأحاديث الصحيحة والموضوعة والضعيفة وتقرأ عن أقوال أهل التفسير والتاريخ عنه. وتقرأ عن أقوال أهل الكلام القدامى عنه وعن اسمه وشخصيته وزمانه ولماذا لقب بذي القرنين.

وتقرأ عن شخصيته وماذا قال الكتاب والمحدّثون عنه وهل هو كما قال أبو الكلام أزاد إنه الملك كورشَ الكبير أو أنه الملك سليمان عليه السلام أو أنه الملك الفرعوني إخناتون .

وفي هذا الكتاب يكشف المؤلف شخصية ذي القرنين وأسمه على الأرجح وأنه ملك عربي من العصور القديمة وأنه عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام والأدلة على ذلك .

وتقرأ عن علاقة ذوالقرنين والملك الاسكندر الأكبر المقدوني وماهي الأسباب والتمكين التي أعطيت لذي القرنين حت ى استطاع أن يملك الأرض ويطوف بها .

وتقرأ عن رحلة ذي القرنين إلى الشرق ومطلع الشمس ثم رحلته إلى مغرب الشمس والعين الحمئة.

وهل دخل ذي القرنين عالم جوف الأرض الداخلي وموقع يأجوج ومأجوج والردم الذي بناه عليهم حتى منعهم من الإغارة على جيرانهم .

وتقرأ عن مكان قبر ذي القرنين بالجزيرة ال... عن رحلته إلى عين الحياة وعلاقته بالخضر عليه الس... إنه كتاب جدير بك عزيزي القارئ أن تقرأه ... لك الجديد من المعلومات عن هذا المل... ج القرآني للملك العادل على مر العصور .

groups darketab

twitter
darketab

نيل وفرات.كوم
للشراء عن طريق الموقع
www.nwf.com

مكتبة ن
nooonbooks
للشراء عن طريق الموقع

www.darketab.com darelkitab@yahoo.com

I.S.B.N. 978-977-376-828-5
3 140338 482950

1980
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

ذُو الْقَرْنَيْن

الْمَلِكُ الْعَادِلُ الَّذِي طَافَ بِالْأَرْضِ

النموذج القرآني للحاكم
العادل على مر التاريخ

منصور عبد الحكيم

دار الكتاب العربي
دمشق القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا
لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ
وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا
أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا
نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾
ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ
بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾
قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ
حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ
قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن
رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

[الكهف: 83-98]

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند له، يُؤتى الملك من يشاء من عباده وينزع الملك ممن يشاء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله خاتم الأنبياء والرسل صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

ثم أما بعد، ،

فهذا الكتاب عن الملك المؤمن ذي القرنين الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في سياق آيات سورة الكهف وقد طاف بالأرض شرقاً وغرباً وملك أطرافها، وقد ذكر عن سفيان الثوري وغيره أنه ملك الأرض كلها أربعة:

مؤمنان وكافران: سليمان النبي وذو القرنين، ونمرود وبخت نصر.[1] وكذلك قال ابن إسحاق: لم يملك الأرض إلا ثلاثة من الملوك: نمرود وذو القرنين وسليمان.[2]

وذكر القرطبي في تفسيره أنه سيملك من هذه الأمة خامس لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة : 33]. وقال القرطبي: هو المهدي.

فمن هو ذو القرنين؟

هذا ما سوف نستعرضه في هذا الكتاب حيث إن شخصية ذي القرنين ذات تفاصيل كثيرة هامة ومهمة فهو ملك عادل أعطاه الله من الأسباب ومكن له في الأرض حتى ملكها وأقام العدل فيها؛ وكان أمره عجباً وقد خلد المولى عز وجل ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف.

1- انظر البداية والنهاية لابن كثير.

2- انظر تاريخ الخميس في أحوال النفس والنفيس للشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري.

فرحلات ذي القرنين من الرحلات الشيقة وأفاض في ذكرها المؤرخون والكتاب قديماً وحديثاً وقد اختلفوا في تحديد شخصه فمنهم من قال إنه الإسكندر المقدوني أو كورش الكبير الملك الفارسي، أو أخناتون الفرعون المصري أو أحد أتباعه أو رجل صالح في عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام أو غيرهم، فالقرآن لم يذكر اسمه وإنما ذكر لقبه كما أنه لم يحدد زمانه فالعبرة والحكمة تؤخذ من سياق القصة قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: 83 - 84].

وهو - أي ذي القرنين - ليس شخصية أسطورية كما يظن البعض من الملحدين، وقد جاء ذكره أيضاً في العهد القديم في سفر عزرا على أنه الملك الفارسي كورش الكبير منقذ اليهود من الأسر البابلي دون ذكر لقبه.

وقد قابل ذو القرنين الكثير من الأقوام وتصدى لأقوام يأجوج ومأجوج حيث قام ببناء الردم عليهم لمنعهم من الإغارة على أهل الأرض ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: 93 - 95].

إنها قصة عظيمة سوف نستعرضها من كل جوانبها وكل ما قيل في تفسيرها لتكتمل الصورة أمامك عزيزي القارئ.

نسأل الله أن يوفقنا إلى إخراج هذا الكتاب على الوجه الذي يرضيه عنّا ويتقبله منّا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

منصور عبد الحكيم محمد عبدالجليل
mansor2455@yahoo.com

1

ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم والسنة النبوية

- ذكر ذي القرنين في سورة الكهف.
- أقوال المفسرين وأسباب نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾.
- الأحاديث النبوية التي ذكرت ذا القرنين.
- ذكر الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة في قصة ذي القرنين.

ذو القرنين في سورة الكهف

جاء ذكر ذي القرنين في أواخر سورة الكهف في ست عشرة آية من الآية 83 حتى الآية 98 قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الكهف: 83-98].

وقد اشتهر ذو القرنين بما فعله مع قوم يأجوج ومأجوج والردم الذي بناه عليهم ومنعهم من الاعتداء على جيرانهم كما ذكرت الآيات، وتبدأ الآيات بذكر الذين سألوا النبي ﷺ عن ذلك الملك الذي طاف بالأرض وأعطاه الله من الأسباب والتمكين، ولم يسموا له ذلك، ولكن الله أطلق عليه «ذا القرنين» ثم ذكر قصته مجملة دون ذكر زمانه أو اسمه ولعل يكون «ذو القرنين» هو اسم هذا الملك، فما الذي يمنع ذلك؟

لكن غالبية المفسرين والمؤرخين يؤكدون أن ذا القرنين لقب وليس اسماً، والآيات تحكي قصته وأنه بدأ التجوال بجيشه في الأرض، داعيا إلى الله فاتجه غربا، حتى وصل إلى عين حمئة كبيرة، ويقول القرآن إن ذا القرنين وجد الشمس تغرب فيها، رآها وكأنها تغرب في العين الحمئة.

والمقصود بالعين الحمئة هو الماء المائل للكدرة والعكارة وليس صافيا. وذلك حين بلغ الشاطيء الغربي لآسيا الصغرى ورأى الشمس تغرب في بحر قيل إنه بحر «إيجا» على سواحل تركيا الغربية شرقا واليونان غربا وهي كثيرة الجزر والخلجان وقيل بل هي العين الموجودة في متنزه يلوستون الوطني ويسميها بعض المسلمين الآن بـ عين ذي القرنين الحمئة فألهمه الله وأوحى إليه أنه مالك أمر القوم الذين يسكنون هذه الديار، فإما أن يعذبهم أو أن يحسن إليهم، وكل هذا على سطح الكرة الأرضية.

وأما عن أسباب نزول الآيات وذكر قصته هو سؤال يهود مكة النبي ﷺ سؤالاً غير مباشر حيث أشاروا على كفار مكة بأن يسألوا الرسول عن الروح وعن فتية فُقدوا وعن ذي القرنين فجاء الرد في سورة الكهف بدءاً من الآية 83 حتى الآية 98.

وبعد أن انتهى ذو القرنين من أمر الغرب، توجه للشرق. فوصل لمنطقة اختلف الناس فيها فقيل عنها إنها إما أن قد تكون وقت طلوع الشمس أو مكان شروق الشمس. وكانت أرضا مكشوفة لا أشجار فيها ولا مرتفعات تحجب الشمس عن أهلها. فحكم ذو القرنين في المشرق بنفس حكمه في المغرب، ثم انطلق؛ ليكمل مسيرته وطوافه في الأرض.

والآيات تشير بوضوح أن ذا القرنين كان ملكاً عادلاً صالحاً حتى ظن البعض أنه نبي، وفي هذا يقول صاحب ظلال القرآن الأستاذ/ سيد قطب:

ذو القرنين. النموذج الطيب للحاكم الصالح. يمكنه الله في الأرض، وييسر له الأسباب؛ فيجتاح الأرض شرقا وغربا؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادي، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان،

ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق؛ ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه.. إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل؛ ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق. ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله، ولا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله».

أسباب نزول قوله تعالى

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ..﴾ [الكهف: 83].

ذكر أصحاب التفاسير أن سبب نزول الآية هو سؤال اليهود ومشركي قريش النبي ﷺ عن رجل طاف الأرض ولم يذكروا اسمه أو لقبه فجاء الجواب من الله تعالى في تلك الآيات كما سألوه أيضاً عن أصحاب الكهف وغير ذلك:

قال أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي في أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83].

قال قتادة: إن اليهود سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين، فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

وقال ابن كثير في تفسيره للآية وسبب نزولها:

يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أي عن خبره، فقد بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب، يسألون منهم ما يمتحنون به النبي ﷺ، فقالوا: سلوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية ما يدرى ما صنعوا، وعن الروح، فنزلت سورة الكهف.

وجاء في سورة الكهف الرد على هذه الأسئلة الثلاثة:

وجاء في تفسير الجلالين: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر ولم يكن نبيا ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟﴾ سأقص ﴿عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ خبرا.

وجاء في تفسير ابن كثير عن سبب نزول الآيات: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أي خبره، بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحنون به النبي ﷺ فقال: سلوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية لا يدري ما صنعوا، وعن الروح، فنزلت سورة الكهف.

وجاء في تفسير الطبري:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ يقول تعالـى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه، وما كانت قصته، فقل لهم: سأتلو عليكم من خبره ذكرا يقول: سأقص عليكم منه خبرا. وقد قيل: إن الذين سألوا رسول الله ﷺ عن أمر ذي القرنين، كانوا قوما من أهل الكتاب.

فحدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة، قال: ثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن شيخين من نجيب، قال: أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث، قالا: فأتياه فقالا: جئنا لتحدثنا، فقال: كنت يوما أخدم رسول الله ﷺ، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ﷺ، فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه، فأخبرته، فقال: «ما لي وما لهم، ما لي علم إلا ما علمني الله»، ثم قال: «اسكب لي ماء»، فتوضأ ثم صلى، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه، ثم قال: «أدخلهم عليَّ، ومن رأيت من أصحابي» فدخلوا فقاموا بين يديه، فقال: «إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا، وإن شئتم أخبرتكم».

قالوا: بلى أخبرنا، قال: «جئتم تسألونني عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم: كان شابا من الروم، فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية؛ فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء.

فقال له ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي ومدائن، ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثم علا به فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض، قال: فهذا اليم محيط بالدنيا، إن

الله بعثني إليك تعلم الجاهل، وتثبت العالم، فأتى به السد، وهو جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم».[1] والله أعلم

1- الحديث لا يصح وسيأتي ذكره في الأحاديث الضعيفة والإسرائيليات.

أقوال أهل التفاسير والتاريخ في قصة ذي القرنين المذكورة في سورة الكهف

وقد ذكر أهل التفسير ذا القرنين في معرض تفسيرهم لآيات سورة الكهف فقالوا إنه ملك عادل قد بلغ ملكه المشارق والمغارب ومنهم من اعتقد أنه ملك نبي يوحَى إليه من الله لقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86].

ولبيان أمره نذكر بعضاً مما ذكره أهل التفاسير عنه:

1- **يقول ابن كثير رحمه الله عنه في تاريخه: «ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط، والصحيح أنه كان ملكاً من الملوك العادلين، وقيل: كان نبيًّا وقيل: رسولاً وأغرب من قال: ملكاً من الملائكة.**

وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فإنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين فقال: مه (اكفف) .. ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء، حتى تسميتم بأسماء الملائكة (ذكره السهيلي). (1)

وجاء في تفسير ابن كثير عن تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83]

1- ورواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة، انظر البداية والنهاية لابن كثير.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ [الكهف: 84]

وقد أورد ابن جرير هاهنا، والأموي في مغازيه، حديثا أسنده وهو ضعيف، عن عقبة بن عامر، أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء، فكان فيما أخبرهم به: «أنه كان شابا من الروم، وأنه بنى الإسكندرية، وأنه علا به ملك في السماء، وذهب به إلى السد، ورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب». وفيه طول ونكارة، ورفعه لا يصح، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل. والعجب أن أبا زرعة الرازي، مع جلالة قدره، ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة، وذلك غريب منه، وفيه من النكارة أنه من الروم، وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني ابن فيليبس المقدوني، الذي تؤرخ به الروم.

فأما الأول فقد ذكره الأزرقي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل، عليه السلام، أول ما بناه وآمن به واتبعه، وكان معه الخضر، عليه السلام، وأما الثاني فهو، إسكندر بن فيليبس المقدوني اليوناني، وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور، والله أعلم. وهو الذي تؤرخ به من مملكته ملة الروم. وقد كان قبل المسيح، عليه السلام، بنحو من ثلاثمائة سنة، فأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل، كما ذكره الأزرقي وغيره، وأنه طاف مع الخليل بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم، عليه السلام، وقرب إلى الله قربانا.[1]

وقال وهب بن منبه: كان ملكا، وإنما سمي ذا القرنين؛ لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، قال: وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين، وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل قال: سئل علي رضي الله عنه، عن ذي القرنين، فقال: كان عبدا ناصح الله فناصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فسمي ذا القرنين.

1- وهنا نشير إلى ذكر الأزرقي رحمه الله في تاريخه عن مكة المكرمة أن هناك ملكاً عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام يمسى ذا القرنين ويسمى الإسكندر الأول يختلف عن الإسكندر المقدوني وهذا هو الرأي الذي نراه صواباً مع اختلافٍ في كونه عاصر سيدنا إبراهيم أم لا.

وكذا رواه شعبة، عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل، سمع عليا يقول ذلك.

ويقال: إنه إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ المشارق والمغارب، من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب.

وقوله ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أعطيناه ملكا عظيماً متمكنا، فيه له من جميع ما يؤتى الملوك، من التمكين والجنود، وآلات الحرب والحصارات؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم، من العرب والعجم؛ ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي، وقتادة، والضحاك، وغيرهم: يعني علما.

وقال قتادة أيضا في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قال: منازل الأرض وأعلامها.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قال: تعليم الألسنة، كان لا يغزو قوما إلا كلمهم بلسانهم.

وقال ابن لهيعة: حدثني سالم بن غيلان، عن سعيد بن أبي هلال؛ أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقول: إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب: إن كنت قلت ذلك، فإن الله تعالى قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.

وهذا الذي أنكره معاوية، ﷺ، على كعب الأحبار هو الصواب، والحق مع معاوية في الإنكار؛ فإن معاوية كان يقول عن كعب: «إن كنا لنبلو عليه الكذب» يعني: فيما ينقله، لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحيفته، ولكن الشأن في صحيفته، أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله ورسول الله [ﷺ] إلى شيء منها بالكلية، فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض. وتأويل كعب قول الله: (﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ واستشهاده في ذلك على ما يجده في صحيفته من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق؛ فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك، ولا

إلى الترقي في أسباب السماوات. وقد قال الله في حق بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 23] أي: مما يؤتى مثلها من الملوك، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب، أي: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضي وكسر الأعداء، وكبت ملوك الأرض، وإذلال أهل الشرك. قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سببا، والله أعلم.

وفي «المختارة» للحافظ الضياء المقدسي، من طريق قتيبة، عن أبي عوانة عن سماك بن حرب، عن حبيب بن جماز قال: كنت عند علي، رضي الله عنه، وسأله رجل عن ذي القرنين: كيف بلغ المشارق والمغارب؟

فقال سبحان الله سخر له السحاب، وقدر له الأسباب، وبسط له اليد.(1)

2- قال القرطبي في تفسيره لسورة الكهف (الجامع لأحكام القرآن):

قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الكهف: 83-91].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ قال ابن إسحاق: وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتي ما لم يؤت غيره، فمُدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضا إلا سُلط على أهلها، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق.

قال ابن إسحاق: حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذي القرنين أن ذا القرنين كان من أهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام.

1- انظر تفسير ابن كثير لسورة الكهف.

قال ابن هشام: واسمه الإسكندر وهو الذي بنى الإسكندرية فنسبت إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي - وكان خالد رجلا قد أدرك الناس - أن رسول الله ﷺ سئل عن ذي القرنين فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب[1] وقال خالد: وسمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلا يقول يا ذا القرنين، فقال: (اللهم غُفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة) قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان؟ أقال رسول الله ﷺ ذلك أم لا؟ والحق ما قال.

قلت: وقد روي عن علي بن أبي طالب ﷺ مثل قول عمر؛ سمع رجلا يدعو آخر يا ذا القرنين، فقال علي: (أما كفاكم أن تسميتم بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة) وعنه أنه عبد ملِك (بكسر اللام) صالح نصح الله فأيده. وقيل: هو نبي مبعوث فتح الله - تعالى - على يديه الأرض. وذكر الدارقطني في كتاب الأخبار أن ملكا يقال له رباقيل كان ينزل على ذي القرنين، وذلك الملك هو الذي يطوي الأرض يوم القيامة، وينقضها فتقع أقدام الخلائق كلهم بالساهرة؛ فيما ذكر بعض أهل العلم.[2]

وقال السهيلي: وهذا مشاكل بتوكيله بذي القرنين الذي قطع الأرض مشارقها ومغاربها؛ كما أن قصة خالد بن سنان في تسخير النار له مشاكلة بحال الملك الموكل بها، وهو مالك ﷺ وعلى جميع الملائكة أجمعين. ذكر ابن أبي خيثمة في كتاب البدء له: خالد ابن سنان العبسي وذكر نبوته، وذكر أنه وكل به من الملائكة مالك خازن النار، وكان من أعلام نبوته أن نارا يقال لها نار الحدثان، كانت تخرج على الناس من مغارة فتأكل الناس ولا يستطيعون ردها، فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعدُ.

واختلف في اسم ذي القرنين وفي السبب الذي سمي به بذلك اختلافا كثيرا؛ فأما اسمه فقيل: هو الإسكندر الملك اليوناني المقدوني، وقد تشدد قافه فيقال: المقَّدوني. وقيل: اسمه هرمس. ويقال: اسمه هرديس. وقال ابن هشام: هو الصعب بن ذي يزن الحِمْيري من ولد وائل بن حمير؛ وقد تقدم قول ابن إسحاق.

1- حديث مرسل.

2- تفسير القرطبي.

وقال وهب بن منبه: هو رومي. وذكر الطبري حديثا عن النبي ﷺ أن ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث واهي السند؛ قاله ابن عطية. قال السهيلي: والظاهر من علم الأخبار أنهما اثنان: أحدهما: كان على عهد إبراهيم عليه السلام، ويقال: إنه الذي قضى لإبراهيم عليه السلام حين تحاكموا إليه في بئر السبع بالشام. والآخر: أنه كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام. وقيل: إنه أفريدون الذي قتل بيوراسب بن أروندااسب الملك الطاغي على عهد إبراهيم عليه السلام، أو قبله بزمان. وأما الاختلاف في السبب الذي سمي به، فقيل: إنه كان ذا ضفيرتين من شعر فسمي بهما؛ ذكره الثعلبي وغيره. والضفائر قرون الرأس؛ ومنه قول الشاعر:

فلثمت فاها آخذا بقرونها   شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقيل: إنه رأى في أول ملكه كأنه قابض على قرني الشمس، فقص ذلك، ففسر أنه سيغلب ما ذرت عليه الشمس، فسمي بذلك ذا القرنين. وقيل: إنما سمي بذلك لأنه بلغ المغرب والمشرق فكأنه حاز قرنيْ الدنيا. وقالت طائفة: إنه لما بلغ مطلع الشمس كشف بالرؤية قرونها فسمي بذلك ذا القرنين؛ أو قرني الشيطان بها.

وقال وهب بن منبه: كان له قرنان تحت عمامته.

وسأل ابن الكواء عليا رضي الله عنه عن ذي القرنين أنبيا كان أم ملكا؟ فقال: (لا ذا ولا ذا، كان عبدا صالحا دعا قومه إلى الله - تعالى - فشجوه على قرنه، ثم دعاهم فشجوه على قرنه الآخر، فسمي ذا القرنين).

واختلفوا أيضا في وقت زمانه، فقال قوم: كان بعد موسى. وقال قوم: كان في الفترة بعد عيسى وقيل: كان في وقت إبراهيم وإسماعيل. وكان الخضر عليه السلام صاحب لوائه الأعظم.

وبالجملة فإن الله - تعالى - مكنه وملكه ودانت له الملوك، فروي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان سليمان بن داود، وإسكندر، والكافران نمرود وبختنصر؛ وسيملكها من هذه الأمة: خامس لقوله - تعالى -:

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[التوبة: 33] وهو المهدي وقد قيل: إنما سمي ذا القرنين لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شريف من قبل أبيه وأمه وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل: لأنه كان إذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعا. وقيل لأنه أعطي علم الظاهر والباطن. وقيل: لأنه دخل الظلمة والنور. وقيل: لأنه ملك فارس والروم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال علي ﷺ: (سخر له السحاب، ومدت له الأسباب، وبسط له في النور، فكان الليل والنهار عليه سواء) وفي حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال لرجال من أهل الكتاب سألوه عن ذي القرنين فقال: إن أول أمره كان غلاما من الروم فأُعطي ملكا فسار حتى أتى أرض مصر فابتنى بها مدينة يقال لها الإسكندرية فلما فرغ أتاه ملك فعرج به فقال له انظر ما تحتك قال أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرها فقال له الملك تلك الأرض كلها وهذا السواد الذي تراه محيطا بها هو البحر وإنما أراد الله – تعالى – أن يريك الأرض وقد جعل لك سلطانا فيها فسر في الأرض فعلم الجاهل وثبت العالم الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ قال ابن عباس: (من كل شيء علما يتسبب به إلى ما يريد) وقال الحسن: بلاغا إلى حيث أراد. وقيل: من كل شيء يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل شيء يستعين به الملوك من فتح المدائن وقهر الأعداء. وأصل السبب الحبل فاستعير لكل ما يتوصل به إلى شيء.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي فأتبع سببا مقطوعة الألف وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو «فاتبع سببا» بوصلها؛ أي اتبع سببا من الأسباب التي أوتيها. قال الأخفش: تبعته وأتبعته بمعنى؛ مثل ردفته وأردفته، ومنه قوله – تعالى –: إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ومنه الإتباع في الكلام مثل حَسَنٌ بَسَنٌ وقبيح شقيح. قال النحاس: واختار أبو عبيد قراءة أهل الكوفة قال: لأنها من السير، وحكى هو والأصمعي أنه يقال: تبعه واتبعه إذا سار ولم يلحقه، وأتبعه إذا لحقه.

قال أبو عبيد: ومثله فأتبعوهم مشرقين قال النحاس: وهذا التفريق وإن كان الأصمعي قد حكاه لا يقبل إلا بعلة أو دليل. وقوله - عز وجل -: فأتبعوهم مشرقين ليس في الحديث أنهم لحقوهم، وإنما الحديث: لما خرج موسى عليه السلام وأصحابه من البحر وحصل فرعون وأصحابه انطبق عليهم البحر والحق في هذا أن تبع واتبع وأتبع لغات بمعنى واحد، وهي بمعنى السير، فقد يجوز أن يكون معه لحاق وألا يكون.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ قرأ ابن عاصم وعامر وحمزة والكسائي «حامية» أي حارة.

والباقون حمئة أي كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء، تقول: حمأت البئر حمأ (بالتسكين) إذا نزعت حمأتها. وحمئت البئر حمأ (بالتحريك) كثرت حمأتها. ويجوز أن تكون «حامية» من الحمأة فخففت الهمزة وقلبت ياء. وقد يجمع بين القراءتين فيقال: كانت حارة وذات حمأة. وقال عبد الله بن عمرو: نظر النبي ﷺ إلى الشمس حين غربت؛ فقال: نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض. وقال ابن عباس: (أقرأنيها أبي كما أقرأه رسول الله ﷺ في عين حمئة؛ وقال معاوية: هي «حامية» فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: فأنا مع أمير المؤمنين؛ فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا: يا كعب كيف تجد هذا في التوراة؟

فقال: أجدها تغرب في عين سوداء.

فوافق ابن عباس.

وقال الشاعر وهو تُبَّع اليماني:

قد كان ذو القرنيـــن قبلـي مسلما ملكا تدين له الملــوك وتسجد

بلغ المغــارب والمشــارق يبتغـي أسباب أمر من حكيـم مرشـد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد

الخلب: الطين: والثأط: الحمأة. والحرمد: الأسود. وقال القفال قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا وصل إلى جرمها ومسها؛ لأنها تدور مع

السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض.

ولهذا قال: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم. وقال القتبي: ويجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها أو معها أو عندها، فيقام حرف الصفة مقام صاحبه والله أعلم.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أي عند العين، أو عند نهاية العين، وهم أهل جابرس، ويقال لها بالسريانية: جرجيسا؛ يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح؛ ذكره السهيلي.

وقال وهب بن منبه: (كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الإسكندر، فلما بلغ وكان عبدا صالحا قال الله – تعالى –: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض وهم أمم مختلفة ألسنتهم، وهم أمم جميع الأرض، وهم أصناف: أمتان بينهما طول الأرض كله، وأمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج؛ فأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك. وأما الأخرى فعند مطلعها ويقال لها منسك.

وأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل؛ وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل.

فقال ذو القرنين: إلهي قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت؛ فأخبرني عن هذه الأمم بأي قوة أكاثرهم؟ وبأي صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ فكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس عندي قوة؟ فقال الله –تعالى–: سأظفرك بما حملتك؛ أشرح لك صدرك فتسمع كل شيء، وأثبت لك فهمك فتفقه كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك، يهديك النور من أمامك، وتحفظك الظلمة من ورائك؛ فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه.

فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس؛ لأنها كانت أقرب الأمم منه وهي ناسك، فوجد جموعا لا يحصيها إلا الله - تعالى - وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله. وألسنة مختلفة، وأهواء متشتتة فكاثرهم بالظلمة؛ فضرب حولهم ثلاثة عساكر من جند الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان، حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم إلى الله - تعالى - وإلى عبادته، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر وصد عنه، فأدخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان، فدخلت إلى أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان، فتحيروا وماجوا وأشفقوا أن يهلكوا، فعجوا إلى الله - تعالى - بصوت واحد: إنا آمنا؛ فكشفها عنهم، وأخذهم عنوة، ودخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا.

ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه، والنور أمامهم يقوده ويدله، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن وهي هاويل، وسخر الله - تعالى - يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطئ إذا عمل عملا، فإذا أتوا مخاضة أو بحرا بنى سفنا من ألواح صغار مثل النعال فنظمها في ساعة.

ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم، فإذا قطع البحار والأنهار فتقها ودفع إلى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله، فانتهى إلى هاويل وفعل بهم كفعله بناسك فآمنوا، ففرغ منهم، وأخذ جيوشهم وانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس. فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله في الأولى.

ثم كر مقبلا حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى يريد تاويل، وهي الأمة التي تقابل هاويل بينهما عرض الأرض، ففعل فيها كفعله فيما قبلها.

ثم عطف إلى الأمم التي في وسط الأرض من الجن الإنس ويأجوج ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك من المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله - تعالى - كثيرا ليس لهم عدد، وليس فيهم مشابهة من الإنس، وهم أشباه البهائم؛ يأكلون العشب، ويفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع، ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والعقارب

والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله – تعالى – في الأرض، وليس لله – تعالى – خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، فإن طالت المدة فسيملؤون الأرض، ويجلون أهلها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا؟...) وذكر الحديث.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قال القشيري أبو نصر: إن كان نبيا فهو وحي، وإن لم يكن نبيا فهو إلهام من الله – تعالى –.

وقوله تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ قال إبراهيم بن السري: خيره بين هذين كما خير محمدا ﷺ فقال: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: 42] ونحوه.

وقال أبو إسحاق الزجاج: المعنى أن الله – تعالى – خيره بين هذين الحكمين.

قال النحاس: ورد علي بن سليمان عليه قوله؛ لأنه لم يصح أن ذا القرنين نبي فيخاطب بهذا، فكيف يقول لربه – عز وجل –: ثم يرد إلى ربه؟ وكيف يقول: فسوف نعذبه فيخاطب بالنون؟

قال: التقدير؛ قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين. قال أبو جعفر النحاس: هذا الذي قاله أبو الحسن لا يلزم منه شيء. أما قوله: قلنا ياذا القرنين فيجوز أن يكون الله – عز وجل – خاطبه على لسان نبي في وقته، ويجوز أن يكون قال له هذا كما قال لنبيه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: 4]، وأما إشكال فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فإن تقديره أن الله – تعالى – لما خيره بين القتل في قوله – تعالى –: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ [الكهف: 86] وبين الاستبقاء في قوله جل وعز: ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ قال لأولئك القوم: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: من أقام على الكفر منكم.

﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أي بالقتل.

﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي يوم القيامة.

﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي شديدا في جهنم.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي تاب من الكفر.

قال أحمد بن يحيى: أن في موضع نصب في إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال: ولو رفعت كان صوابا بمعنى فإما هو، كما قال:

فسيرا فإما حاجة تقضيانها ... وإما مقيل صالح وصديــق

﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم فله جزاء الحسنى بالرفع على الابتداء أو بالاستقرار. والحسنى في موضع خفض بالإضافة ويحذف التنوين للإضافة؛ أي له جزاء الحسنى عند الله - تعالى - في الآخرة وهي الجنة، فأضاف الجزاء إلى الجنة، كقوله: حق اليقين، ولدار الآخرة؛ قاله الفراء. ويحتمل أن يريد بـ الحسنى الأعمال الصالحة ويمكن أن يكون الجزاء من ذي القرنين؛ أي أعطيه وأتفضل عليه ويجوز أن يحذف التنوين لالتقاء الساكنين ويكون الحسنى في موضع رفع على البدل عند البصريين، وعلى الترجمة عند الكوفيين، وعلى هذا قراءة ابن أبي إسحاق فله جزاء الحسنى إلا أنك لم تحذف التنوين، وهو أجود.

وقرأ سائر الكوفيين فله جزاءً الحسنى منصوبا منونا؛ أي فله الحسنى جزاء قال الفراء: جزاء منصوب على التمييز وقيل: على المصدر.

وقال الزجاج: هو مصدر في موضع الحال؛ أي مجزيا بها جزاء وقرأ ابن عباس ومسروق فله جزاءَ الحسنى منصوبا غير منون وهي عند أبي حاتم على حذف التنوين لالتقاء الساكنين مثل قوله جزاء الحسنى في أحد الوجهين. النحاس: وهذا عند غيره خطأ لأنه ليس موضع حذف تنوين لالتقاء الساكنين ويكون تقديره: فله الثواب جزاء الحسنى.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ وأتبع بمعنى أي سلك طريقا ومنازل.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ وقرأ مجاهد وابن محيصن بفتح الميم واللام؛ يقال: طلعت الشمس والكواكب طلوعا ومطلعا. والمطلع والمطلع أيضا موضع طلوعها قاله الجوهري.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ المعنى أنه انتهى إلى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس أحد من الناس. والشمس تطلع وراء ذلك بمسافة بعيدة وقد اختلف فيهم؛ فعن وهب بن منبه ما تقدم، وأنها أمة يقال لها منسك وهي مقابلة ناسك؛ وقاله مقاتل وقال قتادة: يقال لهما الزنج وقال الكلبي: هم تارس وهاويل ومنسك؛ حفاة عراة عماة عن الحق، يتسافدون مثل الكلاب، ويتهارجون تهارج الحمر. وقيل: هم أهل جابلق وهم من نسل مؤمني عاد الذين آمنوا بهود، ويقال لهم بالسريانية مرقيسا والذين عند مغرب الشمس هم أهل جابرس.

ولكل واحدة من المدينتين عشرة آلاف باب، وبين كل باب فرسخ ووراء جابلق أمم وهم تافيل وتارس وهم يجاورون يأجوج ومأجوج وأهل جابرس وجابلق آمنوا بالنبيﷺ (مر بهم ليلة الإسراء فدعاهم فأجابوه، ودعا الأمم الآخرين فلم يجيبوه)؛ ذكره السهيلي وقال: اختصرت هذا كله من حديث طويل رواه مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ ورواه الطبري مسندا إلى مقاتل يرفعه؛ والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي حجابا يستترون منها عند طلوعها. قال قتادة: لم يكن بينهم وبين الشمس سترا؛ كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، وهم يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم رجعوا إلى معايشهم وحروثهم؛ يعني لا يستترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها.

وقال أمية: وجدت رجالا بسمرقند يحدثون الناس، فقال بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين، فقيل لي: إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فاستأجرت رجلا يرينيهم حتى صبحتهم، فوجدت أحدهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى، وكان صاحبي يحسن كلامهم، فبتنا بهم.

فقالوا: فيم جئتم؟

قلنا: جئنا ننظر كيف تطلع الشمس؛ فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة، فغشي علي، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذ هي على

الماء كهيئة الزيت، وإذا طرف السماء كهيئة الفسطاط، فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم.

فلما ارتفع النهار وزالت الشمس عن رءوسهم خرجوا يصطادون السمك، فيطرحونه في الشمس فينضج. وقال ابن جريج: جاءهم جيش مرة.

فقال لهم أهلها: لا تطلع الشمس وأنتم بها، فقالوا: ما نبرح حتى تطلع الشمس.

ثم قالوا: ما هذه العظام؟

قالوا: هذه والله عظام جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا قال: فولوا هاربين في الأرض.

وقال الحسن: كانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، وكانت لا تحمل البناء، فإذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا، فيتراعون كما تتراعى البهائم.

قلت: وهذه الأقوال تدل على أن لا مدينة هناك والله أعلم. وربما يكون منهم من يدخل في النهر. ومنهم من يدخل في السرب فلا تناقض بين قول الحسن وقتادة. انتهى كلام القرطبي رحمه الله. (1)

3- وجاء في التفسير المحيط في قوله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ [الكهف: 83-91].

الضمير في ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ عائد على قريش أو على اليهود، والمشهور أن السائلين قريش حين دستها اليهود على سؤاله عن الروح، والرجل الطواف، وفتية ذهبوا في الدهر ليقع

1- تفسير القرطبي لآيات سورة الكهف الخاصة بذي القرنين.

امتحانه بذلك. وذو القرنين هو الإسكندر اليوناني ذكره ابن إسحاق. وقال وهب: هو رومي وهل هو نبي أو عبد صالح؟ ليس بنبي قولان. وقيل: كان ملكا من الملائكة وهذا غريب. قيل: ملك الدنيا مؤمنان: سليمان وذو القرنين، وكافران نمروذ وبخت نصر، وكان بعد نمروذ.

وعن علي ﷺ كان عبدا صالحا ليس بملك ولا نبي ضُرب على قرنه الأيمن فمات في طاعة الله، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمي ذا القرنين. وقيل: طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها. وقيل: كان له قرنان، أي: ضفيرتان.

وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس.

وعن وهب: لأنه ملك الروم وفارس وروي: الروم والترك. وعنه: كانت صفيحتا رأسه من نحاس. وقيل: كان لتاجه قرنان. وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين.

قال الزمخشري: ويجوز أن يسمى بذلك لشجاعته، كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه، وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره انتهى. وقيل غير ذلك في تسميته ذا القرنين، والمشهور أنه الإسكندر.

وقال أبو الريحان البيروني المنجم صاحب كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية: هو أبو بكر بن سمي بن عمير بن إفريقس الحميري، بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به أحد الشعراء من حمير حيث قال:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ... ملكا علا في الأرض غير مبعد

بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب ملك من كريم سيد

قال أبو الريحان: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب؛ لأن الأذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلو أسماؤهم من ذي: كذي المنار، وذي نواس انتهى. والشعر الذي أنشده نسب أيضا إلى تبع الحميري وهو:

قد كان ذو القرنين جدي مسلما

وعن علي وابن عباس أن اسمه عبد الله بن الضحاك. وعن محمد بن علي بن الحسين:

عياش. وعن أبي خيثمة هو الصعب بن جابر بن القلمس. وقيل: مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث. وعن علي هو من القرن الأول من ولد يافث بن نوح.

وعن الحسن: كان بعد ثمود وكان عمره ألف سنة وستمائة. وعن وهب: كان في الفترة بين عيسى ومحمد - صلى الله عليهما وسلم -.

والخطاب في (عليكم) للسائلين إما اليهود وإما قريش على الخلاف الذي سبق في السائلين. وقوله (ذكرا) يحتمل أن يريد قرآنا وأن يريد حديثا وخبرا، والتمكين الذي له (في الأرض) كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها.

قال بعض المفسرين: والدليل على أنه الإسكندر أن القرآن دل على أن الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه إلى أقصى المغرب وإلى أقصى المشرق وإلى أقصى الشمال، بدليل أن يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون في أقصى الشمال، وهذا الذي بلغه ملك هذا الرجل هو نهاية المعمور من الأرض، ومثل هذا الملك البسيط لا شك أنه على خلاف العادات، وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر، وأن لا يكون مختفيا، والملك الذي اسمه في كتب التواريخ أنه بلغ ملكه إلى هذا الحد ليس إلا الإسكندر وذلك أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان مع طوائف، ثم قصد ملوك العرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر.

ثم عاد إلى مصر وبنى الإسكندرية وسماها باسم نفسه، ثم دخل الشام وقصد بني إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحة ثم عطف إلى أرمينية ودان له العراقيون والقبط والبربر، ثم نحو دار ابن دارا وهزمه مرات إلى أن قتله صاحب حربه، واستولى الإسكندر على ممالك الفرس وقصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع إلى العراق ومرض بشهرزور ومات بها.

وورد في الحديث: «إن الذين ملكوا الأرض أربعة مؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين». وقد تقدم ذكر ذلك وثبت في علم التواريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلا الإسكندر فوجب القطع أن المراد بذي القرنين هو الإسكندر بن فيلفوس اليوناني. وقيل

تمكينه في الأرض بالنبوة وإجراء المعجزات. وقيل: تمكينه بأن سخر له السحاب وحمله عليها وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء. وقيل: بكثرة أعوانه وجنوده والهيبة والوقار وقذف الرعب في أعدائه وتسهيل السير عليه وتعريفه فجاج الأرض واستيلائه على برها وبحرها.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: يحتاج إليه في الوصول إلى أغراضه ﴿سَبَبًا﴾، أي: طريقا موصلا إليه، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة، فأراد بلوغ المغرب ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ وأراد بلوغ السدين ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ وأصل السبب الحبل، ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يُتوصل به إلى المقصود.

وقال الحسن: بلاغا إلى حيث أراد. وقرأ زيد بن علي والزهري والأعمش وطلحة وابن أبي ليلى والكوفيون وابن عامر ﴿فَأَتْبَعَ﴾ ثلاثتها بالتخفيف.

وقرأ باقي السبعة بالتشديد، والظاهر أنهما بمعنى واحد. وعن يونس بن حبيب وأبي زيد أنه بقطع الهمزة عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب، وبوصلها إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات.

وقرأ عبد الله وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن العاصي وابن عمر وعبد الله بن عمرو ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي (حامية) بالياء، أي: حارة. وقرأ ابن عباس وباقي السبعة وشيبة وحميد وابن أبي ليلى ويعقوب وأبو حاتم وابن جبير الأنطاكي (حمئة) بهمزة مفتوحة والزهري يلينها، يقال حمئت البئر تحمأ حمأ فهي حمئة، وحمأتها نزعت حمأتها وأحمأتها أبقيت فيها الحمأة، ولا تنافي بين الحامية والحمئة؛ إذ تكون العين جامعة للوصفين. وقال أبو حاتم: وقد تمكن أن تكون حامية مهموزة بمعنى ذات حمأة فتكون القراءتان بمعنى واحد يعني أنه سهلت الهمزة بإبدالها ياء لكسرة ما قبلها، وفي التوراة تغرب في ماء وطين. وقال تُبع:

فرأى مغيب الشمس عند مآبها　　في عين ذي خلب وثاط حرمد

أي: في عين ماء ذي طين وحمأ أسود. وفي حديث أبي ذر أن رسول الله ﷺ نظر إلى الشمس عند غروبها فقال: «أتدري أين تغرب يا أبا ذر؟» فقلت: لا. فقال: «إنها تغرب في عين حامية».

وهذا الحديث وظاهر النص دليل على أن قوله (في عين) متعلق بقوله (تغرب) لا ما قاله بعض المتعسفين: أن قوله في (عين حمئة) إنما المراد أن ذا القرنين كان فيها، أي: هي آخر الأرض، ومعنى (تغرب في عين)، أي: فيما ترى العين لا أن ذلك حقيقة كما نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، ويجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها، وزعم بعض البغداديين أن (في) بمعنى عند، أي: (تغرب) عند عين.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾، أي: عند تلك العين. قال ابن السائب: مؤمنين وكافرين. وقال غيره: كفرة لباسهم جلود السباع وطعامهم ما أحرقته الشمس من الدواب، وما لفظته العين من الحوت إذا غربت. وقال وهب: انطلق يؤم المغرب إلى أن انتهى إلى باسك فوجد جمعا لا يحصيهم إلا الله، فضرب حولهم ثلاثة عساكر حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم في النور ودعاهم إلى عبادة الله، فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه. وقال أبو زيد السهيلي: هم أهل جابوس ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود. بقيتهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام.

وظاهر قوله ﴿قُلْنَا﴾ أنه أوحى الله إليه على لسان ملك. وقيل: كلمه كفاحا من غير رسول كما كلم موسى عليه السلام، وعلى هذين القولين يكون نبيا، ويبعد ما قاله بعض المتأولين أنه إلهام وإلقاء في روعه؛ لأن مثل هذا التخيير لا يكون إلا بوحي إذ التكاليف وإزهاق النفوس لا تتحقق بالإلهام إلا بالإعلام.

وقال علي بن عيسى: المعنى ﴿قُلْنَا﴾ يا محمد قالوا ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ ثم حذف القول الأول؛ لأن ذا القرنين لم يصح أنه نبي فيخاطبه الله، وعلى هذا يكون الضمير الذي في قالوا المحذوفة يعود على جنده وعسكره الذين كانوا معه.

وقوله ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ بالقتل على الكفر ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾، أي: بالحمل على الإيمان والهدى، إما أن تكفر فتعذب، وإما أن تؤمن فتحسن فعبر في التخيير بالمسبب عن السبب.

قال الطبري: اتخاذ الحسن هو أسرهم مع كفرهم يعني أنه خير مع كفرهم بين قتلهم وبين أسرهم، وتفصيل ذي القرنين ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ و﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ يدفع هذا القول ولما خيره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم.

فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم وهو الكفر هنا بلا خلاف، فذلك هو المعذب في الدارين، وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان، ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾. وأتى بحرف التنفيس في ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ لما يتخلل بين إظهاره كفره وبين تعذيبه من دعائه إلى الإيمان وتأبيه عنه، فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم فإن رجعوا وإلا فالقتل.

وقوله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾، أي: يوم القيامة وأتى بنون العظمة في ﴿نُعَذِّبُهُۥ﴾ على عادة الملوك في قولهم نحن فعلنا. وقوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ فيه إشعار بأن التخيير لذي القرنين ليس من الله تعالى، إذ لو كان كذلك لكان التركيب: ثم يرد إليك فتعذبه، ولا يبعد أن يكون التخيير من الله ويكون قد أعلم ذو القرنين بذلك أتباعه ثم فصل مخاطبا لأتباعه لا لربه تعالى، وما أحسن مجيء هذه الجمل لما ذكر ما يستحقه من ظلم بدأ بما هو أقرب لهم ومحسوس عندهم، وهو قوله ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ ثم أخبر بما يلحقه آخرا يوم القيامة وهو تعذيب الله إياه العذاب النكر؛ ولأن الترتيب الواقع هو كذا ولما ذكر ما يستحقه ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ذكر جزاء الله له في الآخرة وهو ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، أي الجنة؛ لأن طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على أن آمن لأجل جزائه في الآخرة، وهو عظيم بالنسبة للإحسان في الدنيا ثم أتبع ذلك بإحسانه له في الدنيا بقوله ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾، أي: لا نقول له ما يتكلفه مما هو شاق عليه، أي: قولا ذا يسر وسهولة، كما قال قولا ميسورا.

ولما ذكر ما أعد الله له من الحسنى جزاء لم يناسب أن يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول أدبا مع الله تعالى وإن كان يعلم أنه يحسن إليه فعلا وقولا.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص وأبو بحرية والأعمش وطلحة وابن مناذر ويعقوب وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير الأنطاكي ومحمد بن جرير (فله جزاءً) بالنصب والتنوين وانتصب (جزاء) على أنه مصدر في موضع الحال، أي: مجازًى كقولك: في الدار قائما زيد. وقال أبو علي قال أبو الحسن: هذا لا تكاد العرب تكلم به مقدما إلا في الشعر. وقيل: انتصب على المصدر، أي: يجزي (جزاء). وقال الفراء: ومنصوب على التفسير والمراد بالحسنى على قراءة النصب الجنة. وقرأ باقي السبعة (جزاءُ الحسنى) برفع (جزاء) مضافا إلى (الحسنى). قال أبو علي جزاء الخلال الحسنة التي أتاها وعملها أو يراد بالحسنى الحسنة والجنة هي الجزاء، وأضاف كما قال دار الآخرة و(جزاء) مبتدأ وله خبره.

وقرأ عبد الله بن إسحاق (فله جزاءٌ) مرفوع وهو مبتدأ وخبر و(الحسنى) بدل من (جزاء). وقرأ ابن عباس ومسروق (جزاءَ) نصب بغير تنوين (الحسنى) بالإضافة، ويخرج على حذف المبتدإ لدلالة المعنى عليه، أي: (فله) الجزاء (جزاء الحسنى) وخرجه المهدوي على حذف التنوين لالتقاء الساكنين. وقرأ أبو جعفر (يسرا) بضم السين حيث وقع.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾، أي: طريقا إلى مقصده الذي يسر له. وقرأ الحسن وعيسى وابن محيصن (مطلع) بفتح اللام، ورويت عن ابن كثير وأهل مكة وهو القياس.

وقرأ الجمهور بكسرها وهو سماع في أحرف معدودة، وقياس كسره أن يكون المضارع تطلِع بكسر اللام.

وكان الكسائي يقول: هذه لغة ماتت في كثير من لغات العرب، يعني ذهب من يقول من العرب (تطلِع) بكسر اللام وبقي (مطلع) بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس، والقوم هنا الزنج. وقال قتادة هم الهنود وما وراءهم. والستر البنيان أو الثياب

أو الشجر والجبال أقوال، والمعنى أنهم لا شيء لهم يسترهم من حر الشمس.

وقيل: تنفذ الشمس سقوفهم وثيابهم فتصل إلى أجسامهم. فقيل: إذا طلعت نزلوا الماء حتى ينكسر حرها، قاله الحسن وقتادة وابن جريج.

وقيل: يدخلون أسرابا. وقال مجاهد: السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض. قال ابن عطية: والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم، وفعلها بقدرة الله فيهم ونيلها منهم، ولو كانت لهم أسراب لكان سترا كثيفا انتهى. وقال بعض الرجاز:

بالزنج حر غير الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا

وذلك إنما هو من قوة حر الشمس عندهم واستمرارها. كذلك الإشارة إلى البلوغ، أي: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها. وقيل ﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ كما (اتّبع سببا). وقيل: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هؤلاء عند مطلع الشمس وحكم فيهم. وقيل: كذلك أمرهم كما قصصنا عليكم. وقيل: ﴿تَطْلُعُ﴾ طلوعها مثل غروبها. وقيل: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ﴾، أي: مثل أولئك الذين وجدهم في مغرب الشمس، كفرة مثلهم، وحكمهم مثل حكمهم، في التعذيب لمن بقي على الكفر، والإحسان لمن آمن.

وقال الزمخشري: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيما لأمره. وقيل ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف.

وقال ابن عطية: (كذلك) معناه فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب، وأخبر بقوله (كذلك) ثم أخبر تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف فيه من أفعاله، ويحتمل أن يكون (كذلك) استئناف قول ولا يكون راجعا على الطائفة الأولى فتأمله، والأول أصوب. وإذا كان مستأنفا لا تعلق له بما قبله فيحتاج إلى تقدير يتم به كلاما.[1]

1- التفسير المحيط.

4- وجاء في تفسير الإمام الطبري رحمه الله في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الكهف: 83-85]

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ:

ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه، وما كانت قصته.

فقل لهم: سأتلو عليكم من خبره ذكرا.

يقول: سأقص عليكم منه خبرا.

وقد قيل: إن الذين سألوا رسول الله ﷺ عن أمر ذي القرنين، كانوا قوما من أهل الكتاب.

واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين: ذو القرنين، فقال بعضهم:

قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قرنه فهلك، ثم أحيي فضرب على القرن الآخر فهلك.

ذكر من قال ذلك:

عن أبي الطفيل،

قال: سأل ابن الكواء عليا عن ذي القرنين.

فقال: هو عبد أحب الله فأحبه، وناصح الله فنصحه، فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه، ثم بعثه الله، فضربوه على قرنه فمات.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل.

قال: سئل علي رضوان الله عليه عن ذي القرنين.

فقال: كان عبدا ناصح الله فناصحه، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فسمي ذا القرنين.

وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سهل البخاري، قال: ثنا إسماعيل بن عبدالكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل، قال: قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين ملكا.

فقيل له: فلم سمي ذا القرنين؟

قال: اختلف فيه أهل الكتاب.

فقال بعضهم: ملك الروم وفارس.

وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين.

وقال آخرون: إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة. قال: ثني ابن أبي إسحاق. قال: ثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني، قال:

إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

وقوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ يقول: إنا وطأنا له في الأرض.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ يقول وآتيناه من كل شيء، يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس، قوله ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ يقول: علما.

عن قتادة قوله ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ أي علما.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ علما.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يقول: علما.

وقوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة، فاتَّبع بوصل الألف، وتشديد التاء، بمعنى: سلك وسار، من قول القائل: اتبعت أثر فلان: إذا قفوته؛ وسرت وراءه. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ﴿فَأَتْبَعَ﴾ بهمز الألف، وتخفيف التاء، بمعنى لحق.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه (فاتَّبع) بوصل الألف، وتشديد التاء، لأن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها، لا عن لحاقه السبب، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل.

عن ابن عباس ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يعني بالسبب، المنزل.

عن مجاهد، في قوله: ﴿سَبَبًا﴾ قال: منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب.

عن قتادة ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: اتبع منازل الأرض ومعالمها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قال: هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: 36] قال: طرق السماوات.

5- قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في تفسيره للآيات 83 - 98 من سورة الكهف:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ كان أهل الكتاب أو المشركون، سألوا رسول الله ﷺ عن قصة ذي القرنين، فأمره الله أن يقول: ﴿سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ فيه نبأ مفيد، وخطاب عجيب.

أي: سأتلو عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة، وأما ما سوى ذلك من أحواله، فلم يتله عليهم.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ
وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا
﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا
فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف: 83-88]

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ملكه الله تعالى، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عُدما أو أحدهما لم يحصل.

وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما. ﴿قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ أي: إما أن تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخُير بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين:

﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: 89-97]

أي لما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعا، قاصدا مطلعها، متبعا للأسباب، التي أعطاه الله، فوصل إلى مطلع الشمس فـ ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروبا يذكر، كما يوجد ذلك في شرقي إفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير الله له، وعلمه به ولهذا قال ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾

قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين،

وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوما، لا يكادون يفقهون قولا لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: ﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك.

﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾ أي جعلا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطونني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ أي: مانعا من عبورهم عليكم.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾ أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ النار أي: أوقدوها إيقادا عظيما، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ أي: نحاسا مذابا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكاما هائلا وامتنع به مَن وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي: من فضله وإحسانه عليَّ، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله. قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: 40] بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم أشرا وبطرا.

كما قال قارون -لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة-: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: 78].

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: لخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُ﴾ أي: ذلك السد المحكم المتقن ﴿دَكَّاءَ﴾ أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.(1)

6- ونعود إلى ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية فيقول:

وقد روى وكيع، عن إسرائيل عن جابر عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: كان ذو القرنين نبيًّا.

وروى الحافظ ابن عساكر في تاريخه بسنده، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أدري أتُبَّع كان لعينا أم لا، ولا أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا، ولا أدري ذو القرنين كان نبيا أم لا» وهذا غريب من هذا الوجه.

وقال إسحاق بن بشر، عن عثمان بن الساج عن خصيف عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان ذو القرنين ملكا صالحا، رضي الله عمله، وأثنى عليه في كتابه، وكان منصورا، وكان الخضر وزيره. وذكر أن الخضر عليه السلام، كان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور، الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم.

1- تفسير السعدي.

وقد ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل، عليه السلام.

وروي عن عبيد بن عمير، وابنه عبد الله وغيرهما، أن ذا القرنين حج ماشيا، وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ودعا له ورضاه، وأن الله سخر لذي القرنين السحاب يحمله حيث أراد. والله أعلم.

واختلفوا في السبب الذي سمي به ذا القرنين؛ فقيل: لأنه كان له في رأسه شبه القرنين. وقال وهب بن منبه كان له قرنان من نحاس في رأسه. وهذا ضعيف.

وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك فارس والروم. وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غربا وشرقا، وملك ما بينهما من الأرض. وهذا أشبه من غيره، وهو قول الزهري. وقال الحسن البصري كانت له غديرتان من شعر يطأ فيهما؛ فسمي ذا القرنين.

وقال إسحاق بن بشر، عن عبد الله بن زياد بن سمعان، عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال: دعا ملكا جبارا إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه، ثم دعاه فدق قرنه الثاني، فكسره، فسمي ذا القرنين.

وروى الثوري عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن ذي القرنين فقال: كان عبدا ناصح الله فناصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات، فسمي ذا القرنين.

وهكذا رواه شعبة، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل، عن علي به. وفي بعض الروايات، عن أبي الطفيل عن علي قال: لم يكن نبيا ولا رسولا ولا ملكا، ولكن كان عبدا صالحا.

وقد اختلف في اسمه؛ فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس: كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد. وقيل: مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان.

وقد جاء في حديث أنه كان من حمير، وأمه رومية، وأنه كان يقال له: ابن الفيلسوف؛ لعقله. وقد أنشد بعض الحميريين في ذلك شعرا يفخر بكونه أحد أجداده فقال:

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا تدين له الملوك وتحشد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثأط حرمد
من بعده بلقيس كانت عمتي ملكتهم حتى أتاها الهدهد

قال السهيلي: وقيل: كان اسمه مرزبى بن مرزبة، ذكره ابن هشام وذكر في موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذي مراثد. وهو أول التبابعة، وهو الذي حكم لإبراهيم في بئر السبع.

وقيل: إنه أفريدون بن أسفيان، الذي قتل الضحاك. وفي خطبة قس: يا معشر إياد، أين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين، وأذل الثقلين، وعُمر ألفين، ثم كان كلحظة عين، ثم أنشد ابن هشام للأعشى:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا بالحنو في جدث أميم مقيم

وذكر الدارقطني وابن ماكولا أن اسمه هرمس. ويقال: هرويس بن فيطون بن رومي ابن لنطي بن كسلوجين بن يونان بن يافث بن نوح. فالله أعلم.

وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن بشير، عن قتادة قال: إسكندر هو ذو القرنين، وأبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح، عليه السلام.

فأما ذو القرنين الثاني فهو إسكندر بن فيليبس بن مضريم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نونة بن سرحون بن رومة بن ثرنط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل.

كذا نسبه الحافظ ابن عساكر في «تاريخه»، المقدوني اليوناني المصري، باني إسكندرية، الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح

بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذي قتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

قال قتيبة، عن أبي عوانة عن سماك عن حبيب بن حماز

قال: كنت عند علي بن أبي طالب وسأله رجل عن ذي القرنين، كيف بلغ المشرق والمغرب؟

فقال: سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له في النور، فكان الليل والنهار عليه سواء.

وقال: أزيدك؟

فسكت الرجل

وسكت علي ﷺ.

وعن أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن عبد الله الوادعي، سمعت معاوية يقول: ملك الأرض أربعة؛ سليمان بن داود النبي، عليهما السلام، وذو القرنين، ورجل من أهل حلوان ورجل آخر.

فقيل له: الخضر؟

قال: لا.

وقال الزبير بن بكار حدثني إبراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك، عن أبيه عن سفيان الثوري

قال: بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران؛ سليمان النبي، وذو القرنين، ونمرود، وبخت نصر.

وهكذا قال سعيد بن بشير، سواء.

وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن الحسن قال: كان ذو القرنين ملك بعد النمرود، وكان من قصته أنه كان رجلا مسلما صالحا أتى المشرق والمغرب، مد الله له في الأجل ونصره حتى قهر البلاد واحتوى على الأموال، وفتح المدائن وقتل الرجال وجال في البلاد والقلاع، فسار حتى أتى المشرق والمغرب.

فذلك قول الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي؛ خبرا ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ أي؛ علما بطلب أسباب المنازل.

قال إسحاق: وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز، فمن اتبعه على دينه وتابعه عليه، وإلا قتله.

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وعكرمة وعبيد بن يعلَى والسدي، وقتادة والضحاك ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ يعني علما.

وقال قتادة ومطر الوراق: معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها. وقال عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم: يعني تعليم الألسنة، كان لا يغزو قوما إلا حدثهم بلغتهم.

وأضاف ابن كثير رحمه الله: والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها؛ فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه، ويعينه على أهل الإقليم الآخر.

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفا وستمائة سنة يجوب الأرض، ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وفي كل هذه المدة نظر. والله أعلم.

وقد روى البيهقي وابن عساكر حديثا متعلقا بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ مطولا جدا، وهو منكر جدا. وفي إسناده محمد بن يونس الكديمي وهو متهم، فلهذا لم نكتبه لسقوطه عندنا. والله أعلم.

وقوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي؛ طريقا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ يعني من الأرض، انتهى إلى حيث لا يمكن أحدا أن يجاوزه، ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي

يقال له: أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات، التي هي مبدأ الأطوال، على أحد قولي أرباب الهيئة، والثاني من ساحل هذا البحر كما قدمنا. وعنده شاهد مغيب الشمس -فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته-

﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾والمراد بها البحر في نظره، فإن من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه، ولهذا قال: وجدها أي؛ في نظره، ولم يقل: فإذا هي. تغرب في عين حمئة أي؛ ذات حمأة. قال كعب الأحبار وهو الطين الأسود. وقرأه بعضهم (حامية). فقيل: يرجع إلى الأول. وقيل: من الحرارة. وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها.

وقد روى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب، حدثني مولى لعبدالله بن عمرو، عن عبد الله قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال: في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض فيه غرابة، وفيه رجل مبهم لم يسم، ورفعه فيه نظر، وقد يكون موقوفا من كلام عبد الله بن عمرو، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين، فكان يحدث منها، والله أعلم.

ومن زعم من القصاص، أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس، وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مددا طويلة، فقد أخطأ، وأبعد النجعة، وقال ما يخالف العقل والنقل.(1)

وفي تفسير أو خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي يقول: ذو القرنين: هذا لقبه لأنه كان في تكوينه ذا قرنين أو يلبس تاجاً له اتجاهان أو لأنه بلغ قرني الشمس في المشرق والمغرب.

الإسكندر كان وثنيًّا، وكان تلميذا لأرسطو، وذو القرنين رجل مؤمن كما سنعرف من قصته، وقد اختلف العلماء في من هو ذو القرنين؟ فمنهم من قال الإسكندر الأكبر المقدوني، لكن الإسكندر كان مقدونيًّا في الغرب وذو القرنين جاب المشرق والمغرب.

1- البداية والنهاية لابن كثير.

وعلى العموم، ليس من صالح القصة حصرها في شخص بعينه؛ لأن تشخيص حادثة القصة يضعف من تأثيرها، ويصبغها بصبغة شخصية لا تتعدى إلى الغير فنرى من يقول بأنها مسألة شخصية لا تتكرر.

إذن: لو جاء العلم في ذاته سنقول: هذه الحادثة أو هذا العمل خاص بهذا الشخص، والحق سبحانه وتعالى يريد أن يضرب لنا مثلا يعم أي شخص، ماذا سيكون مسلكه وتصرفه إن مكن الله له ومنحه الله قوة وسلطة؟

ولو حدد القرآن هذه الشخصية في الإسكندر أو قورش أو غيرهما لقلنا: إنه حدث فردي لا يتعدى هذا الشخص، وتنصرف النفس عن الأسوة به، وتفقد القصة مغزاها وتأثيرها. ولو كان في تعيينه فائدة لعينه الله لنا.

وسبق أن أوضحنا أن الحق سبحانه عندما ضرب مثلا للذين كفروا، قال: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠] ولم يعينهما على التحديد؛ لأن الهدف من ضرب المثل هنا بيان الرسول المرسل من الله لهداية الناس لم يتمكن من هداية زوجته وأقرب الناس إليه؛ لأن الإيمان مسألة شخصية، لا سيطرة فيها لأحد على أحد.

وكذلك لما ضرب الله مثلا للذين آمنوا قال: ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١].

ففرعون الذي أضل الناس وادعى الإلوهية زوجته مؤمنة، وكأن الحق سبحانه يلمح للناس جميعا أن رأيك في الدين وفي العقائد رأي ذاتي، لا يتأثر بأحد أيا كان، لا في الهداية بنبي، ولا في الغواية.

ذكر ذي القرنين في الأحاديث النبوية

جاء ذكر ذي القرنين في أحاديث نبوية وآثار كثيرة منها الصحيح والضعيف والموضوع، نذكر منها أهمها مع صحة الحديث أو ضعفه كما قال العلماء.

1- قال سلمة عن محمد قال: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان أن رسول الله ﷺ سئل عن ذي القرنين فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب» (حديث ضعيف مرسل).

قال خالد: وسمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً يقول: يا ذا القرنين.

فقال عمر: اللهم غُفراً، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسموا بأسماء الملائكة.

قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى: فإن كان رسول الله ﷺ قال ذلك فالحق ما قال والباطل ما خالفه. (1)

والحديث رغم توقف محمد بن إسحاق عليه فإنه يشير إلى أن ذا القرنين كان ملكاً مسح الأرض أي طاف بها وهذا مذكور في القرآن أنه طاف مشارق الأرض ومغاربها، وقوله مسح الأرض من تحتها أي أنه دخل بعالم باطن الأرض أي الأرضين الست وهذا أمر وارد غير ممنوع شرعاً أو عقلاً.

2- عن أبي الطفيل سمعت ابن الكوا يقول لعلي بن أبي طالب ﷺ: أخبرني ما كان ذو القرنين؟

1- الحديث أو الأثر ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة. إسماعيل بن محمد الأصبهاني في دلائل النبوة والحديث مرسل والله أعلم وقد توقف فيه محمد بن إسحاق.

قال: كان رجلاً أحب الله فأحبه، بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه ضربة مات منها، ثم بعثه الله إليهم فضربوه على قرنه ضربة مات منها، ثم بعثه الله إليهم فضربوه على قرنه ضربة مات منها، ثم بعثه الله، فسمي: ذا القرنين.(1)

وفي هذا الأثر يشير الإمام علي ﷺ إلى كون ذي القرنين رجلاً صالحاً، أحب الله فأحبه الله وإنه لم يكن ملكاً ولا نبيًّا وإنما من أولياء الله الصالحين، وأن الله أمره أن يدعو قومه إلى التوحيد فضربوه على قرن رأسه مرتين وفي كلا المرتين أحياه الله من الموت فسمي بذي القرنين.

3- وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال لأصحابه ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا، ولا أدري تُبَّع لعيناً أم لا، ولا أدري ذو القرنين نبيًّا كان أم ملكاً، وفي رواية أعزير نبيًّا أم لا؟

مفردات الحديث: «تُبع» هو أحد ملوك اليمن، و«عزير» هو أحد أنبياء بني إسرائيل.

وراوي الحديث هو أبو هريرة ﷺ، رواه الدارقطني، وابن عساكر في تاريخ دمشق؛ وكذلك ابن حزم في المحلى، والحديث صحيح السند وقال ابن كثير تعليقاً على الحديث: غريب من هذا الوجه.

3- ومن الآثار التي ذكر ابن كثير في تفسيره لسورة الكهف عن أبي أمامة الباهلي وإسناده لا بأس:

عن هشام بن العاص الأموي قال: بعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة يعني غوطة دمشق فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني، فدخلنا عليه، فإذا هو على سرير له، فأرسل إلينا برسول نكلمه، فقلنا: والله لا نكلم رسولا، إنما بُعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلمناه، وإلا لم نكلم الرسول، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك، قال: فأذِنَ لنا.

1- رواه القاسم بن أبي بزة وذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري 6/ 441 وفيه عبدالعزيز بن عمران ضعيف ولكنه توبع على أبي الطفيل وزاد: «وناصح الله فناصحه، وفيه لم يكن نبيًّا ولا ملكًا» وسنده صحيح.

فقال: تكلموا: فكلمه هشام بن العاص، ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثياب سواد، فقال له هشام، وما هذه التي عليك؟

فقال: لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام.

قلنا: ومجلسك هذا، والله لنأخذنه منك، ولنأخذن مُلك الملك الأعظم، إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ.

قال: لستم بهم. بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل، فكيف صومكم؟

فأخبرناه، فملئ وجهه سوادا فقال: قوموا.

وبعث معنا رسولا إلى الملك، فخرجنا، حتى إذا كنا قريبا من المدينة، قال لنا الذي معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال؟

قلنا، والله لا ندخل إلا عليها.

فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون ذلك فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا، حتى انتهينا إلى غرفة، فأنخنا في أصلها وهو ينظر إلينا، فقلنا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فالله يعلم قد تنفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح.

فأرسل إلينا: ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم، وأرسل إلينا: أن ادخلوا، فدخلنا عليه وهو على فراش له، وعنده بطارقته من الروم، وكل شيء في مجلسه أحمر، وما حوله حمرة، وعليه ثياب من الحمرة، فدنونا منه فضحك، فقال: ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم؟.

وإذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام، فقلنا: إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك، وتحيتك التي تُحيَّا بها لا تحل لنا أن نحييك بها.

قال: [كيف] تحيتكم فيما بينكم؟

قلنا: السلام عليك.

قال: وكيف تحيون ملككم؟

قلنا: بها.

قال: وكيف يرد عليكم؟

قلنا: بها.

قال: فما أعظم كلامكم؟

قلنا: لا إله إلا الله، والله أكبر. فلما تكلمنا بها والله يعلم لقد تنفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها.

قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث تنفضت الغرفة، كلما قلتموها في بيوتكم تنفضت عليكم غرفكم؟

قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك.

قال: لوددت أنكم كلما قلتم تنفض كل شيء عليكم. وأني خرجت من نصف مُلْكِي.

قلنا: لم؟ قال: لأنه كان أيسر لشأنها، وأجدر ألا تكون من أمر النبوة، وأنها تكون من حيل الناس.

ثم سألنا عما أراد، فأخبرناه.

ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه.

فقال: قوموا.

[فقمنا] فأمر لنا بمنزل حسن ونُزل [كثير]، فأقمنا ثلاثا، فأرسل إلينا ليلا فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا، فأعدناه. ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة، فيها بيوت صغار عليها أبواب، ففتح بيتا وقفلا، فاستخرج حريرة سوداء، فنشرها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين عظيم الأليتين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله.

قال: أتعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا آدم عليه السلام: وإذ هو أكثر الناس شعرا.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا له شعر [كشعر] القطط، أحمر العينين، ضخم الهامة، حسن اللحية.

فقال: أتعرفون هذا؟

قلنا: لا. قال: هذا نوح عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض، حسن العينين صلت الجبين، طويل الخد، أبيض اللحية كأنه يبتسم، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا إبراهيم عليه السلام. ثم فتح بابا آخر فإذا فيه صورة بيضاء، وإذا والله رسول الله ﷺ، فقال: أتعرفون هذا؟

قلنا: نعم، محمد رسول الله ﷺ

قال: وبكينا.

قال: والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس.

وقال: والله إنه لهو؟

قلنا: نعم إنه لهو، كأنك تنظر إليه. فأمسك ساعة ينظر إليها.

ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت، ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم. ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة أدماء سحماء، وإذا رجل جعد قطط، غائر العينين، حديد النظر، عابس متراكب [الأسنان] مقلص الشفة كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا: قال: هذا موسى عليه السلام. وإلى جانبه صورة تشبهه، إلا أنه مدهان الرأس، عريض الجبين، في عينيه قبل.

فقال: هل تعرفون هذا:

قلنا: لا.

قال: هذا هارون بن عمران عليه السلام. ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة. كأنه غضبان.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا لوط عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة، أقنى، خفيف العارضين حسن الوجه.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا إسحاق عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة تشبه إسحاق، إلا أنه على شفته خال.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا يعقوب عليه السلام. ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه، أقنى الأنف، حسن القامة، يعلو في وجهه نور، يعرف في وجهه الخشوع، يضرب إلى الحمرة.

قال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا إسماعيل جد نبيكم عليهما السلام. ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة كأنها آدم عليه السلام، كأن وجهه الشمس.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا يوسف عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أحمر حمش الساقين، أخفش العينين، ضخم البطن ربعة متقلد سيفا، فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا داود عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة رجل ضخم الأليتين، طويل الرجلين، راكب فرسا، فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا

قال: هذا سليمان بن داود عليهما السلام. ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة بيضاء، وإذا شاب شديد سواد اللحية، كثير الشعر، حسن العينين، حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا عيسى ابن مريم عليه السلام.

قلنا: من أين لك هذه الصور؟ لأنا نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء عليهم السلام، لأنا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله.

فقال: إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم، فكان في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال.

ثم قال: أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي وإني كنت عبدا لأشركم ملكة، حتى أموت. ثم أجازنا فأحسن جائزتنا، وسرجنا، فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحدثناه بما أرانا، وبما قال لنا، وما أجازنا، قال: فبكى أبو بكر وقال: مسكين! لو أراد الله به خيرا لفعل. ثم قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم.[1]

1- انظر تفسير القرآن لابن كثير وقال إسناده لا بأس به (ج3/ 481).

ومن الأحاديث والآثار الموضوعة:

قال ﷺ: يا بريدة، إنه ستبعث بعدي بعوث فكن في بعث أهل المشرق، ثم تبعث بينهم بعوث فكن في بعث أرض يقال لها: خراسان، ثم تبعث بعوث فانزلوا في كورةٍ يقال لها: مَرو، ثم اسكنوا مدينتها فإن مدينتها بناها ذو القرنين (ودعا لها بالبركة ولا يصيب أهلها سوء).

والحديث يشير إلى مدينة «مَرو» التي بناها ذو القرنين وأن النبي ﷺ قد دعا لها بالبركة وألا يصيب أهلها سوء. (حديث لا يصح).

وكذلك روى عنه ﷺ بقوله: سيبعث بعثاً فكونوا في بعث يقال له خراسان ثم انزلوا كورة – بلدة – يقال لها مَرْو ثم اسكنوا مدينتا فإن مدينتها بناها ذو القرنين، ودعا لها بالبركة ولا يصيب أهلها سوء.

وللحديث روايات أخرى كلها لا تصح.(1)

ومن الآثار التي ذكرت مدينة «مرو» وأن الذي بناها ذو القرنين هذا الأثر الذي رواه ابن الجوزي في الموضوعات أي الأحاديث الموضوعة ونذكره للتذكرة به: عن علي ﷺ قال: لما افتتح خراسان وتطاول إليها العساكر اجتمعت بأذربيجان والجبال، ضاق ذرع عمر – أي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فقال: مالي لخراسان وما لخراسان ومالي؟ وددت أن بيني وبين خراسان جبلاً من بر وجبالاً من نار وألف سدٍّ، كل سدٍّ مثل سدّ يأجوج ومأجوج.

فقال علي بن أبي طالب: لا يا بن الخطاب، هل أتيت بعلم محمد أو اطلعت على محمد ﷺ؟ فإن بخراسان مدينة يقال لها: «مرو» أسسها أخي ذو القرين وصلى فيها

1– بريدة هو الصحابي بريدة بن الحصيب الأسلمي، الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة، تفرد به أويس ابن عبدالله، والحديث الآخر رواه ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ، وقال البخاري عن أويس بن عبدالله: فيه نظر وقال ابن عدي في حديثه مناكير.

والحديث رواه أيضاً ابن حبان في المجروحين وذكره ابن عدي في الكامل في الضعفاء وهو لايصح باطل كما قال الذهبي في ميزان الاعتدال والعلل المتناهية وذكره ابن كثير في البداية والنهاية.

«عزير» أنهارها سياحة وأرضها فياحة، على كل باب من أبوابها ملك شاهر سيفه يدفع عن أهلها الآفات إلى يوم تقوم الساعة، وأن لله بخراسان مدينة يقال لها الطالقان وأن كنوزها لا ذهب ولا فضة، ولكن رجال مؤمنون.

يقومون إذا نام الناس وينصرون إذا فشل الناس، وإن لله بخراسان لمدينة يقال لها الشاش، القائم فيها والنائم كالمتشحط بدمه في سبيل الله، وإن لله بخراسان لمدينة يقال لها بخارى، وأي رجال ببخارى آمنون من الصرخة عند الهول إذا فزعوا مستبشرين إذا حزنوا، فطوبى لبخارى يطلع الله عليهم في كل ليلة إطلاعة، فيغفر لمن يشاء منهم، ويتوب على من تاب منهم، وإن لله بخراسان لمدينة يقال لها سمرقند بناها الذي بنى الحيرة يتجافى الله عن ذنوبهم، ويسمع ضوضاءهم، وينادي مناد في كل ليلة: طبتم وطابت لكم الجنة، فهنيئا لسمرقند ومن حوله، آمنون من عذاب الله يوم القيامة إن أطاعوا. ثم قال علي: يا بن الكواء كم بين بَوْشَنْجَّ وهَرَاةَ؟

قال ستة فراسخ.

قال: لا بل تسعة فراسخ، لا تزيد ميلا ولا ينقص كل ذاك أنبأني خليلي وحبيبي محمد ﷺ ثم قال: إن لله مدينة بخراسان يقال لها طوس، وأي رجال بطوس مؤمنون لا تأخذهم في الله لومة لائم يقومون لله بطاعته، ويحيون سنة نبيه ﷺ، وإن لله بخراسان لمدينة يقال لها خوارزم، النائم فيها كالقائم في أطول أيام الصيف لما يفاجئهم بنو قنطوراء، وإن لله بخراسان لمدينة يقال لها جرجان، طاب زرعها واخضر سهلها وجبلها، وكثرت مياهها، واتسعت بعباد الله مأكلتها، يتسعون إذا ضاق الناس، ويضيقون إذا وسعوا، فهم بين أمر الله وإلى طاعته مسارعين، فطوباهم، ثم طوباهم إن آمنوا وصدقوا، وإن لله بخراسان لمدينة يقال لها قومس وأي رجال بقومس. وذكر باقي الحديث. عمر: يا علي إنك لفتان.

فقال علي: لو التقى حجران في جو لقال الناس هذا فعل علي بن أبي طالب.

فقال عمر: (وددت أن بيني وبين خراسان بعد ما بين بلقاء) [1]

2- وأما الأثر الذي يقول أن الخضر في البحر واليسع في الله يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ويحجان أو يجتمعان كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل، فهو حديث ضعيف (إسناده ضعيف) وقد روى الحديث أنس بن مالك ﷺ وذكره البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة.[2]

3- وكذلك الأثر الذي روى عن ابن عباس ﷺ قوله: ذو القرنين عبدالله بن الضحاك ابن معد بن عدنان، هو إسناده ضعيف جدًّا، ذكره ابن حجر العسقلاني في شرح فتح الباري لصحيح البخاري (6/ 424).

1- الراوي: علي بن أبي طالب. المحدث: ابن الجوزي - المصدر: موضوعات ابن الجوزي (2 /323). وخلاصة حكم المحدث: موضوع.

وفي رواية أخرى: قال لي عمر: ما لي ولخراسان وددت أن بيني وبينها جبالا من برَد، وجبالا من نار وألف سد، فقال علي: مهلا يا ابن الخطاب هل اطلعت على علم محمد؟ فإن لله بخراسان مدينة يقال لها مرو أسسها أخي ذو القرنين، وذكر الطالقان والساس وسمرقند، وخوارزم. قال الذهبي في (ترتيب الموضوعات) من صنعة نوح الجامع (أي موضوع).

2- انظر الألباني في ضعيف الجامع وحكمه ضعيف جدًّا.

ذكر الإسرائيليات في قصة ذي القرنين

ذكر بعض المؤرخين الكثير من الروايات والآثار والأخبار الموضوعة والمنكرة عن ذي القرنين كما ذكرنا وكذلك ذكروا روايات مستوحاة من الإسرائيليات التي نقلها عنهم وهب بن منبه اليماني وكعب الأحبار وغيرهما وهم من مسلمة اليهود وسنذكر أهم ما قيل من تلك الروايات التي تعرف بالإسرائيليات، وقد نبه عليها ابن كثير رحمه الله وغيره قال ابن كثير في البداية والنهاية:

وأما الأخبار الإسرائيلية فيما يذكره كثير من المفسرين والمؤرخين فكثيرة جدًّا ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع، وكثير منها بل أكثرها مما يذكره القصاص مكذوب مفترَى وضعه زنادقتهم وضلالهم وهي ثلاثة أقسام:

- منها ما هو صحيح لموافقته ما قصه الله في كتابه أو أخبر به رسول الله ﷺ.

- ومنها ما هو معلوم البطلان لمخالفته كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

- ومنها ما يحتمل الصدق والكذب فهذا الذي أمرنا بالتوقف فيه فلا نصدقه ولا نكذبه، كما ثبت في الصحيح: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم».

وذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره:

وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا، عجيبا في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له وفيه طول، وغرابة، ونكارة، في أشكالهم، وصفاتهم وطولهم، وقصر بعضهم، وآذانهم، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدها، والله أعلم.

وروى ابن جرير وغيره عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: حديثا مرفوعا إلى النبي ﷺ قال: «حدثنا أبو كريب قال: حدثنا زيد بن حباب، عن ابن لهيعة، قال: حدثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب، أنهما انطلقا إلى عقبة بن عامر، فقالا له: جئنا لتحدثنا فقال: كنت يوما أخدم رسول الله ﷺ فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ﷺ فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه فأخبرته فقال: «ما لي، وما لهم، ما لي علم إلا ما علمني الله»، ثم قال: «اسكب لي ماء» فتوضأ، ثم صلى.

قال: فما فرغ حتى عرفت السرور على وجهه، ثم قال: «أدخلهم علي، ومن رأيت من أصحابي»، فدخلوا، فقاموا بين يديه فقال: إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا، وإن شئتم أخبرتكم.

قالوا: بلى، أخبرنا.

قال: جئتم تسألون عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم، كان شابا من الروم، فجاء، فبنى مدينة مصر الإسكندرية، فلما فرغ جاءه ملك فعلَا به في السماء.

فقال له: ما ترى؟

فقال: أرى مدينتي، ومدائن، ثم علا به.

فقال: ما ترى؟

فقال: أرى مدينتي.

ثم علا به فقال: ما ترى؟

قال: أرى الأرض.

قال: فهذا اليم محيط بالدنيا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل، وتثبت العالم، فأتى به السد، وهو جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، وجوههم وجوه الكلاب، يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم مضى

به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم».

والحديث لا يصح وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

وذكر السيوطي في «الدر المنثور» مثل ذلك، وقال: إنه أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في الدلائل وكل هذا من الإسرائيليات التي دُست على النبي ﷺ.

وفي هذا قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «وقد أورد ابن جرير ههنا، والأموي في مغازيه، حديثا أسنده، وهو ضعيف، عن عقبة بن عامر: أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء، فكان فيما أخبرهم به: أنه كان شابا من الروم، وأنه بني الإسكندرية، وأنه علا به ملك في السماء وذهب به إلى السد، ورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب... وفيه طول ونكارة، ورفعه لا يصح، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل.

وممن ذكروا هذا الحديث أن أبا زرعة الرازي في كتاب «دلائل النبوة» مع جلالة قدره، وساق الحديث بتمامه، وذلك غريب منه، فيه من النكارة أنه من الروم، وإنما الذي كان من الروم: الإسكندر الثاني، وهو ابن فيلبس المقدوني، الذي تؤرخ به الروم... وكان وزيره. ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور. والله أعلم[1]

ومن الإسرائيليات التي اتسمت بالغرابة: ما ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

حيث ذكروا عن يأجوج ومأجوج الشيء الكثير من العجائب والغرائب، فقد قال السيوطي في كتابه «الدر المنثور»: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج، ومأجوج،

1- انظر تفسير ابن كثير للآية 83 من سورة الكهف.

فقال: «يأجوج ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كل حمل السلاح» قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثالا الأَرْز» قلت: وما الأرز؟ قال: «شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء»، قال رسول الله ﷺ: «هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل، ولا حديد، وصنف منهم، يفترش إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل، ولا وحش، ولا جمل، ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبرية».

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره هذه الرواية وغيرها من الروايات الموقوفة، وكذلك صنع القرطبي في تفسيره.

وهذا الحديث من الأحاديث الموضوعة التي نص عليها وذكرها الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في موضوعاته وغيره[1].

ووافقه السيوطي في كتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة.

وفي كتب التفسير من هذا الخلط وأحاديث الخرافة شيء كثير، ورووا في هذا عن عبدالله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعن كعب الأحبار، ومن هذه الأحاديث.

ما روى عن كعب، قال: «خلق يأجوج ومأجوج، ثلاثة أصناف، صنف كالأرز، وصنف: أربعة أذرع طولًا، وأربعة أذرع عرضاً، وصنف يفترشون آذانهم، ويلتحفون بالأخرى، يأكلون مشائم نسائهم» والمشيمة ما ينزل من رحم المرأة مع جنينها.[2]

1- انظر كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة.

2- وهذا الأثر من مرويات كعب الأحبار التي ذكرها نقلاً عما يعرفه من علوم بني إسرائيل وأحبارهم، وراجع كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفاسير، د. محمد بن محمد أبو شهبة ففيه المزيد من هذا الموضوع.

وجاء تفسير ابن كثير لقوله تعالى:

﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف: 97].

يقول تعالى مخبرا عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله. ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلا بما يناسبه فقال: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾.

وهذا دليل على أنهم لم يقدروا على نقبه، ولا على شيء منه.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله. ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها هيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء. فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم، فيقتلهم بها. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم».

ورواه أحمد أيضا عن حسن - هو ابن موسى الأشيب - عن سفيان، عن قتادة، به.

وكذا رواه ابن ماجه، عن أزهر بن مروان، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: حدث رافع. وأخرجه الترمذي، من حديث أبي عوانة، عن قتادة. ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وإسناده جيد قوي، ولكنَّ متنه في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه، لإحكام بنائه وصلابته وشدته.

ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار: أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون: غدا نفتحه. فيأتون من الغد وقد عاد كما كان، فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون كذلك، ويصبحون وهو كما كان، فيلحسونه ويقولون: غدا نفتحه. ويلهمون أن يقولوا: «إن شاء الله»، فيصبحون وهو كما فارقوه، فيفتحونه. وهذا متجه، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب. فإنه كثيرا ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه، والله أعلم.

ويؤيد ما قلناه – من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه، ومن نكارة هذا المرفوع – قول الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن أمها أم حبيبة، عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ – قال سفيان أربع نسوة – قالت: استيقظ النبي ﷺ من نومه. وهو محمر وجهه، وهو يقول: «لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد اقترب! فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا». وحلق. قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

هذا حديث صحيح، اتفق البخاري ومسلم على إخراجه، من حديث الزهري، ولكن سقط في رواية البخاري ذكر حبيبة، وأثبتها مسلم. وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الإسناد، منها رواية الزهري عن عروة، وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده، كلهن يروي بعضهن عن بعض. ثم كل منهن صحابية، ثم ثنتان ربيبتان وثنتان زوجتان.

وقد روي نحو هذا عن أبي هريرة أيضا، فقال البزار: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وعقد التسعين. وأخرجه البخاري ومسلم من حديث وهيب، به.

ومن الإسرائيليات المنكرة في قصة يأجوج ومأجوج أنهم خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب وزعموا أن آدم كان نائماً فاحتلم، فمن ثم اختلط منيه بالتراب، ومن المعروف أن الأنبياء لا يحتلمون لأن الاحتلام من الشيطان.

وقال ابن كثير في تفسيره ردًّا على هذا القول: وهذا قول غريب جدًّا لا دليل عليه، لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم.

2

شخصية ذي القرنين عند قدامَى العلماء

- أقوال أهل العلم القدامَى في اسم وشخص ذي القرنين.
- وظيفة ذي القرنين عند العلماء القدامى.
- سبب تلقب ذي القرنين بهذا اللقب.
- زمان ذي القرنين.

أقوال أهل العلم القدامَى في اسـم وشخـص ذي القـرنيـن

من هو ذو القرنين وما اسمه الحقيقي وما زمانه وهل هو نبي أو ملك أو رجل؟ أسئلة حيرت العلماء قديماً وحديثاً وقالوا للإجابة عنها الكثير، ولكن الحقيقة المطلقة يعلمها الله تعالى، وسوف نستعرض الآراء والأقوال التي ذكرت عنه باختصار غير مخل ولا إطالة مملة بإذن الله تعالى.

الحقيقة الثابتة أن ذا القرنين ليس شخصية أسطورية وإنما هو حقيقة لأن الله عز وجل ذكره في القرآن الكريم، والقرآن الكريم لا يهتم بالأسماء وإنما يهتم بما هو أكبر من ذلك من مضمون القصة وما يستخرج منها من معانٍ ومواعظ وعبر شتى.

ولقد كتب المؤرخون القدماء وأصحاب السير عن شخصية ذي القرنين وانحصر كلامهم عنه كونه الإسكندر المقدوني أو أحد ملوك حمير (الصعب) أو رجل صالح في عهد سيدنا إبراهيم ﷺ.

وقد جمع المفسرون القدماء مثل الطبري وابن كثير وغيرهما تلك الآراء ولكن ابن كثير استبعد أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر المقدوني لمعارضة شخصية الإسكندر المقدوني الوثني لوصف شخصية ذي القرنين في القرآن كرجل أو ملك صالح مؤمن يأتيه الوحي أو الإلهام من الله تعالى.

ومنهم من قال إنه عبدالله بن الضحاك بن معد أو أنه هو الصعب بن جابر القلمس، أو أنه اسمه عَيَّاش.

فأمـا من قال إنه عبدالله بن الضحاك فاستند إلى ما رواه ابن مردويه من حديـث

ابن عباس ﷺ ما وأخرجه الزبير في كتاب النسب عن إبراهيم بن المنذر عن عبدالعزيز بن عمران عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: ذو القرنين عبدالله بن الضحاك بن معد.

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري: واسناده ضعيف جدًّا لضعف عبدالعزيز وشيخه، وقد نسب هذا القول إلى علي ﷺ.[1]

وفي البحر المحيط عن أبي خيثمة قال: هو الصعب بن جابر القلمس[2]، وفي النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين لنعمة الله الجزائري أن اسمه عياش.

وفي السيرة النبوية لمحمد بن إسحاق قال: حدثني من يسوق الأحاديث من الأعاجم فيما توارثوا من علمه أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبه اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام.

وذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن ابن أبي حاتم بإسناد صحيح إلى عكرمة عن ابن عباس أنه النحاس.[3]

لكن الدارقطني وابن ماكولا ذكر أن اسمه: هرمس، ويقال هرويس بن فيطون بن رومي بن لنطي بن كشلوذين بن يونان بن يافث بن نوح، ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية.

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي قيل إن اسمه أشك بن سلوكس.

وفي روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للآلوسي البغدادي: وقيل هو أفريدون بن اثفيان بن جمشيد خامس ملوك الفرس الفيشدادية.

وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه عن وهب بن منبه أنه حدث أن ذا القرنين كان

1- انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج6، وانظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ج15، وقال الإمام الثعالبي وهذه رواية مهجورة لا يلتفت إليها العقلاء.

2- البحر المحيط ج6.

3- انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ج6.

رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولده غيره وكان اسمه الإسكندر، كما ذكر صاحب الفتوحات الإلهية أنه من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجوز ليس لها غيره وكان أسود اللون، وكل تلك الأقاويل من الإسرائيليات مما جاء به وهب بن منبه أحد مسلمة اليهود وغيره.

ومما ذكره وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلاً من الإسكندرية وكان خارجاً على قومه ولم يكن بأفضلهم حسباً ولا نسباً وكان ذا خلق عظيم وجمال وحلم ومروءة وعفة منذ طفولته حتى جاء رجلاً إلى أن علا صيته في قومه، وألقى الله عليه الهيبة، وأسلم ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا عنوة منه عن آخرهم ثم كان من أمره ما كان. [1]

يرى ابن كثير أن ذا القرنين أحد التابعة العظام من الأذواء اليمنيين من نسل ملوك العرب حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود. [2]

وقد ذكره أيضا ابن هشام الذي قال أيضا إنه الإسكندر في السيرة والتيجان وأبو الريحان البيروني، ويرى مثلهم نشوان الحميري في كتبه «شمس العلوم» وكتاب «خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة»، وقد جاء في بعض أشعار الحميريين تفاخرهم بجدهم ذي القرنين منها:

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ... ملكا تدين له الملوك وتحشد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمد

توجد أشعار عربية كثيرة تروي مجد ونسب ذي القرنين حتى إنه رثاه الشاعر الشهير امرؤ القيس الكندي:

ألم يحزنك أن الدهر غول ... ختور العهد يلتهم الرجالا
أزال عن المصانع ذا رياش ... وقد ملك السهول مع الجبالا

1- انظر تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي، ج2.

2- انظر خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التتابعة: نشوان الحميري.

همام طحطح الآفاق وجيا — وقاد إلى مشارقها الرعالا
وسد بحيث ترقى الشمس سدا — ليأجوج ومأجوج الجبالا

وقال المنذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة:

فما ملك العراق على المعلى — بمقدار ولا الملك الشآم
أسد شاص ذي القرنين حتى — تولى عارض الملك الهمام

وقد قال تبع الأكبر شعرا:

أنا تبع الأملاك من نسل حمير — ملكنا عباد الله في الزمن الخالي
ملكناهم قهرا وسارت جيوشنا — إلى الهند والأتراك تردي بأبطال
ولك بلاد الله قد وطئت لنا — خيول لعمري غير نكس ولاعزال
فمالت بنا شرق البلاد وغربها — لهتك ستور نكبة ذات اهجال
وعطل منها كل حصن ممنع — ونقل منها ما حوته من مال
وتلك شروق الأرض منها وطأتها — إلى الطين والأتراك حالا على حال
فأبنا جميعا بالسبايا وكنا — على كل محبوك من الخيل صهال
بكل فتاة لم تر الشمس وجهها — أسيلة تجري الدمع بيضاء مكسال
سموت الرى غرثى الوشاح كأنها — من الحسن بدر زال عن غيم هطال
أتينا بها فوق الجمال حواسرا — بلا دملج باق عليها وخلخال
تركناهم عزلا تطيح نفوسهم — فلا ساكن منهم مقيم ولا وال
فما الناس إلا نحن لا ناس غيرنا — وما الناس إن عدوا لقوى بأمثال

وقال المقريزي في الخطط: «اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز فقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف: ٨٣، ٨٤] الآيات عربي قد

كثر ذكره في أشعار العرب، وأن اسمه الصعب بن ذي مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد ذي منح بن عار الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح، وأنه ملك من ملوك حمير ملوك اليمن وهم العرب العاربة، ويقال لهم أيضا العرب العرباء، وكان ذو القرنين تبعا متوجا، تبع لقب يطلق على ملوك اليمن ولما ولي الملك تجبر ثم تواضع لله، واجتمع بالخضر، وقد غلط من ظن أن الإسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين الذي بنى السد فإن لفظة (ذو) عربية، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن، وذاك رومي يوناني وأيضا هذا اليوناني لم يعمر أكثر من 30 عاماً وقتل وسيرته معروفة.

وقال الطبري في تاريخه: «وكان الخضر في أيام أفريدون الملك بن الضحاك في قول عامة علماء أهل الكتاب الأول، وقيل: موسى بن عمران (عليهما السلام) وقيل: إنه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان على أيام إبراهيم الخليل وإن الخضر بلغ مع ذي القرنين أيام مسيره في البلاد نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذو القرنين ولا من معه فخلد وهو حي عندهم إلى الآن، وقال آخرون إن ذا القرنين الذي كان على عهد إبراهيم الخليل هو أفريدون بن الضحاك وعلى مقدمته كان الخضر وهذا الرأي ضعيف».

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب «التيجان في معرفة ملوك الزمان»: «وكان تبعا متوجا لما ولي الملك تجبر ثم تواضع واجتمع بالخضر ببيت المقدس، وسار معه مشارق الأرض ومغاربها وأوتي من كل شيء سببا كما أخبر الله، وبنى السد على يأجوج ومأجوج».

ويرى ابن عباس أن الإسكندر غير ذي القرنين، إذ قال عن ذي القرنين إنه «من حمير وهو الصعب بن ذي مراثد الذي مكنه الله في الأرض وآتاه من كل شيء سببا فبلغ قرني الشمس ورأس الأرض وبنى السد على يأجوج ومأجوج». بينما الإسكندر «كان رجلا صالحا روميا حكيما بنى على البحر في إفريقية منارا، وأخذ أرض رومة، وأتى بحر العرب، وأكثر عمل الآثار في العرب من المصانع والدول».

وسئل كعب الأحبار عن ذي القرنين فقال: الصحيح عندنا من أحبارنا وأسلافنا أنه من حمير وأنه الصعب بن ذي مراثد، والإسكندر كان رجلا من يونان من ولد عيصو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ورجال الإسكندر أدركوا المسيح ابن مريم منهم جالينوس وأرسطوطاليس.

وقال الهمداني في كتاب الأنساب: وولد كهلان بن سبإ زيدا، فولد زيد عريبا ومالكا وغالبا وعميكرب، وقال الهيثم: عميكرب بن سبإ أخو حمير وكهلان فولد عميكرب أبا مالك فدرحا ومهيليل ابني عميكرب، وولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهيليل بن عميكرب بن سبإ، وولد عريب عَمْرا، فولد عمرو زيدا والهميسع، ويكنى أبا الصعب وهو ذو القرنين الأول، وهو المساح والبناء، وفيه يقول النعمان بن بشير:

فمن ذا يعادونا من الناس معشرا ... كراما فذو القرنين منا وحاتم

وفيه يقول الحارثي:

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه ... في الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتبَّعين وذي القرنين يقبله ... أهل الحجى فأحق القول ما قبلا

وفيه يقول ابن أبي ذئب الخزاني:

ومنا الذي بالخافقين تغربا ... وأصعد في كل البلاد وصوبا

فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا ... وفي ردم يأجوج بنى ثم نصبا

وذلك ذو القرنين تفخر حمير ... بعسكر قيل ليس يحصى فيحسبا

قال الهمداني: وعلماء همدان تقول: ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الأعلى ابن ربيعة بن الخيار بن مالك، وفي ذي القرنين أقاويل كثيرة.[1]

وشخصية ذي القرنين حامت حولها الأساطير الكثيرة ونذكر منها ما ذكره أهل التاريخ نقلاً عن وهب بن منبه وذلك دون تصديق لها كونها من الإسرائيليات، منها ما ذكره القرطبي في تفسيره عن ذي القرنين نقلاً عن وهب أنه لما بلغ وكان عبدا صالحا،

1- انظر الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) (ذو القرنين).

قال الله تعالى: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض وهم أمم مختلفة ألسنتهم، وهم أمم جميع الأرض، وهم أصناف: أمتان بينهما طول الأرض كله، وأمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك، وأما الأخرى فعند مطلعها ويقال لها منسك.

وأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل، وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل.

فقال ذو القرنين: إلهي! قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم بأي قوة أكاثرهم؟ وبأي صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ فكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس عندي قوة؟

وزاد الثعلبي - في قصصه -: وبأي سمع أسمع قولهم؟ وبأي بصر أنقدهم؟ وبأي حجة أخاصمهم؟ وبأي عقل أعقل عنهم؟ وبأي قلب وحكمة أدبر أمرهم؟ وبأي قسط أعدل بينهم؟ وبأي حلم أصابرهم؟ وبأي معرفة أفصل بينهم؟ وبأي علم أتقن أمورهم؟ وبأي يد أسطو عليهم؟ وبأي رجل أطؤهم؟ وبأي طاقة أحصيهم؟ وبأي جند أقاتلهم؟ وبأي رفق أتألفهم؟ وليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقويني عليهم، وأنت الرؤوف الرحيم الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يحملها فوق طاقتها، ولا تشقيها بل أنت ترحمها.

فقال الله عز وجل: إني سأطوقك ما أحملتك، وأشرح لك سمعك وصدرك، فتسمع وتعي كل شيء، وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء، وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء، وأفتح لك بصرك فتنقد كل شيء، وأحصي لك قوتك فلا يفوتك شيء، وأشد لك عضدك فلا يهولنك شيء، وأشيد لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشد لك قلبك فلا يفزعك شيء، وأشد لك يديك فتسطو على كل شيء، وأشد لك وطأك فتهلك كل

شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جنداً من جنودك، يهديك النور من أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك.(1)

وذكر الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين: أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء، مما يستمتع به الناس من دنياهم، قد احتفروا قبورا، فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور، فكنسوها وصلوا عندها، ورعوا البقل كما ترعى البهائم، وقد قُيض لهم في ذلك معاش من نبات الأرض.

وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم، فقال له: أجب ذا القرنين.

فقال: ما لي إليه حاجة، فإن كان له حاجة فيأتي!

فقال ذو القرنين: صدق.

فأقبل إليه ذو القرنين وقال له: أرسلت إليك لتأتيني فأبيت، فها أنا قد جئت.

فقال: لو كانت لي إليك حاجة لأتيتك.

فقال له ذو القرنين: ما لي أراكم على حالة لم أرَ أحداً من الأمم عليها؟

قال: وما ذاك؟

قال: ليس لكم دنيا ولا شيء؟ أفلا اتخذتم الذهب، والفضة، فاستمتعتم بها؟

قالوا: إنما كرهناهما لأن أحدا لم يعط منهما شيئا إلا تاقت نفسه إلى ما هو أفضل منه.

فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبورا فإذا أصبحتم تعهدتموها، فكنستموها وصليتم عندها؟

قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها، فأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل.

قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض، أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام، فاحتلبتموها، وركبتموها، واستمتعتم بها؟ قالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها،

1- قصص الأنبياء (المسمى عرائس المجالس) أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي، بتصرف. (والله أعلم بحقيقة الحال).

ورأينا في نبات الأرض بلاغا، وإنما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام، وأيما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام !

ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين، فتناول جمجمة؛

فقال: يا ذا القرنين أتدري من هو؟

قال: لا؛ ومن هو؟

قال: ملك من ملوك الأرض، أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض، فغشم وظلم وعتا؛ فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت، فصار كالحجر الملقى، وقد أحصى عليه عمله، حتى يجزيه في الآخرة؛ ثم تناول جمجمة أخرى بالية: فقال: يا ذا القرنين، هل تدري من هذا؟

قال: لا، ومن هو؟

قال: هذا ملك ملكه الله بعدهم، قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم، والظلم، والتجبر، فتواضع وخشع لله عز وجل، وأمر بالعدل في مملكته؛ فصار كما ترى، وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته.

ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين، فقال: وهذه الجمجمة قد كانت كهاتين، فانْظر يا ذا القرنين ما أنت صانع؟

فقال له ذو القرنين: هل لك في صحبتي فأتخذك أخا، ووزيرا وشريكا، فيما آتاني الله من هذا المال؟

قال: ما أصلح أنا وأنت في مكان، ولا أن نكون جميعا.

قال ذو القرنين: ولم؟

قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدو، ولي صديق.

قال: ولم ذاك؟

قال: يعادونك لما في يديك من الملك، والمال، والدنيا، ولا أجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة، وقلة الشيء.

قال: فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه متعظاً به».

وهذه قصة تحكى والله أعلم بصحتها.

وجاء في تفسير التبيان من الإسرائيليات أن ذي القرنين كان ملكاً جبارا، فلما هلك أبوه ولي مكانه فعظم تجبره وتكبره، فقيض الله له قريناً صالحاً فقال له: أيها الملك! دع عنك التجبر وتب إلى الله تعالى قبل أن تموت، فغضب عليه الإسكندر وحبسه، فمكث في المحبس ثلاثة أيام، فبعث الله إليه ملكاً كشف سقف المحبس وأخرجه منه واتى به منزله، فلما أصبح أُخبر الإسكندر بذلك، فجاء إلى السجن فرأى سقف السجن قد ذهب فاقشعر جلد الإسكندر وعلم أن ملكه ضعيف عند قدرة الله تعالى، فانصرف متعجبا.

وطلب الرجل المحبوس فوجده قائما يصلي على جبل «طالس» فقال الرجل: لذى القرنين تب إلى الله فهمَّ بأخذه وأمر جنوده به، فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم، وخر الإسكندر مغشيا عليه، فلما أفاق تاب إلى الله تعالى، وتضرع إلى الرجل الصالح، وأطاع الله وأصلح سيرته وقصد الملوك الجبابرة وقهرهم ودعا الناس إلى طاعة الله وتوحيده؛ وكان من أول أمره أن بنى مسجداً واسعاً طوله أربعمائة ذراع، وعرض الحائط اثنان وعشرون ذراعا، وارتفاعه في الهواء مائة ذراع[1]

وظيفة ذي القرنين:

قالوا عنه أنه ملك وقالوا إنه ملك نبي وقالوا إنه عبد صالح.. والظاهر من آيات سورة الكهف عنه أن الله أوحى إليه قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [الكهف: 86]، فقالوا إن هذا وحي أو إلهام من الله، وقيل إنه كان نبيًّا وقيل رسولاً كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية:

وذكر القرطبي في تفسيره أنه نبي مبعوث فتح الله تعالى على يديه الأرض، وكذلك قال أبو الشيخ في كتابه العظمة وإلى ذلك ذهب مقاتل ووافقه الضحاك.[2]

1- انظر تفسير روح البيان، للشيخ إسماعيل حقي ج2.

2- انظر روح المعاني ج16 للآلوسي.

وكذلك قال الثعلبي في قصص الأنبياء: والصحيح إن شاء الله أنه كان نبيًّا غير مرسل.

وقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: ذو القرنين نبي[1]، وقيل إنه مؤيد بالوحي.

قال ابن حجر العسقلاني وعليه ظاهر القرآن. [2]

واحتج من قال إنه نبي بقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 84] وهذا التمكين يعني النبوة، ويقول الفخر الرازي: يحتمل أن يكون المراد منه التمكين بسبب النبوة ويحتمل أن يكون المراد منه التمكين بسبب الملك من حيث أنه ملك مشارق الأرض ومغاربها والأول أولى لأن التمكين بسبب النبوة أعلى من التمكين بسبب الملك وحمل كلام الله على الوجه الأفضل أولى. [3]

وكذلك استدلوا على نبوته بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: 84-85].

أي أن الله تعالى أتاه النبوة سبباً، قال الفخر الرازي: إن الذين قالوا إنه كان نبيًّا قالوا: من جملة الأشياء: النبوة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ ...﴾ [الكهف: 86]. وهذا وحي من الله والذي يتكلم معه الله لابد أن يكون نبيًّا وكونه مأموراً بالقتال معهم يؤيد ذلك.

وهناك من العلماء يرى أنه لا يمكن إثبات نبوته بهذا الاستدلال الذي أورده الفخر الرازي في تفسيره للآيات لا يعد ذلك دليلاً قطعيًّا وأن ما حدث ليس إلا إلهاماً من الله.

ونرى أن ما توصل إليه الفخر الرازي أقرب إلى الصواب والله أعلم.

وأكثر العلماء القدامى يرون أن ذا القرنين ملكاً من الملوك الصالحين رضي الله عمله

1- انظر فتح القدير للشوكاني.

2- انظر روح المعاني وفتح الباري.

3- انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج21.

وأثنى عليه بهذا قال ابن عباس ﷺ كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية عنه وكذلك ما قاله الإمام السهيلي في كتابه الروض الأُنف، وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري. وعليه الأكثر.

وأما من قال إنه من الملائكة استناداً لما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين.

فقال: مه (اكفف)، ماكفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتهم بأسماء الملائكة. (1) وقد قال الإمام السهيلي إن كان عمر قاله بتوفيق من الرسول عليه الصلاة والسلام فهو ملك، لا يقول رسول الله إلا الحق وإن كان قاله بتأويل تأوله فقد خالف عليًّا في الخبر المتقدم «أي كونه ملكاً صالحاً».

والله أعلم أي الخبرين أصح نقلاً، غير أن الرواية المتقدمة عن علي ﷺ يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذي القرنين والله أعلم. (2)

وقال الآلوسي في روح المعاني تعليقاً على هذا الخبر الذي روي عن عمر ﷺ: هذا قول غريب بل لا يكاد يصح والخبر على فرض صحته ليس نصًّا في ذلك إذ يحتمل ولو على بعد أن يكون المراد أن هذا الاسم في أسماء الملائكة عليهم السلام فلا تسموا أنتم به، وإن تسمى به بعض من قبلكم من الناس.

وكلام الآلوسي نراه أقرب للصواب.

ومن العلماء من توقف عن وصف ذي القرنين واستندوا لقوله ﷺ: «ما أدري أتبَّع كان لعيناً أم لا، وما أدري أذو القرنين كان نبيًّا أم لا، وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا». (3)

1- البداية والنهاية لابن كثير، الروض الأُنف للسهيلي، وأخرجه ابن عبدالحكم وابن المنذر وابن الأنباري في كتاب الأضداد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، وقد روى القرطبي مثل ذلك عن علي ﷺ.

2- أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن الرزاق والحاكم في المستدرك وصححه عن أبي هريرة وابن عساكر، انظر البداية والنهاية لابن كثير وروح المعاني للآلوسي.

3- أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق والحاكم في المستدرك وصححه عن أبي هريرة وابن عساكر، انظر البداية والنهاية لابن كثير وروح المعاني للآلوسي.

ويرد على هذا بأن الحديث منسوخ بأحاديث أخرى صحت عن النبي ﷺ حيث روي عنه أنه قال لأصحابه: تبايعوني ألا تشركوا بالله شيئاً ولاتزنوا ولاتسرفوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه». زاد عبادة بن الصامت في رواية: «فبايعناه على ذلك». رواه الخمسة إلا أبا داود.

وقال صاحب الجامع للأصول وقوله: «فهو كفارة له»، صريح في أن الحدود مكفرات لا زاجرات، وفي رواية للترمذي: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فالله أكرم من أن يثنّي العقوبة على عبده في الآخرة» وعلى هذا الجمهور.

وقال بعضهم: إنها زاجرات فقط وعليه العقاب في الآخرة. والنفس إلى الأول أميل فإنه هو الأليق بالكرم الإلهي. [1]

وكذلك روى عنه الإمام أحمد والطبراني: «ولاتسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم». [2]

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: «لاتسبوا تبعاً قد كان رجلاً صالحاً» والله أعلم. [3]

وقال الآلوسي في كتابه روح المعاني (تفسير الآلوسي):

وأنت تعلم أن هذا النفي لم يكن ليستمر لرسول الله ﷺ، فيمكن أن يكون درى عليه الصلاة والسلام فيما بعد أنه لم يكن نبيًّا كما يدل عليه ما روي عن علي كرم الله تعالى وجهه فإنه لم يكن يقول ذلك إلا عن سماع، ويشهد لذلك ما أخرجه ابن مردويه عن سالم بن أبي الجعد قال: سئل علي كرم الله وجهه عن ذي القرنين أنبي هو؟ فقال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «هو عبد ناصح الله تعالى فنصحه» وقد علق الثعالبي على الخبر بقوله: لو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسألة تكلفاً. [4] والله أعلم.

1- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ للشيخ منصور ناصف ج3.
2- التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ للشيخ منصور ناصف ج3.
3- المرجع السابق.
4- انظر قصص الأنبياء للثعالبي.

والظاهر من قصة ذي القرنين التي ذكرها الحق جل وعلا في سورة الكهف أن ذا القرنين كان ملكاً مؤيداً ملهماً حقًّا من الله وأنه طاف الأرض بجيشه وسيطر على بلادها وخضعت له الأمم ودعا إلى توحيد الله وهذا لا يكون إلا لملك من الملوك العظام ولذلك عده الكثيرون من الملوك الذين ملكوا الأرض وهو من الملوك المؤمنين بالله الموحدين له وأنه من أولياء الله الصالحين.

وأما الحديث الذي أخرجه ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر وأبو الشيخ في «العظمة» عن خالد بن معدان أن رسول الله ﷺ سُئل عن ذي القرنين؟

فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب.

فهو حديث ضعيف مرسل وليس فيه حجة، ولو صح لكان حديثاً فصلاً في الموضوع.

وقد أخرج أيضاً الشيرازي في «الألقاب» عن جبين بن نصير أن أحباراً من اليهود قالوا للنبي ﷺ، حدثنا عن ذي القرنين إن كان نبيًّا؟

فقال: هو ملك مسح الأرض بالأسباب"

وقد رأى بعض المحدثين أن قوله ﷺ: «مسح الأرض من تحتها بالأسباب» أنه دخل عالم جوف الأرض من الأرضين الست، ولكن استنادهم على هذا الحديث بمفرده لا يصح. (1)

1- انظر سلسلة كشف الستار عن خفايا وأسرار العالم الداخلي، أسامة مرعي، الناشر: دار الكتاب العربي.

سبب تلقيب «ذي القرنين» بهذا اللقب

يقول الطبري في تفسيره عن سبب تلقيب ذي القرنين بهذا اللقب:

اختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين: ذو القرنين، فقال بعضهم: قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قرنه فهلك، ثم أُحيِي فضُرب على القرن الآخر فهلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن عبيد المكْتِب، عن أبي الطفيل، قال: سأل ابن الكواء عليا عن ذي القرنين، فقال: هو عبد أحب الله فأحبه، وناصح الله فنصحه، فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه، ثم بعثه الله، فضربوه على قرنه فمات.(1)

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، قال: سئل علي رضوان الله عليه عن ذي القرنين، فقال: كان عبدا ناصح الله فناصحه، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فسمي ذا القرنين.

وقد ذكر مثل ذلك أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية، وكل من الإمام البغوي في تفسيره، والزمخشري في الكشاف، والرازي في مفاتيح الغيب.

وذكر الشوكاني في فتح القدير أن الله أحياه مرتين، يقول الشوكاني: بعثه الله إلى قومه

1- ذكرنا التعليق على هذا الحديث.

فضربوه على قرنه فمات، ثم أحياه الله لجهادهم، ثم بعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر فمات، فأحياه الله لجهادهم، فلذلك سمي ذا القرنين.

وأما الإمام السيوطي في كتابه الدر المنثور فيذكر أن الذي ضرب ذا القرنين على قرنيه، هو رجل من أولئك القوم الذي دعاهم ذو القرنين، فيقول السيوطي: كان نبيا فبعثه الله إلى أناس فدعاهم إلى الله تعالى فقام رجل فضرب قرنه الأيسر فمات، ثم بعثه الله فأحياه، ثم بعثه إلى ناس فقام رجل فضرب قرنه الأيمن فمات، فسماه الله ذا القرنين، ويقول الثعالبي في «الكشف والبيان» دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر.

وليس معنى أنه ضرب على قرنه أنه مات كما يظن البعض.

وذكر الطبري في تفسيره أيضاً عن وهب بن منبه: كان ذو القرنين ملكا، فقيل له: فلم سمي ذا القرنين؟ قال: اختلف فيه أهل الكتاب، فقال بعضهم: ملك الروم وفارس.

وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين.

وقال وهب أيضاً: إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

وهذه الروايات من الإسرائيليات كما ذكرنا قبل وضعفه ابن كثير الذي قال في البداية والنهاية:

واختلفوا في السبب الذي سمى به ذا القرنين فقيل: لأنه كان له في رأسه شبه القرنين، قال وهب بن منبه: كان له قرنان من نحاس في رأسه (وهذا ضعيف).

وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك فارس والروم، وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غربا وشرقا، وملك ما بينهما من الأرض، وهذا أشبه من غيره، وهو قول الزهري.

وقال الحسن البصري: كانت له غديرتان من شعر يطأ فيهما، فسمي ذا القرنين.

وقال إسحاق بن بشر، عن عبد الله بن زياد بن سمعان، عن عمرو بن شعيب، عن

أبيه، عن جده أنه قال: دعا ملكا جبارا إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه، ثم دعاه فدق قرنه الثاني فكسره، فسمي ذا القرنين.

أما القرطبي فيقول في تفسيره:

وأما الاختلاف في السبب الذي سمي به، فقيل: إنه كان ذا ضفيرتين من شعر فسمي بهما، ذكره الثعلبي وغيره. والضفائر قرون الرأس، ومنه قول الشاعر:

فلثمت فاهـــا آخذا بقرونها   شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقيل: إنه رأى في أول ملكه كأنه قابض على قرني الشمس، فقص ذلك، ففسر أنه سيغلب ما ذرت عليه الشمس، فسمي بذلك ذا القرنين.

وقيل: إنما سمي بذلك لأنه بلغ المغرب والمشرق فكأنه حاز قرني الدنيا. وقالت طائفة: إنه لما بلغ مطلع الشمس كشف بالرؤية قرونها فسمي بذلك ذا القرنين، أو قرني الشيطان بها.

أما الإمام البغوي فيقول:

واختلفوا في سبب تسميته بـ (ذي القرنين) قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها.

وقيل: لأنه ملك الروم وفارس.

وقيل: لأنه دخل النور والظلمة.

وقيل: لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس.

وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان.

وقيل: لأنه كان له قرنان تواريهما العمامة.

وقال الزمخشري في الكشاف: سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل: كان له قرنان، أي ضفيرتان.

وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس، وعن وهب: لأنه ملك الروم وفارس. وروي: الروم والترك. وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس، وقيل: كان لتاجه قرنان، وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين. ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لأنه ينطح أقرانه.

وقال الفخر الرازي في كتابه تفسير القرآن (مفاتيح الغيب):

ذكروا في تسميته بذي القرنين وجوها:

الأول: سأل ابن الكوا عليا ﷺ عن ذي القرنين وقال أملك هو أم نبي فقال: لا ملك ولا نبي كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي بذي القرنين وملك ملكه.[1]

الثاني: سمي بذي القرنين لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس.

الثالث: قيل كان صفحتا رأسه من نحاس.

الرابع: كان على رأسه ما يشبه القرنين.

الخامس: (كان) لتاجه قرنان.

السادس: عن النبي ﷺ سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني شرقها وغربها.

السابع: كان له قرنان أي ضفيرتان.

الثامن: أن الله تعالى سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتمده الظلمة من ورائه.

التاسع: يجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه.

العاشر: رأى في المنام كأنه صعد الفلك فتعلق بطرفي الشمس وقرنيها وجانبيها فسمي لهذا السبب بذي القرنين.

1- انظر الأغاني للأصفهاني.

الحادي عشر: سمي بذلك لأنه دخل النور والظلمة.

وهكذا جمع الفخر الرازي أقوال المفسرين القدامى، والله أعلم بالصواب.

وروي أيضاً عن علي ﷺ وقد سئل عن ذي القرنين فقال: ذلك الملك الأمرط بلغ قرن الشمس من مطلعها وقرنها من مغربها.

والأمرط هو صاحب المرط بكسر الميم وهي أكسية من الصوف أوخز كان يُؤتزر بها.(1)

1- انظر الجاحظ في الحيوان وقد أخرج ابن إسحاق في المغازي وابن أبي شيبة في المصنف وعنه ابن أبي عاصم في السنَّة والآحاد والمثاني والطحاوي في المشكل وابن عساكر في تاريخ دمشق أثراً عن علي ﷺ قال فيه حين سئل عن ذي القرنين: «أملك كان أو نبي قال: لم يكن نبيًّا ولا ملكاً ولكنه عبداً صالحاً أحب الله فأحبه..» وإسناده صحيح.

زمان ذي القرنين

اختلف العلماء على زمان ذي القرنين كما اختلفوا على اسمه وسبب تسميته بهذا اللقب كما ذكرنا، كما اختلفوا في الفترة الزمنية التي عاشها، نذكر من الآثار التي ذكرت في ذلك ما جاء في البحر المحيط لابن حيان الأندلسي أن عليًّا ﷺ ذكر أنه من القرن الأول من ولد يافث بن نوح عليه السلام، أي أنه وُلد بعد الطوفان، وذكر الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه كان بعد قوم ثمود.

ومما قيل عنه: أنه «أفريدون» الذي قتل (بيوراسب بن اروانداسب) الملك الطاغية زمن إبراهيم عليه السلام أو قبله بزمان. (1)

وذكر ابن إياس في بدائع الزهور عن الحسن البصري أنه كان ملكاً وأنه غزا النمرود ابن كنعان.

وقالوا إنه عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام وحج معه وطاف معه بالكعبة المكرمة وأنه أسلم على يديه وكان وزيره الخضر عليه السلام. (2)

وذكر ابن إياس في بدائع الزهور: وكان إسكندر إذا مر بمكان إبراهيم نزل عن فرسه حتى يفوت ويركب. (3)

وفي البداية والنهاية عند ابن كثير رحمه الله أن وزيره - أي ذي القرنين - هو

1- انظر تفسير القرآن للقرطبي.

2- تفسير القرآن (جامع البيان)؛ وذكره الأزرقي في أخبار مكة

3- وإسكندر هذا الذي ذكره ابن إياس ليس الإسكندر المقدوني وإنما الإسكندر الأول والذي قيل إنه ذو القرنين وسيأتي ذكره.

الخضر عليه السلام وأنه كان على مقدمة جيشه كان بمنزله المشاور الذي هو من الملك.

وذكر المقدسي في البدء والتاريخ أن كثيراً من الناس كانت ترى أنه أي الخضر وزيراً لذي القرنين، وقال الآلوسي في روح المعاني (تفسيره للقرآن): يمكن أن يكون عليه السلام (الخضر) في جملة الحكماء الذين معه كالوزير عنده وكان مشتهراً إذ ذاك بالحكمة دون النبوة، وفي الإعصار القديمة كانوا يسمون النبي حكيماً.

ومن الذين ذكروا أن زمان ذي القرنين هو عصر إبراهيم عليه السلام ابن هشام حيث ذكر في «التيجان» أن إبراهيم تحاكم إلى ذي القرنين في شيء فحكم له، وذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري أن ابن أبي حاتم روى من طريق علي بن أحمد أن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك - أي سائلهما - فقالا: نحن مأموران.

وعقب ابن حجر على ذلك فقال: فهذه الآثار يشد بعضها بعضاً ويدل على قدم عهد ذي القرنين.

ولا عجب في ذلك حيث ذكروا أيضاً أن ذا القرنين عاش نحو 750 عاماً ومدة حكمه 715 سنة، وأنه يسمى الإسكندر الأول بن آدم بن شيخ بن اراخ بن شالوخ بن أرفخشاذ بن سام بن نوح عليه السلام أي أنه من العرب العاربة.

وليس الإسكندر الثاني بن فليب المقدوني كما هو مشهور عنه [1]

وإن كنا نرى أن اسم الإسكندر هو من الأسماء المقدونية الغربية ولذلك لا يصح أن يطلق عليه اسم الإسكندر أصلاً والأصح كما سيأتي أنه عربي الأصل من العرب العاربة ولا يهم اسمه.

1- سلسلة كشف الستار عن خفايا وأسرار العالم الداخلي، أسامة مرعي، الناشر: دار الكتاب العربي.

والخلاصة:

أن ذا القرنين غير الإسكندر المقدوني المعروف بالإسكندر الأكبر المقدوني. والذي يسمى الإسكندر الثالث المقدوني، المعروف بأسماء عديدة أخرى أبرزها: الإسكندر الأكبر، والإسكندر الكبير، والإسكندر المقدوني، والإسكندر ذو القرنين، هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ.

ولد في يوليو 356 ق.م، بيلا، اليونان

وتوفي في يونيو 323 ق.م، بابل، العراق كما يقولون،

وأبوه الملك فيليب الثاني المقودني، وأمه أوليمبياس أميرة إيبيروس

وابنه هو الإسكندر الرابع المقدوني

والأشقاء: كليوباترا المقدونية، فيليبوس الثالث المقدوني

الإسكندر الأكبر أو الإسكندر المقدوني (21 يوليو 356 ق.م. - 13 يونيو 323 ق.م.) حاكم الإمبراطورية المقدونية، قاهر الإمبراطورية الفارسية وواحد من أذكى وأعظم القادة الحربيين على مر العصور.

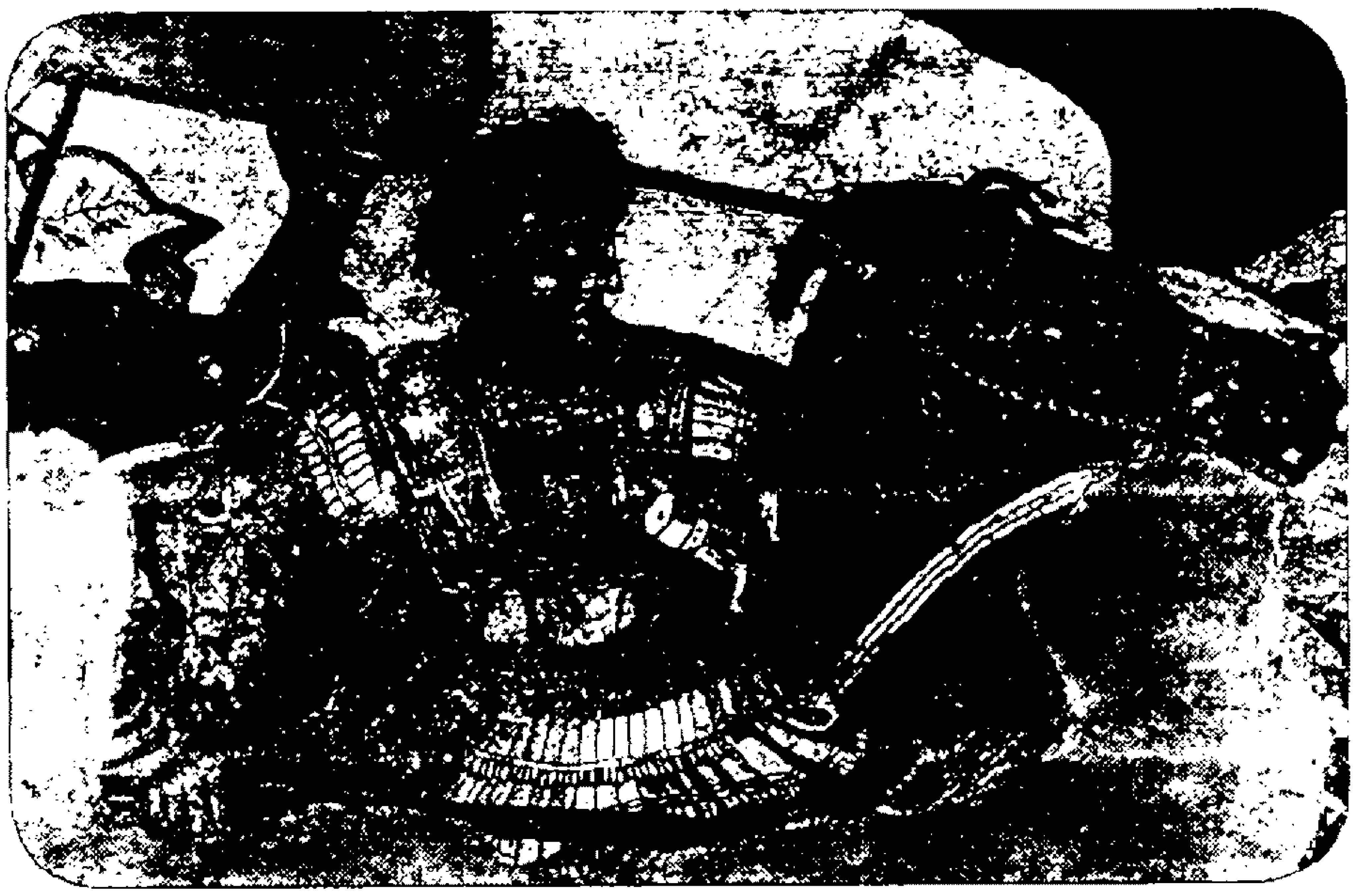
وُلد الإسكندر في بيلا، العاصمة القديمة لمقدونيا القديمة.

وكان أرسطو معلمه الخاص. دربه تدريبا شاملا في فن الخطابة والأدب وحفزه على الاهتمام بالعلوم والطب والفلسفة.

في صيف عام 336 ق.م.اغتيل فيليبوس الثاني فاعتلى العرش ابنه الإسكندر، فوجد نفسه محاطا بالأعداء ومهدا بالتمرد والعصيان من الخارج. فتخلص مباشرة من المتآمرين عليه وأعدائه في الداخل فحكم عليهم بالإعدام. كما فعل مع أميتناس الرابع المقدوني.

ثم انتقل إلى ثيساليا حيث حصل حلفاؤه هناك على استقلالهم وسيطرتهم

واستعادة الحكم فـي مقدونيا. وقبل نهاية صيف 336 ق.م. أعاد تأسيس موقعه فـي اليونان وتم اختياره من قبل الكونغرس في كورينث قائدا، واستطاع القضاء على دولة الفرس وقتـل ملكهم دارا وفتح مصر وكل بلاد الإمبراطورية الفارسية ولكنه ليس ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم وإن كان قد تشبه به ووضع قرنين على رأسه تشبهاً بذي القرنين.



نقش فسفساتي للإسكندر وهو يُقاتل شاه فارس داريوش الثالث. مأخوذة من «لوحة الإسكندر الفسيفساتية» المعروضة في متحف نابولي الوطني للآثار.



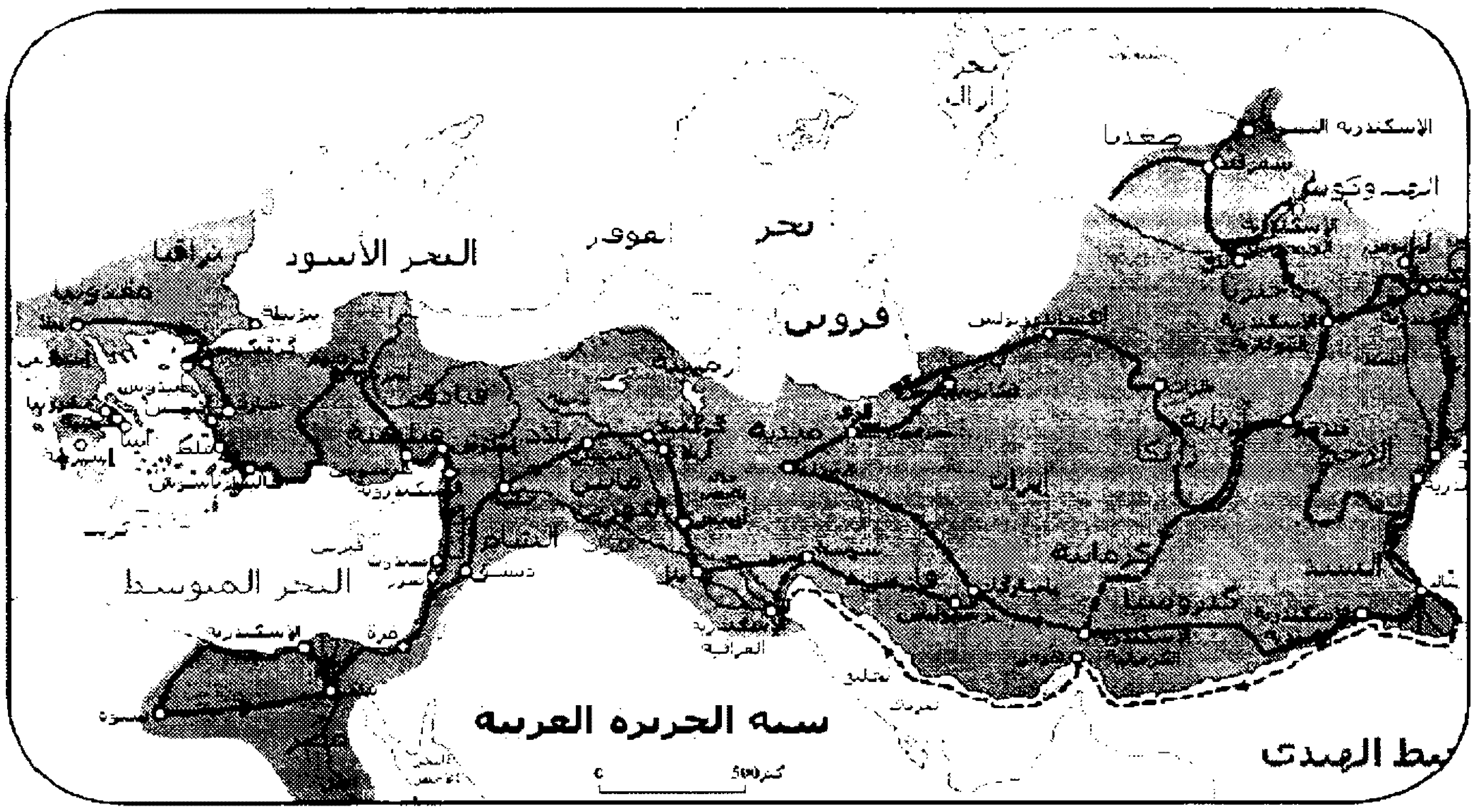
تمثال الملك فيليب الثاني الأعور والد الإسكندر المقدوني.



الإسكندر مع أستاذه أرسطو في مجلس علم.



بقايا آثار معبد آمون في واحة سيوة بمصر حيث توج الإسكندر فرعوناً أي حاكماً لمصر



خريطة توضح إمبراطورية الإسكندر بن فيليب المقدوني، وخط سيره وغزواته وهي رحلات وغزوات تختلف عما قام به ذو القرنين المذكور بالقرآن الكريم.



رجل بقرنين في اليمن إنه السيد صالح بن طالب صالح، الرجل الطاعن في السن ذو القرنين والذي نشرت «الأيام» خبراً عن نبت قرنين في رأسه، محط اهتمام بعض المهتمين في اليمن، كما تناولت قناة «العربية» الفضائية موضوع الظاهرة في اليوم نفسه وأفادت مصادر بشبوة بأن القرن الأيسر كان قد انكسر قبل نحو عام مضى ثم نبت من جديد فيما بقي القرن الأيمن على ما هو عليه. وهذا يعني أنه ممكن أن يكون لذي القرنين قرنان حقيقيان والله أعلم.



صورة لمعمرة لها قرن في جبينها.

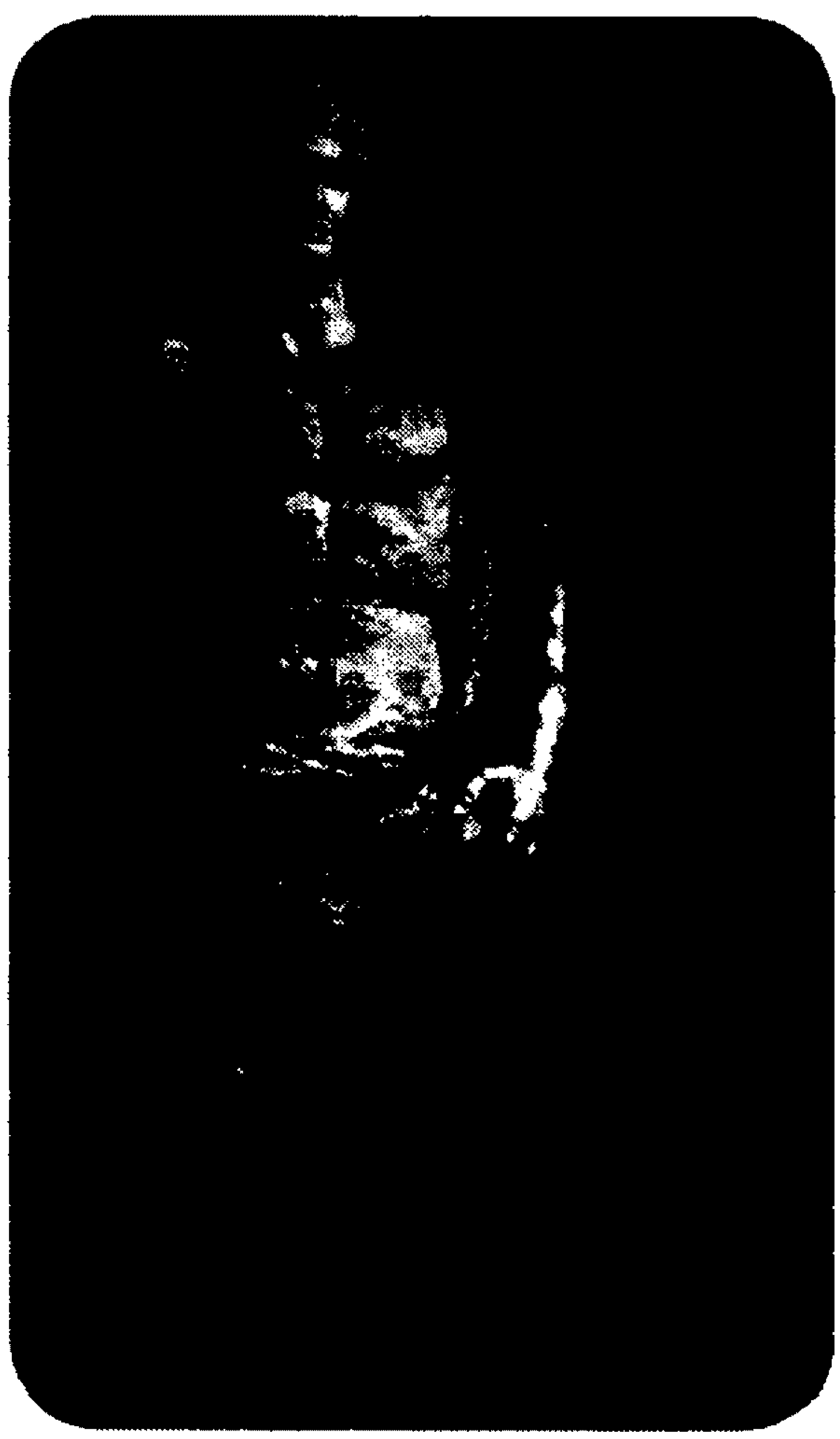




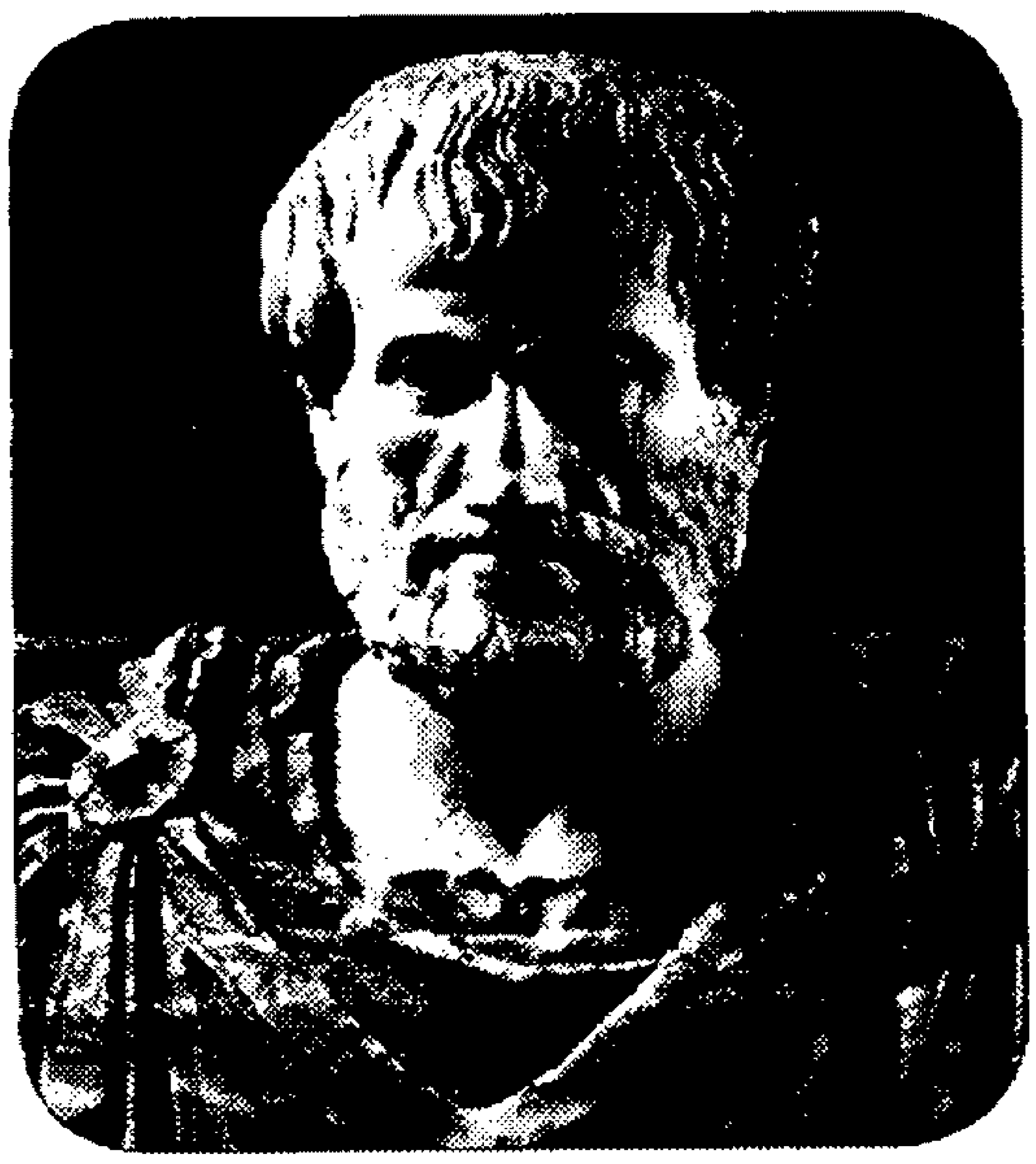
صور من الحلقة التليفزيونية التي أجراها التلفزيون مع المعمر اليمني الذي له قرنان في رأسه



رأس تمثال للإسكندر المقدوني الذي ظن البعض أنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم وهو ليس كذلك.



تمثال للإسكندر المقدوني في متحف أسطنبول.



معلم الإسكندر المقدوني ووزيره الفيلسوف أرسطاطليس



تمثال نصفي في حديقة (كيو) أو (كو) في لندن لرجل له لحية وقرنان برأسه يظن أنها للملك ذي القرنين التي يطلقون عليه الإسكندر الأول بن آراخ من العرب العاربة، ويقال أيضاً في الغرب إنه تمثال يمثل الشيطان.

3

شخصية وزمان ذي القرنين عند الكتاب المحدثين

- ذو القرنين عند (أبو الكلام) أزاد هو الملك الفارسي كورش.
- ذو القرنين والملك سليمان بن داود عليهم السلام ومعرفة العرب بشخصية ذي القرنين.
- ذو القرنين والملك الفرعوني إخناتون.
- هل كانت رحلة ذي القرنين للفضاء الخارجي وإن يأجوج ومأجوج من سكان أرض غير الكرة الأرضية؟

ذو القرنين عند (أبو الكلام) أزاد هو الملك قورش الفارسي

من الذين خاضوا في مسألة تحديد شخصية وزمان ذي القرنين هو العالم المسلم الهندي أبو الكلام آزاد والذي عمل وزيراً للمعارف في الهند وقام بعمل ترجمة لمفردات القرآن الكريم باللغة الأردية وقد عاصر الزعيم الهندي غاندي، ولد أبو الكلام آزار في مكة في 11 نوفمبر سنة 1888م (1306هـ) وتوفي في دلهي في 22 فبراير سنة 1958م (1377هـ).

وفي كتابه «يسألونك عن ذي القرنين» توصل أبو الكلام إلى أن ذي القرنين هو الملك الفارسي كورش الأكبر مؤسس الدولة الفارسية والذي هزم البابليين واحتل بابل وبلاد الشام ومصر، وحرر اليهود من الأسر البابلي وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين تحت حكم الفرس.

ورفض أبو الكلام آزار ما جاء في أقوال المفسرين الأقدمين وغيرهم من أن ذا القرنين هو الإسكندر الأكبر المقدوني أو الصعب بن ذي يزن الحميري أو غير ذلك ورد كل هذه الأقوال.

وقال عنها: إنها قامت على افتراض خاطيء لا يدعمه دليل، وعنى بالرد على من يقول بأنه الإسكندر المقدوني.. بأنه لا يمكن أن يكون هو المقصود بالذكر في القرآن، إذ لا تعرف له فتوحات بالمغرب، كما لم يعرف عنه أنه بنى سدا، ثم إنه ما كان مؤمنا بالله، ولا شفيقا عادلا مع الشعوب المغلوبة، وتاريخه مدون معروف.

كما عنى بالرد على من يقول بأنه عربي يمني.. بأن سبب النزول هو سؤال اليهود

للنبي عليه الصلاة والسلام عن ذي القرنين لتعجيزه وإحراجه. ولو كان عربيا من اليمن لكان هناك احتمال قوي لدي اليهود أن يكون عند قريش علم به، وبالتالي عند النبي ﷺ، فيصبح قصد اليهود تعجيز الرسول عليه الصلاة والسلام غير وارد ولا محتمل. لكنهم كانوا متأكدين حين سألوه بأنه لم يصله خبر عنه، وكانوا ينتظرون لذلك عجزه عن الرد.

ثم قال: «و الحاصل أن المفسرين لم يصلوا إلى نتيجة مقنعة في بحثهم عن ذي القرنين، القدماء منهم من لم يحاولوا التحقيق، والمتأخرون حاولوه، ولكن كان نصيبهم الفشل. ولا عجب فالطريق الذي سلكوه كان طريقا خاطئا. لقد صرحت الآثار بأن السؤال كان من قبل اليهود- وجهوه مباشرة أو أوعزوا لقريش بتوجيهه -فكان لائقا بالباحثين أن يرجعوا إلى أسفار اليهود ويبحثوا هل يوجد فيها شيء يلقي الضوء على شخصية ذي القرنين، إنهم لو فعلوا ذلك لفازوا بالحقيقة».

ولهذه توجه أبو الكلام آزاد إلى أسفار التوراة وكتب أهل الكتاب لكشف شخصية ذي القرنين ظنًّا منه أن اليهود كانوا على علم به.

مع تأكدهم بأن النبي عليه الصلاة والسلام أو العرب لم يطلعوا علي ما جاء في كتبهم.. فكان الاتجاه السليم هو البحث عن المصدر الذي أخذ منه اليهود علمهم بهذا الشخص.. ومصدرهم الأول هو التوراة.

وهذا هو الذي اتجه إليه أزاد، وأمسك بالخيط الدقيق الذي وصل به إلى الحقيقة.. وقرأ وبحث ووجد في الأسفار، وما ذكر فيها من رؤى للأنبياء من بني إسرائيل وما يشير إلى أصل التسمية: «ذي القرنين» أو «لوقرانائيم» كما جاء في التوراة.. وما يشير كذلك إلى الملك الذي أطلقوا عليه هذا اللقب، وهو الملك «كورش» أو «خورس» كما ذكرت التوراة وتكتب أيضا «غورش» أو «قورش».

وفي هذا يقول أزاد: «خطر في بالي لأول مرة هذا التفسير لذي القرنين في القرآن، وأنا أطالع سفر دانيال ثم اطلعت على ما كتبه مؤرخو اليونان فرجح عندي هذا الرأي،

ولكن شهادة أخرى خارج التوراة لم تكن قد قامت بعد، إذ لم يوجد في كلام مؤرخي اليونان ما يلقي الضوء على هذا اللقب».

ثم تأكد الأمر لديه بعد مشاهدته للكشف الأثري في إيران القديمة (أرض فارس) وهذا الكشف أزال الغموض والشكوك لديه فقال في ذلك:

فتقرر لدي بلا ريب أن المقصود بذي القرنين ليس إلا كورش نفسه فلا حاجة بعد ذلك آن نبحث عن شخص آخر غيره، إنه تمثال علي القامة الإنسانية، ظهر فيه كورش، وعلي جانبيه جناحان، كجناحي العقاب، وعلى رأسه قرنان كقرني الكبش، فهذا التمثال يثبت بلا شك أن تصور «ذي القرنين» كان قد تولد عند كورش، ولذلك نجد الملك في التمثال وعلي رأسه قرنان» أي أن التصور الذي خلقه أو أوجده اليهود للملك المنقذ لهم «كورش» كان قد شاع وعرف حتى لدى كورش نفسه على أنه الملك ذو القرنين، أي ذو التاج المثبت على ما يشبه القرنين.

واستند إلى شهادة أعداء الفرس وكورش وهم اليونان لشخص كورش حتى يقارنه بأوصافه في سورة الكهف حيث يعد هذا الفيصل في الموضوع لدي المفسر المؤمن بالقرآن، ويقول أزاد: إنه لم توجد مصادر فارسية يمكن الاعتماد عليها في هذا، ولكن الذي أسعفنا هو الكتب التاريخية اليونانية، ولعل شهادتها، تكون أوثق وأدعى للتصديق، إذ أن المؤرخين اليونان من أمة كان بينها وبين الفرس عداء مستحكم ومستمر، فإذا شهدوا لكورش فإن شهادتهم تكون شهادة حق لا رائحة فيها للتحيز، ويستشهد أزاد في هذا المقام بقول الشاعر العربي:

ومليحة شـــهدت لها ضراتها   والفضل ما شهدت به الأعداء

فالمؤرخون اليونان قد أجمعوا علي أنه كان ملكا عادلا، كريما، سمحا، نبيلا مع أعدائه، صعد إلى المقام الأعلى من الإنسانية معهم. وقد حدد أزاد الصفات التي ذكرها القرآن لذي القرنين، ورجع لهذه المصادر اليونانية فوجدها متلاقية تماما مع القرآن الكريم، وكان هذا دليلا قويا آخر على صحة ما وصل إليه من تحديد لشخصية ذي القرنين، تحديدا لا يرقى إليه شك.

والكشف الأثري الذي أكد له أن كورش هو ذو القرنين هو تمثال حجري للملك كورش وجد في مكان يبعد عن عاصمة إيران القديمة إصطخر نحو خمسين ميلاً على شاطئ نهر مرغاب.(1)

والملك كورش (599 ق.م حتى 525 ق.م) من أسرة فارسية ظهر في منتصف القرن السادس قبل الميلاد في وقت كانت فيه بلاده منقسمة إلي دويلتين تقعان تحت ضغط حكومتي بابل وآشور القويتين، فاستطاع توحيد الدولتين الفارسيتين تحت حكمه، ثم استطاع أن يضم إليها البلاد شرقا وغربا بفتوحاته التي أشار إليها القرآن الكريم، وأسس أول إمبراطورية فارسية، وحين هزم ملك بابل سنة 538 ق.م. أتاح للأسرى اليهود فيها الرجوع لبلادهم، مزودين بعطفه ومساعدته وتكريمه. وظل حاكما فريدا في شجاعته وعدله في الشرق حتى توفي سنة 529 ق.م.

وذكر «آزاد» أن كورش كان ملكاً عظيماً مؤمناً بالله واستند إلى ما ذكرته نصوص العهد القديم عنه حيث وصفه بأنه مسيح عصره ينقذ اليهود بأمر الرب وأنه كان عادلاً واستند لأقوال المؤرخين الذين ألفوا كتبهم في عصر الملك «أردشير» وكانوا من قوم اليونان أعداء الفرس الذين هزمهم كورش، فيقول هيرودتس المؤرخ الشهير: كان كورش ملكاً كريماً جواداً سمحاً للغاية، لم يكن حريصاً على جمع المال كغيره من الملوك بل كان حرصه على الكرم والعطاء، يبذل العدل للمظلومين ويحب ما فيه خير البشر.

وقال أيضاً إن كورش كان على دين زاردشت نبي الفرس وذلك قبل تحريفه وكان هذا الدين معروفاً عند العرب بالمجوسية. (2) وأن أصل هذا الدين لايدعو إلى عبادة النار وإنما يدعو إلى عبادة إله واحد، وكان أبو الريحان البيروني قد قال في كتابه «الآثار الباقية» أن هناك فرقاً بين الدين الزردشتي ودين المجوسية عبدة النار، وذكر شيخ الأشراف شهاب الدين المقتول في كتابه «حكمة الأشراق» أن زرادشت كان نبيًّا ووافقه قطب الدين الشيرازي.

1- ويعتقد البعض أن هذا التمثال أقيم في عهد الملك أردشير، وموجود في إصطخر.

2- من المعلوم أن النبي ﷺ عامل أتباع زرادشت (المجوس) معاملة أهل الكتاب، غير ناكحي نساءهم ولا آكلي ذبائحهم.

لكل هذه الأسباب صرح أبو الكلام أزاد في كتابه «يسألونك عن ذي القرنين» أن الملك الفارسي كورش الكبير هو نفسه ذو القرنين وبالتالي يكون زمانه في الفترة من (599 ق.م - 529 ق.م).

وقد ذكر هيرودوت أن كورش مات مقتولاً في معركة مع السكيثيين، ولكن المؤرخ زينوفون حكى قصة أخرى عن مقتله قائلاً: إن كورش عقد صلحاً مع ملكة الماسيجيتس وعاد إلى بلاد فارس وعندما شعر باقتراب أجله أمر أبناءه وقادة مملكته بالاجتماع حوله ثم اختار ابنه قمبيز خلفاً له ومات على فراشه.

وتم نقل جثمانه إلى مدينة باسا رجاد - بازار قادش - وفيها دفن ويوجد قبره حتى الآن بها.

وقال عنه مايكل هارت صاحب كتاب «العظماء مائة» أن كورش كان قائداً عسكريًّا بارعاً ولم تكن براعته العسكرية إلا جانباً واحد من عظمته، أما العظمة الحقيقية فهي تسامحه الديني فلم يكن متعصباً، إنما كان رجلاً رحيماً.

واعتبره مايكل هارت أحد الذين غيروا مجرى التاريخ، وأنه استطاع توحيد الدول المتناحرة في عصره وصنع إنجازات كنت نقطة تحول في التاريخ السياسي للعالم القديم.

ويقول سفر اشيعاء من العهد القديم عن كورش: «هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً، وأحقاء ملوك أحل، لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب لا تغلق، أنا أسير قدامك والهضاب أمهد. اكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد أقصف. وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابيء» (اشعيا الإصحاح ٤٥).

وفي سفر الأيام الثاني: «وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس لأجل تكميل كلام الرب نعم أرميا، نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداء في كل مملكته وكذا بالكتابة قائلاً: هكذا قال كورش ملك فارس: إن الرب إله السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشاليم التي في يهوذا، من منكم من جميع شعبه، الرب إلهه معه وليصعد».

وهكذا نجد أن العهد القديم عند اليهود يشير إلى كون كورش هو مسيحهم المنتظر وأنه جاء لتحقيق الرؤيا التي فسرها النبي دانيال لنبوخذنصر.[1]

ورغم ما ذكره «أزاد» عن الملك كورش والتي تشير إلى كونه ملكاً عادلاً صالحاً إلا أن مصادره من كتب أهل الكتاب تجعلنا نتوقف فلا نصدق ولا نكذب كما أمرنا رسولنا ﷺ.

وأما عن يأجوج وسد ذي القرنين فيقول أبو الكلام أزاد: لقد تضافرت الشواهد علي أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية، تدفقت سيولها من قبل العصر التاريخي إلى القرن التاسع الميلادي نحو البلاد الغربية والجنوبية، وقد سميت بأسماء مختلفة في عصور مختلفة، وعرف قسم منها في الزمن المتأخر باسم «ميغر» أو «ميكر» في أوروبا.. وباسم التتار قي آسيا، ولاشك أن فرعا لهؤلاء القوم كانوا قد انتشروا على سواحل البحر الأسود في سنة 600 ق.م.

وأغار على آسيا الغربية نازلا من جبال القوقاز، ولنا أن نجزم بأن هؤلاء هم الذين شكت الشعوب الجبلية غاراتهم إلى «كورش» فبني السد الحديدي لمنعها، وتسمى هذه البقعة الشمالية الشرقية (الموطن الأصلي لهؤلاء باسم «منغوليا» وقبائلها الرحالة «منغول»، وتقول لنا المصادر اليونانية أن أصل منغول هو «منكوك» أو «منجوك» وفي الحالتين تقرب الكلمة من النطق العبري «ماكوك» والنطق اليوناني «ميكاك» ويخبرنا التاريخ الصيني عن قبيلة أخري من هذه البقعة كانت تعرف باسم «يواسي» والظاهر أن هذه الكلمة ما زالت تحرف حتى أصبحت يأجوج في العبرية.

ويقول: «إن كلمتي: «يأجوج ومأجوج» تبدوان كأنهما عبريتان في أصلهما ولكنهما في أصلهما قد لا تكونان عبريتين، إنهما أجنبيتان اتخذتا صورة العبرية فهما تنطقان باليونانية

1- اقرأ كتابنا «الشرق الأوسط في نبوءات الكتب المقدسة» وكتابنا «نبوخذنصر قاهر الملوك واليهود» الناشر: دار الكتاب العربي.

«كاك وماكوك» وقد ذكرتا بهذا الشكل في الترجمة السبعينية للتوراة، وراجتا بالشكل نفسه في سائر اللغات الأوروبية».

والكلمتان تنطقان في القرآن الكريم بهمز وبدون همز. وقد استطرد أزاد بعد ذلك لذكر الأدوار السبعة أو الموجات السبع التي قام بها هؤلاء بالإغارة علي البلاد الغربية منها والجنوبية.

ثم يحدد مكان السد بأنه في البقعة الواقعة بين بحر الخزر «قزوين» و«البحر الأسود» حيث توجد سلسلة جبال القوقاز بينهما، وتكاد تفصل بين الشمال والجنوب إلا في ممر كان يهبط منه المغيرون من الشمال للجنوب، وفي هذا الممر بني كورش سده، كما فصله القرآن الكريم، وتحدثت عنه كتب الآثار والتاريخ. ويؤكد أزاد كلامه بأن الكتابات الأرمنية - وهي كشهادة محلية - تسمي هذا الجدار أو هذا السد من قديم باسم «بهاك غورائي» أو «كابان غورائي» ومعني الكلمتين واحد وهو مضيق «غورش» أو «ممر غورش» و«غور» هو اسم «غورش أو كورش».

ويضيف أزاد فوق هذا شهادة أخرى لها أهميتها أيضا وهي شهادة لغة بلاد جورجيا التي هي القوقاز بعينها. فقد سمي هذا المضيق باللغة الجورجية من الدهور الغابرة باسم «الباب الحديدي».

وبهذا يكون أزاد قد حدد مكان السد وكشف المراد من يأجوج ومأجوج.. وقد تعرض لدفع ما قيل إن المراد بالسد هو سد الصين، لعدم مطابقة مواصفات سد الصين لمواصفات سد ذي القرنين ولأن هذا بني سنة 264 ق.م. بينما بني سد ذي القرنين في القرن السادس قبل الميلاد. كما تعرض للرد على ما قيل بأن المراد بالسد هو جدار دربند، أو باب الأبواب كما اشتهر عند العرب بأن جدار دربند بناه أنوشروان (من ملوك فارس من 531 - 579 م) بعد السد بألف سنة، وأن مواصفاته غير مواصفات سد ذي القرنين وهو ممتد من الجبل إلى الساحل ناحية الشرق وليس بين جبلين كما أنه من الحجارة ولا أثر فيه للحديد والنحاس.

وعلى ذلك يكون المقصود بالعين الحمئة هو الماء المائل للكدرة والعكارة وليس صافيا. وذلك حين بلغ الشاطيء الغربي لآسيا الصغري ورأى الشمس تغرب في بحر إيجه في المنطقة المحصورة بين سواحل تركيا الغربية شرقا واليونان غربا وهي كثيرة الجزر والخلجان.

والمقصود بمطلع الشمس هو رحلته الثانية شرقا التي وصل فيها إلى حدود باكستان وأفغانستان الآن ليؤدب القبائل البدوية الجبلية التي كانت تغير على مملكته.

والمراد ببين السدين أي بين جبلين من جبال القوقاز التي تمتد من بحر الخزر (قزوين) إلي البحر الأسود حيث اتجه شمالا.

وكما قلنا فقد اعتمد «أزاد» رحمه الله على مصادر أهل الكتاب في تحديد شخصية ذي القرنين، لكننا لانستطيع أن نجزم بصحة هذا التحديد، ولكننا نستطيع أن نقول إن كورش الفارسي يعد مثل ذي القرنين الذي هو نموذج للحاكم العادل على مر التاريخ ولكن لايجوز أن يكون هو نفسه - والله أعلم.

ذو القرنين والملك سليمان بن داود عليهم السلام ومعرفة العرب بشخصية ذي القرنين

الملك النبي سليمان بن داود النبي الملك عليهما السلام هو من أنبياء وملوك بني إسرائيل ومن الذين ملكوا الأرض وجاء ذكره في القرآن الكريم سبع عشرة مرة في ست عشرة آية، سخر الله له الجن والشياطين يعملون بأمره ما يشاء وسخر له الرياح وعلمه منطق الطير والحيوان والحشرات ووهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.(1)

ولأن سليمان عليه السلام أعطاه الله ملكاً عظيماً ويسر له الأسباب وسخر له كل شيء حوله في الطبيعة وكان له جيش عظيم من الإنس والجن والشياطين والطير والحيوان والرياح فقد قال البعض أنه ذو القرنين وذلك من باب تفسير القرآن بالقرآن.(2)

واستند صاحب هذا الرأي إلى تشابه الآيات التي وصفت ملك سليمان عليه السلام والأخرى في سورة الكهف التي وصفت ذا القرنين وملكه وقال إن اليهود يسألون رسول الله ﷺ عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ولم يذكروا اسم هذا الرجل، بل إن القرآن الكريم هو الذي سمى لهم اسم هذا الرجل ولقبه هو ذو القرنين، ولا يمكن أن يجاب عن مجهول إلا أن يكون ذو القرنين علماً.

وكان ذو القرنين معروفاً عند العرب، فقد جاء في فتح الباري لشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني أن ذا القرنين من العرب وقد ذكروه في أشعارهم، قال أعشى بن ثعلبة:

والصعب ذو القرنين أمسى ثاويا ... بالحنو في جدث هناك مقيم (3)

1- اقرأ كتابنا «النبي الملك سليمان بن داود» ففيه المزيد عن هذا الملك النبي، الناشر: دار الكتاب العربي.

2- بحث للشيخ صلاح أبو عرفة عن ذي القرنين حيث قال إنه سيدنا سليمان عليه السلام.

3- والحنو بكسر الحاء المهملة وسكون النون في ناحية المشرق.

وقال الربيع بن ضبيع:

والصعـب ذو القرنين عمر ملكه ألفيـن أمسى بعد ذاك رميمـا

وقال قس بن ساعدة:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا باللحد بين ملاعب الأرياح

وقال تبع الحميري:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتحشد

ومن بعده بلقيس كانت عمتي ملكتهم حتـى أتاها الهدهـد

وقال بعض الحارثيين يفتخر بكون ذي القرنين من اليمن يخاطب قوماً من مضر:

سموا لنا واحدا منكم فنعرفه فـي الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتبعين وذي القرنيـن يقبلـه أهل الحجى وأحق القول ما قيلا

وقال الصحابي النعمان بن بشير الأنصاري:

ومن ذا يعـادينـــا من الـنـاس معشر كرام وذو القرنين منا وحاتم(1)

وقد ذكر أيضاً ذو القرنين في أشعار امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد البكري وغيرهم.

إذاً فهو معروف عند العرب القدماء وكانوا يفتخرون به وبما آتاه الله من الملك ولهذا ذكره القرآن باللقب الذي اشتهر.

أما مـن قال أنه سيدنا سليمان عليه السلام لأن الله عـز وجل مكن لـه فـي الأرض مثـل ذي القرنين، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 16].

ودعا سليمان ربه: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: 35] ولم يقل ينبغي لأحد من قبلي وذو القرنين كان قبل سيدنا سليمان عليه السلام.

لقد استند صاحب الرأي بأن سليمان هو ذو القرنين بقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: 35].

١ – يقصد حاتم الطائي المشهور بالكرم.

وقال عن ذي القرنين في سورة الكهف: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84].

وهناك فرق بين القولين فالأول هو قول نبي الله سليمان عليه السلام والقول الثاني هو قول الله عز وجل، فقول سليمان هو من باب الشكر لنعم الله عليه، ولكن ذا القرنين أتاه الله من كل شيء سبباً، أي سخر له كل شيء ليكون طريقاً ومعيناً كل ينفذ أمر الله في رحلته وطوافه حول العالم فيكون ما سخره الله لذي القرنين أعظم مما سخره لسليمان عليه السلام لأن تلك الخاصية وهذا الفضل المذكور في الآية بذي القرنين تعود لله عز وجل.

وأما قول سليمان عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 35] فهو قول الحمد لله على فضله وقد جاء في الآيات الأخرى أن سليمان علم منطق الطير والحشرات مثل النمل وأسال الله له عين القطر وسخر له الرياح والجن والشياطين، أما ذو القرنين فالآية تشير إلى أن الله عز وجل جعل له كل شيء في الأرض معيناً له ووسيلة لبلوغ رحلته وتمكينه في الأرض.

فسليمان بن داود لا يمكن أن يكون ذا القرنين والله أعلم، فقد كان العرب يعلمون من هو ذو القرنين وقد يقول قائل ولماذا لم يجب الرسول ﷺ على الذين سألوه عن ذي القرنين، والإجابة ببساطة أن اليهود لم يذكروا اسم ذي القرنين أو لقبه في السؤال وإنما قالوا رجل طاف بالأرض.

ولهذا قال النبي ﷺ سأجيب عليكم غداً، وانتظر أن يأتيه الوحي من الله بالإجابة، ولكن لأنه قال غداً ولم يقل إن شاء الله تأخر الوحي عليه، ولكنه جاء بعد ذلك بالإجابة ومعلماً النبي ﷺ أن يقول: «إن شاء الله» فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: 23، 24]

وجاء الجواب بأن هذا الرجل الطواف الذي يسألون عنه هو ذو القرنين المعروف عند العرب القدماء.

هل ذو القرنين هو الملك الفرعوني إخناتون؟

من آراء المحدثين من الكتاب في عصرنا الحديث نعرض لرأيين الأول يرى أن ذا القرنين هو الملك المصري الفرعوني أخناتون والرأي الثاني يقول إن رحلة ذي القرنين كانت رحلة فضائية لكوكب آخر يسكنه يأجوج ومأجوج ولكل منهما رأيه واجتهاده.

أما الرأي الأول في كتاب أسرار ذي القرنين للأستاذ/ حمدي بن حمزة أبو زيد.

فالمؤلف يتعرض إلى التاريخ القديم لمصر القديمة الفرعونية التي تعرضت لغزو قبائل الهكسوس الآسيوية وحكموا مصر القديمة لأكثر من 150 سنة أو أكثر وانتهت حقبة حكمهم لمصر حوالي عام 1500 ق.م.

وانتهى البحث إلى أن ذا القرنين هو أمنحوتب الرابع ابن أمنحوتب الثالث ذلك الفرعون الذي عاصر موسى عليه السلام ومات غرقاً كما ذكر لنا رب العزة في القرآن الكريم، وأضاف أيضاً إلى أخناتون هو نفسه مؤمن آل فرعون الذي جاء ذكره في سورة غافر قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ [غافر: 27-28]

واستدل بأن مؤمن آل فرعون هو ابن الملك أمنحوتب الثالث بأن الملك وقومه لم يصدروا أمراً بقتله، ثم ذكر أنه لم تعثر على رفات أمنحوتب الرابع في مصر وكذلك زوجته نفرتيتي حيث أنه هاجر من مصر وطاف بالأرض واستقر بالصين وتوفي هناك حسب رأيه وما توصل إليه.

وذكر المؤلف أن أخناتون وهو الاسم الجديد لأمنحوتب الرابع بعد توليه الملك ودعوته للتوحيد حيث ثار على عبادة الإله «رع» الذي كان يعبده الفراعنة، وقال أيضاً: إن أخناتون وموسى عاشا في قصر الفرعون منذ ولادته كما ذكر القرآن الكريم وبالتالي كان إيمانه بالله على يد موسى عليه السلام.

وبعد غرق فرعون وجنوده في البحر إثر لحاقهم موسى وبني إسرائيل تولى أخناتون حكم مصر ودعا الكهنة ورموز الحكم إلى عبادة الله الواحد الأحد، فرفضوا وتآمروا عليه واضطر إلى الهجرة وترك الحكم ومصر وطاف بالأرض ومعه أتباعه وزوجته نفرتيتي وحاشيته.

وانطلق أخناتون (ذو القرنين) من مصر على سفن فرعونية عبر البحر الأحمر فمضيق عدن إلى بحر العرب فالمحيط الهادي حتى خط الاستواء وحيث مغرب الشمس ثم العودة غرباً من خلال نفس المحيط حتى بلوغ بحر الصين ثم بلاد بين السدين حيث قصة يأجوج ومأجوج وبنائه الردم، وذكر أن بلاد مغرب الشمس هي جزر المالديف والعين الحمئة ما هي إلا حلقات حلزونية أو برك حامية في المحيط أو فوهات البراكين الثائرة في زمنه.

وذكر أن مطلع الشمس هو ذلك المكان الواقع في المحيط الهادئ على خط الاستواء والذي يعرف الآن بجمهورية «كيريباتي» والمناطق والجزر القريبة منها على نفس خط الاستواء.

وهذه الاستنتاجات نراها اجتهاد بعيد عن الواقع التاريخي حيث إن أخناتون لم يكن معاصراً لسيدنا موسى عليه السلام وإن كان البعض يرى أنه كان معاصراً لسيدنا يوسف عليه السلام، ولكن التاريخ غير ذلك حيث إن أخناتون لم يكن معاصراً لأحد من الأنبياء وإن مات في مصر حيث تآمر كهنة آمون ضده وتم قتله بالسم وجاء بعده توت عنخ آمون وكان أخناتون قد ألغى عبادة آمون وأقر عبادة آتون.

وتسمى به فأصبح اسمه «أخناتون» وآتون هو إله الشمس.

وأما الربط بين مؤمن آل فرعون وشخص ذي القرنين فهو بعيد عن الحقيقة التاريخية.

إن المسائل التاريخية هذه لا تبنى على الظن، فهناك من قال إن فرعون موسى من الأسرة التاسعة عشرة وأنه الملك رمسيس الثاني وهو الأرجح وأخناتون (أمنحتوب الرابع) من الأسرة الثامنة عشرة أضف إلى أنه قد تم اكتشاف مومياء أخناتون مؤخراً وأعلن عن ذلك في مؤتمر صحفي في 17/ 2/ 2010م بعد أكثر من 120 عاماً من البحث والتنقيب وتم التأكد من المومياء بعمل تحليل البصمة الوراثية وتحليل الجينات ووجدت مطابقة وأن الفرعون هو أخناتون وإله توت غنخ آمون، ووجدت المقبرة رقم 55 في وادي الملوك.(1)

1- أعلن الأمين العام السابق للمجلس الأعلى للآثار زاهي حواس في المتحف المصري أن تحاليل (الدي إن آيه) قد تكون قدمت الدليل في العثور على مومياء فرعون التوحيد أخناتون الذي كان يشكل لغزا كبيرا في تاريخ الاسرة 18 (1550 - 1307 قبل الميلاد).

وقال حواس في مؤتمر صحافي بالمتحف المصري يوم الأربعاء 17-2-2010، «بعد أكثر من 120 عاما من البحث عن المصير المجهول لمومياء الملك أمنحتب الرابع المعروف باسم أخناتون مؤسس أول ديانة توحيدية في مصر والعالم القديم تتوفر دلائل كثير تشير إلى أنه تم العثور على مومياء هذا الملك».

وأضاف «خلال البحث عن عائلة توت عنخ آمون تبين عبر تحليل البصمة الوارثية وتحليل الجينات أن مومياء في المقبرة 55 في وادي الملوك هي مومياء والد الملك الذهبي توت عنخ آمون».

وتابع «كان يعتقد أن المومياء تعود لرجل توفي بين سن 20 و25 عاما. لكن تبين نتيجة الأبحاث أنه توفي بين 45 و50 عاما وهو ابن لأمنحتب الثالث والملكة تي مما يشير إلى أنه هو نفسه أخناتون».

وأكد حواس أنه «تم العثور على الملكة تي التي توقع علماء في وقت سابق أنها زوجة أمنحتب الثالث وأم أخناتون، في مقبرة أمنحتب الثاني»، موضحا أنه «تم بذلك حسم أن نفرتيتي لا يمكن أن تكون والدة توت عنخ آمون وان كانت هي من أنجبت شقيقاته الست».

وأشار إلى أن الملكة تي «من أقوى الملكات التي عرفتهن مصر القديمة».

وتابع حواس أنه «عثر على أم توت عنخ آمون أيضا في المقبرة نفسها وتبين أيضا أنها ابنة الملكة تي وأمنحتب الثالث لكننا لا نعرف من هي من بين بنات الملك أمنحتب الثالث الخمس».

وإذا كانت المومياء التي عثر عليها في المقبرة 55 في وادي الملوك هي مومياء الملك أخناتون، فإن أسطورة العلاقة مع النبي موسى انتهت لأن التوراة تشير إلى وفاته في الأردن.

وقال حواس أنه «لا يستبعد أن يكون أخناتون نبيا لكنه من الأنبياء الذي لم يتم الحديث عنهم خصوصا=

والقارئ لقصة حياة أخناتون يجده أنه أراد توحيد عبادة الآلهة وأنه كان يعبد إله الشمس وهذا واضح في الجداريات المنسوبة له، و جمعه الناس على عبادة الشمس لا تعني أنه من الموحدين.

ولم يستطع أخناتون رغم كونه فرعون أن يقنع قومه بعقيدة التوحيد كما يقول المؤلف فقرر الهجرة للبحث عن مغرب الشمس ومطالعها!! وهذا كلام ينافي وظيفة ذي القرنين المؤيد من الله والذي حكم الأرض في زمانه.

وإتماماً للفائدة نذكر القارئ العزيز أن أخناتون ليس هو فرعون مصر الذي عاصر سيدنا يوسف عليه السلام كما ادعت إيران في مسلسل لها شهير لسيرة وقصة يوسف عليه السلام، لأن يوسف عليه السلام كان في عصر الهكسوس الرعاة الذين احتلوا مصر وحكموها فترة من الزمان.

قال الدكتور عطية القوصي أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة: لا أعتقد أن سيدنا يوسف عليه السلام قد عاش في عصر ما قبل الهكسوس أو ما بعد الهكسوس، وإنما عاش في عهد الهكسوس أنفسهم، وأن فرعون مصر بالتالي لابد أن يكون أحد ملوك الهكسوس الرعاة وليس فرعون مصريا من صميم الحياة المصرية!

=وأنه أول موحد في التاريخ المعروف إلى جانب ما قاله حول الجنة والنار والعقاب والثواب والعلاقة مع الخالق بما لا يخالف ما قدمته الديانات السماوية التوحيدية».

وأعادت الفحوصات التي أجراها فريقان مصريان وأكدها مستشاران ألمانيان إلى جانب ثمانية خبراء تابعين لمجلة جاما المتخصصة أسباب وفاة الملك الذهبي توت عنخ آمون في سن مبكرة جدا ولم يكن يتجاوز التاسعة عشرة في العام 1324 قبل الميلاد إلى «إصابة حادة بالملاريا»، ما ينفي كليا فكرة مقتله أو اغتياله.

وقال حواس إن «الكسر الموجود في ساقه قد يكون نتيجة سقوطه خصوصا وأن نتائج الفحوصات تدفعنا للاعتقاد بأن قصورا في الدورة الدموية في انسجة العظام أضعفتها واستبعد أن يكون الثقب في الجمجمة يعود لحادث قتل لأن هذا الثقب كان يستخدم في التحنيط لسكب السائل داخل الجمجمة».

وأجري هذا التشخيص بعد أن أظهرت التحاليل الجينية سلسلة من التشوهات لدى عائلة توت عنخ آمون بينها مرض كوهلر الذي يدمر الخلايا العظمية. وكان الفرعون الشاب يعاني من تشوه ولادي في القدمين يعرف باسم التفاف القدم أو حنف القدم تكون فيه كعب القدم وأصابعها معقوفة إلى الداخل.

إن قراءة فاحصة لآيات سورة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم تدلنا على أن الله عز وجل لم يذكر في الآيات كلها اسم(الفرعون) أبدا، بل قال الملك طوال الوقت قال الحق: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾[يوسف : 43].

وقال الحق تعالى في نفس السورة: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[يوسف : 50].

وقال الحق أيضاً: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾[يوسف : 54، 56].

وهكذا لم يذكر الله اسم الفرعون في آيات سورة يوسف وإنما قال الملك.

بينما في السورة التي ورد الحديث فيها عن موسى عليه السلام ذكر الله اسم الفرعون واضحا صريحا ولم يقل الملك أبدا.

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف: 104].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الشعراء : 23، 24].

وقال الحق: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾[غافر : 36].

وهنا ذكر الله اسم فرعون واضحا صريحا.. ونخرج من ذلك كله بأن الجالس على عرش مصر في أيام يوسف عليه السلام لم يكن من الفراعنة وإنما كان ملكا غريبا عن البلاد من الهكسوس الرعاة أو من العرب العماليق، بينما فرعون موسى كان من الأسرة الفرعونية القادمة من جنوب مصر.

ولإيضاح الصورة نلقي الضوء على شخصية أخناتون فمعنى اسم أخناتون (الروح الحية لآتون إله الشمس) وقد عرف أيضا قبل خمسة أعوام بـ أمنمحتب الرابع وكان

فرعون من الأسرة الثامنة عشرة الذي حكم مصر لمدة 17 عاما وتوفي ربما في 1336 ق.م أو 1334 ق.م. يُشتهر بتخليه عن تعدد الآلهة المصرية التقليدية وإدخال عبادة جديدة تركزت على آتون، التي توصف أحيانا بأنها ديانة توحيدية أو هينوثية.

حاول أخناتون إحداث مفارقة عن الدين التقليدي، ولكن في النهاية لم يكن مقبولا. فبعد وفاته، تم استعادة الممارسة الدينية التقليدية تدريجيا، وتأسيس أسرة جديدة، وأساؤوا لسمعة أخناتون وخلفائه، مشيرا إلى أخناتون نفسه بأنه «العدو» في السجلات الأرشيفية.

ونقل العاصمة من طيبة إلى عاصمته الجديدة أخيتاتون بالمنيا، وفيها ظهر الفن الواقعي ولاسيما في النحت والرسم كما في مقبرة رع موسى وظهر أدب جديد يتميز بالأناشيد للإله الجديد آتون، أو ما يعرف حاليا بنظام تل العمارنة.

كان أخناتون متزوجا بزوجته الملكة الرئيسية نفرتيتي التي كانت تشاركه الفكر في عبادة آتون وتظهر معه في الاحتفالات الدينية. وتزوج زوجة ثانية تدعى «كيا»، والتي يرجح أنها والدة توت عنخ أمون. وقد أعلن المجلس الأعلى للآثار المصرية في شهر أبريل عام 2010م أنه بناء على اختبارات الحمض النووي المعروف اختصارا بـ «الدنا»، أن تلك الفحوص تبين أن توت عنخ آمون هو ابن الملك أخناتون بالفعل.

انشغل الملك أخناتون بفلسفته وإصلاحاته الدينية وانصرف عن السياسة الخارجية وإدارة الإمبراطورية الممتدة حتى أعالي الفرات والنوبة جنوبا، فانفصل الجزء الآسيوي منها. ولما مات خلفه سمنخ كا رع الذي حكم فترة وجيزة، ثم خلف «سمنخ كا رع» أخوه توت عنخ أمون الذي كان صغير السن وارتد عن عقيدة آتون وترك العاصمة أخيتاتون عائدا إلى طيبة (الأقصر اليوم)، وأعلن عودة عقيدة أمون تحت ضغط كهنة أمون الذين كانوا لا يزالون على عقيدة الإله أمون رع، رافضين ما يقدمه لهم أخناتون من فكرة الإله الجديد أتون. تحت تلك الضغوط وبسبب صغر سنه فقد غير اسمه من

«توت عنخ أتون» إلى توت عنخ آمون. وهدم كهنة طيبة آثار أخناتون ومدينته أخيتاتون ومحوا اسمه من عليها، وهجرها الناس.

وهناك العديد من النظريات حول مصير أخناتون إلا أنه لا يوجد دليل قاطع على ما حل به بعد سنوات من انتقاله إلى عاصمته الجديدة. وطبقا لمراسلاته مع ملك الحيثيين فقد وصلته تهنة من الملك بالانتقال إلى العاصمة الجديدة أخيتاتون. وجاء في تلك المخطوطات أن ملك الحيثيين كان يشكو من عدم إجابة أخناتون على رسائله. إذ كان أخناتون مشغولا في التفكير وعبادة الإله الجديد آتون، وكان يلاقي معارضة شديدة من قبل كهنة الإله آمون لدينه الجديد، وأهمل بذلك الشؤون الخارجية للبلاد. وبدأت على ساحة الشرق الأوسط في هذا العهد بلاد عظمى أخرى منافسة لمصر.

وقد استمر البحث عن مقبرة الملك أخناتون منذ العثور على أولى مقابر وادي الملوك في القرن الـ19 وفي القرن العشرين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة، حتى بدأت الدراسات التي أجراها المجلس الأعلى للآثار وجامعة القاهرة على المومياوات، حيث أعلن في فبراير 2010 أن الفريق قد اكتشف عبر تحليل البصمة الوراثية وتحليل الجينات أن «مومياء في المقبرة 55 في وادي الملوك هي مومياء والد الملك الذهبي توت عنخ آمون، وكان يعتقد أن المومياء تعود لرجل توفي بين سن 20 و25 عاما، إلا أنه تبين من نتيجة الأبحاث أنه توفي بين سن 45 و50 عاما، وهو ابن لأمنحتب الثالث والملكة تيي، مما يشير إلى أنه هو نفسه أخناتون».

كما بينت فحوصات المجلس الأعلى للآثار في مصر أنه من المرجح أن يكون توت عنخ آمون ابن أخناتون من زوجته الثانية التي كانت تدعى كيا. وقد أعلن المجلس الأعلى للآثار المصرية في شهر أبريل عام 2010م أنه بناء على اختبارات الحمض النووي المعروف اختصارا بـ «الدنا» تبين أن توت عنخ آمون هو ابن الملك أخناتون.

ونفرتيتي وهي الزوجة الملكية لأخناتون وقد تزوجها في بداية حكمه، وأنجب منها ست بنات وربما يعرف اثنان من أولاده أبناء من زوجته الأخرى كيا.

كيا وهي زوجة ثانوية اتخذها أخناتون ويرجح أنها والدة توت عنخ أمون (1332 – 1322 ق.م.).

وأما عقيدة الفراعنة فقد كان المصريون القدماء عُبَّاد أوثان ولم يكونوا موحدين، وقد قال الله تعالى حكاية عن نبيه يوسف وهو يخاطب صاحبيه في السجن: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف : ٣٧]، ثم دعاهم إلى عبادة الله فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف : ٣٩].

وقد ذكر الله تعالى في مواضع عديدة من كتابه الكريم حال قوم فرعون من الكفر والإعراض، ومن ثم عاقبة جرمهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف : ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٥٢].

ولم يؤمن لموسى إلا القليل، قال الله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس : ٨٣]، ومن الذين آمنوا سحرة فرعون، قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه : ٧٠].

وقال الله حاكيا عن مؤمن آل فرعون الذي آمن بموسى وهو يخاطب قومه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر : ٣٤].

أما أخناتون حين دعا إلى عبادة الشمس فقال مخاطبا قرص الشمس: «ما أجمل مطلعك في أفق السماء، أي آتون الحي، مبدأ الحياة؛ فإذا ما أشرقت في الأفق الشرقي، ملأت الأرض كلها بجمالك».

وقد كان أخناتون يرى «أن الإلوهية أكبر ما تكون في الشمس مصدر الضوء وكل ما على الأرض من حياة».

ومما هو جدير بالذكر أن عبادة الكواكب والنجوم والأجرام السماوية كانت منتشرة قبل الميلاد بقرون في حضارات العراق القديمة وغيرها من الأمم.

فالطبع أن دعوة أخناتون ليست توحيدا؟ هي إحدى دعوات الوثنية وأحد أشكال الانحراف العقدي الذي أصاب البشرية عبر تاريخها؟

ومن العجيب أني قرأت ملحقاً لكتاب صدر حديث يقول مؤلفة أن أخناتون هو إبراهيم أبو الأنبياء ولا تعليق على هذا الكلام إلا بالتجاهل.

هل رحلات ذي القرنين كانت في الفضاء الخارجي للأرض؟ وهل يأجوج ومأجوج من سكان أرض أخرى غير أرضنا؟

هذا الرأي أكثر غرابة مما ذكرنا حيث يدعي أنه يستند إلى أدلة قرآنية تكشف عن رحلة ذي القرنين ويأجوج ومأجوج، وقد عنون بحثه بأن رحلة ذي القرنين فضائية ويأجوج ليسوا على هذه الكرة الأرضية، وصاحب هذا البحث الفريد في نتائجه هو د. أحمد منصور ومنشور على الإنترنت.

واعتمد الباحث على تكوين تصوره على كلمة «سبب» المذكورة في آيات سورة الكهف التي تحدثت عن ذو القرنين ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 89].

حيث أشار إلى أن كلمة سبب تعني سبب إلى السماء لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص: 10].

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 36، 37].

وأن الله يسر له الأسباب للصعود إلى الفضاء الخارجي للأرض.

ويرى الباحث أن الله عز وجل وقد مكن لذي القرنين في علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والطب والصناعة والطيران وغيره، وبهذا التمكين وتلك الأسباب سار عبر الفضاء متبعاً طريقاً في السماء (سبب) منطلقاً من الكرة الأرضية التي كان عليها تاركاً

النظام الشمسي الذي يحتوي تلك الأرض وسافر في عمق السماء في نفس المجرة أو تركها إلى مجرة أخرى أو لربما غادر كل سمائنا الدنيا إلى السماء الثانية وهكذا.

أي أن الأرض التي وصل إليها ذو القرنين ليست أرضنا بل أرضاً أخرى في الفضاء الخارجي وهذه الأرض الأخرى يعيش عليها يأجوج ومأجوج وغيرهم من الأقوام التي ذكرها الحق جل وعلا في القرآن الكريم في سورة الكهف؛ وإن يأجوج ومأجوج ليسوا تحت سطح الأرض وعلى كرتنا الأرضية أصلاً.

وحسب وجة نظر الباحث من أن يأجوج ومأجوج في أرض أخرى وسماء أخرى فإنهم سوف يخرجون علينا أي على أرضنا آخر الزمان بغزو فضائي ويملؤون الأرض خاصتنا في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام وهو يعني خروجهم من كل حدب ينسلون، وقال أن الأحداب هي الأطباق الطائرة التي شوهدت آلاف المرات على الأرض وهي على شكل حدب، أي محدبة كالعدسة المحدبة أو كتحدب الصحن أو الطبق، وأنهم قد حصلوا عليها من هؤلاء القوم الذين استعانوا بذي القرنين وقد تعلموا منه صناعة تلك الأطباق الطائرة التي كان يملكها هو في زمانه.

ثم يتعرض لنقطة قوة يأجوج ومأجوج التي هي التكاثر السريع حتى إن أحدهم لا يموت حتى يترك خلفه ويولد له ألف ذكر كما جاء في الأحاديث النبوية.

ويقول الباحث عن يأجوج ومأجوج زمن ذي القرنين وحالهم:

ولو تأملنا ما كان أصلا قبل وصول ذي القرنين للقوم الذين من دون السد والذين كانوا يتعرضون لغارات يأجوج ومأجوج وفسادهم وتساءلنا: كيف كانوا يفرون بأرواحهم ومواشيهم من خطر يأجوج ومأجوج والذين لابد أنهم كانوا يعيشون معهم ردحا من الزمن قبل بناء السد؟ كيف لم يتمكن يأجوج ومأجوج من القضاء عليهم نهائيا وهم بهذه القوة؟ نقول والله أعلم أنه كما لهؤلاء الأشرار من قوة إلا أن الله أودع فيهم نقطة ضعف وهي والله أعلم عدم تمكنهم من التسلق ولهذا ربما كانت المرتفعات الجبلية توفر للقوم الذين من دونهم ملاذا آمنا للفرار بحياتهم ولكن وبسبب أن لديهم معايش

وزراعة في الأرض السهلة فلا يستطيعون الالتصاق طوال الوقت بالمرتفعات ولذلك يعودون بين فينة وأخرى لممارسة حياتهم على الأرض السهلة ولكن يأجوج ومأجوج يباغتونهم بالغارات بين حين وآخر ويقتلون من يقتلون منهم ويأكلون محاصيلهم ومواشيهم ويفر من يفر إلى أعالي الجبال لينجو بروحه.

ومن المؤكد أن هؤلاء القوم يخبرون نقطة ضعف عدوهم أي يأجوج ومأجوج ولذلك طلبوا من ذي القرنين بناء سد يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج وربما أنهم حاولوا مرارا بناء مثل هذا السد سابقا ولكن كانوا أي يأجوج ومأجوج ينقبون سدودهم بسهولة لافتقارها للقوة المتوفرة في سد الحديد والنحاس الذي بناه لهم ذو القرنين الممكن من لدن الله القوي العزيز. ونعود الآن للأحداب التي ينسل منها يأجوج ومأجوج وهل هي ما علا وغلظ من الأرض؟ لماذا بعد خروجهم من السد يخرجون مما علا من الأرض؟

أليسوا يغشون الأرض جميعا كما جاء في الحديث؟ لماذا يعمدون للمرتفعات ويتركون الأرض السهلة علما أنهم كانت مشكلتهم السد وهو مرتفع؟ لماذا لم يصلوا للمسلمين إذا وهم بأعلى الجبل إذا كان لديهم القدرة على تسلق المرتفعات؟ أليس الجبل هو من أحداب الأرض كما فسرها المفسرون؟ لم يذكر صلوات الله وسلامه عليه حين وصل إلى نقطة انسلالهم من الأحداب بأنها تعني الخروج من آكام الأرض وما علا منها بل اكتفى بتلاوة الآية قائلا: فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96].

لاحظ أيضا أن من كل حدب تدل على كثرة الأحداب المنسل منها يأجوج ومأجوج. ولماذا يقتصر وصف انسلالهم على مرتفعات الأرض لماذا لم تذكر الأرض السهلة والوديان؟ إن ما نراه والله أعلم وفي ضوء ما فهمناه من كتاب الله وحديث المصطفى أن الأحداب التي ينسل منها يأجوج ومأجوج هي والله أعلم وسيلة نقلهم من الأرض التي كانوا فيها في السماء إلى كرتنا الأرضية.

ولذلك جاء في الحديث (إني قد أخرجت (وفي لفظ: أنزلت) عبادا لي من عبادي)

ولعل هذه الأحداب هي والله أعلم الأطباق الطائرة والتي شوهدت آلاف المرات من قبل كثير من الناس منهم طيارون أمريكيون وكان الإجماع على أنها محدبة الشكل كالعدسة المحدبة أو كتحدب الصحن أو الطبق ومن ذلك جاءت تسميتها بالأطباق الطائرة أو الصحون الطائرة. لكن السؤال كيف حصلوا عليها؟

ربما أنهم استولوا عليها من أولئك القوم الذين استعانوا بذي القرنين لبناء السد ولربما أن هؤلاء القوم قد استمدوا من ذي القرنين مما علمه الله ومكنه فيه لصناعة مثل هذه الأطباق وليس غريباً أنهم تقدموا بمرور الزمن ولكن ورغم تقدمهم لم يكن لهم طاقة بقتال يأجوج ومأجوج وربما نقطة قوة يأجوج ومأجوج هي التكاثر السريع فقد ذكر أن أحدهم لا يموت حتى يولد له ألف، جاء في الحديث: (الرجل منهم لا يموت حتى يولد له ألف ذكر).

الراوي: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المحدث: ابن جرير الطبري، المصدر: مسند ابن عباس (حديث صحيح).

أي أنه مهما قتل منهم فسيتم تعويضه بسرعة ولذلك لو تاملت طريقة القضاء عليهم أن الله يرسل عليهم النغف فيأتيهم في رقابهم ومناخيرهم فيموتون موتة رجل واحد نعم موتة رجل واحد فلو بقي منهم القليل سيتكاثرون بسرعة وسأضرب لك مثل على ضعف الإنسان حتى أمام مخلوقات أقل شأنا من يأجوج ومأجوج، الذباب مثلا، فهو العدو اللدود للانسان منذ بدء الخليقة فلا أحد يرغب في وجوده فهل استطاع الإنسان القضاء عليه رغم ما وصلنا إليه من تقدم ورقي؟ كلا بل إن العجيب في الأمر أن دراسة أمريكية خلصت إلى أن الإفراط في مكافحة الذباب يؤدي إلى أنه يستشعر انقراض نسله فيتكاثر بصورة كبيرة على غير عادته فربما أن يأجوج ومأجوج كان لديهم هذه النقطة من القوة التي جعلت القوم الذين أمامهم لا يستطيعون القضاء عليهم حتى ولو وصلوا لما وصلوا من تقدم ورقي والله أعلم.

وأضاف: (وفي حديث النواس: ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا

يجدون في الأرض موضع شبر (وفي لفظ: بيتا) إلا ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله سبحانه، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله؛ بالمهبل) نتوقف هنا عند نقطتين: أولا: أن ليأجوج ومأجوج بعد موتهم نتن وزهم أي رائحة كريهة من نتاج التعفن، وهذا يشير إلى أنهم مخلوقون من مادة عضوية يتولد عن تعفنها غاز كبريتيد الهيدروجين وكذلك كون مواشي المسلمين تشكر أي تسمن من أكل لحومهم يؤيد أن أجسادهم تحتوي مواداً عضوية من التربة، والله أعلم، إذا هم خلق من تراب وليس من نار أي أنهم والله أعلم إنس وليسوا من الجن فقد ورد في الحديث: (الإنس عشرة أجزاء تسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وسائر الناس جزء واحد).

الراوي: عبدالله بن عمرو، المحدث: ابن الملقن، المصدر: شرح البخاري لابن الملقن.

ولكنهم ليسوا من البشر أي ليسوا من أبناء آدم فآدم وفي الحديث المتفق عليه هو أبو البشر وليس أبو الإنس فلم يرد مطلقا لا في القرآن ولا في السنة أن آدم أبو الإنس جميعا لأن هناك فرقاً بين الإنس والبشر فكل البشر من الإنس ولكن ليس كل الإنس بشر والله أعلم وهذا تجده في بحثنا الإنس والبشر والإثباتات الدامغة من القرآن والسنة في هذا الصدد. وأما من ذهب إلى ان يأجوج ومأجوج من البشر أي بني آدم فسنورد له هنا حديثين صحيحين يثبتان انهم ليسوا من ذرية آدم: الحديث الأول رواه البخاري (6529) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (أول من يدعى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم. فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك. فيقول: يا رب، كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين. فقالوا: يا رسول الله، إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال: إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود.

الحديث الثاني رواه البخاري (3348) ومسلم (222) عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول لبيك وسعديك، والخير في يديك،

فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: أبشروا، فإن منكم رجلا، ومن يأجوج ومأجوج ألفا.

ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود.

من الملاحظ أنه في الحديث الأول حين يطلب الله من آدم إخراج بعث جهنم من ذريته لا ذكر ليأجوج ومأجوج والنسبة تختلف حيث من كل مائة تسعة وتسعون وأما في الحديث الثاني فاللفظ الذي ورد فيه اخراج بعث النار ولم تذكر ذرية آدم فقط، وهل بني آدم وحدهم في ارض المحشر؟ كل الخلائق جنها وإنسها ستكون محشورة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام : 128]، ولذا نقول إن يأجوج ومأجوج ليسوا من ذرية آدم والله أعلم بل هم خلق من الإنس لهم طبيعة مختلفة. وكذلك تأمل الحديث التالي والذي يوضح فهمه أن يأجوج ومأجوج ليسوا من بني آدم: (بينما رسول الله في بعض مغازيه، وقد فاوت السير بأصحابه، إذ نادى رسول الله بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج : 1] قال: فحثوا المطي، حتى كانوا حول رسول الله، قال: هل تدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: ذلك يوم ينادَى آدم، يناديه ربه: ابعث بعث النار، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار! قال: فأبلس القوم، فما وضح منهم ضاحك، فقال النبي: ألا اعملوا وأبشروا، فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه، فمن هلك من بني آدم، ومن هلك من بني إبليس، ويأجوج ومأجوج، قال: أبشروا، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في جناح الدابة.

الراوي: عمران بن حصين المحدث: ابن جرير الطبري - المصدر: تفسير الطبري - (خلاصة حكم المحدث: صحيح)، لاحظ لو أن يأجوج ومأجوج من بني آدم لما ذكروا هنا ولاكتفي بذكر من هلك من أبناء آدم فقط والله أعلم.(1)

دعونا نعود الآن إلى كيف يخلص الله المسلمون ونبي الله عيسى من جثث يأجوج ومأجوج، قال: (فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله سبحانه، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله؛ بالمهبل)، إذا يرسل الله طيرا كأعناق الإبل فتحملهم وتطرحهم حيث يشاء الله، كأعناق البخت أي كأعناق الإبل: أليس العرب هم الأخبر بالصحراء وبالطيور وأسمائها لماذا لم يسمي الرسول لهم تلك الطيور ذات الأعناق الكبيرة؟ وأين ستذهب بهم إذا كانوا أصلا قد ملأوا كل الأرض؟ الله أعلم أن هذه الطيور أيضا ليست من طيور أرضنا بل تأتي من السماء من أرض من السماء لتحمل الأشرار وهم فرسى وتطرحهم في أرض بعيدة ليست كرتنا الأرضية هذه وإنني لأتساءل هل هذه الطيور هي طيور العنقاء والتي وكما يقول المثل الصيني: (حين تأتي العنقاء من السماء يحل السلام).

فهل لهذا القول أصل وحقيقة وكان لمن قبلنا من الأمم الغابرة تواصل بالمخلوقات الفضائية وعلى علم بما سيحدث في آخر الزمان أليس كان فيهم رسل كما نبينا محمد وربما مع الوقت حولوا ما ذكره لهم المرسلون من حقائق إلى خرافات ولذلك قالوا المستحيلات ثلاث وسموا الغول والعنقاء وتهكما اضاف الشاعر الخل الوفي، وهل الغول المذكور في الأساطير والخرفات (أو التنين في الخرافات الصينية) هو عينه يأجوج ومأجوج وجاء اسم الغول من يغيل أي يختفي ومنها اشتق اسم الكحول أي الغول لأنها تغيل بالعقل أي تغيبه وربما سر التسمية لأن الأوائل سمعوا بيأجوج ومأجوج ولم يروهم لاحظ أن كلمة يأجوج من أجيج النار علما أن التنين ينفث من فمه النار وكل هذا هو فقط اجتهادات مني ومجرد تساؤلات فقط لاغير والله وحده أعلى وأعلم.

1- ما زال الكلام لصاحب البحث.

ومن الأدلة القاطعة والتي تثبت أن يأجوج ومأجوج ليسوا في باطن الأرض كما يحلو للبعض تخيل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر : 45]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [فاطر : 45]، لاحظ أن الآيتين الكريمتين تشيران إلى أن الدواب وخاصة المكلفة منها تعيش على ظهر الأرض لا في بطنها ولو ان يأجوج ومأجوج وهم طبعا من الدواب العاقلة المكلفة يعيشون في بطن الأرض لما اقتصرت الآيات على هلاك الدواب التي على ظهر الأرض بل والتي في بطنها أليس كذلك؟ وحتى إن كان هناك بعض الدواب تسكن تحت الثرى (ليس في عمق بطن الأرض) إلا أن عيشها يستدعي خروجها لتقتات من على ظهر الأرض، والواضح والله أعلم أن الدابة المذكورة في الآيتين السابقتين 45 فاطر و61 النحل أنها الدابة العاقلة من إنس وجن ومنها يأجوج ومأجوج، لذلك نقول إن الادعاء بأن يأجوج ومأجوج موجودون في بطن أرضنا هذه هو ادعاء يناقض الآيات القرآنية والسنة ولا يقره العقل السليم مطلقاً.

ونقول كذلك لمن يقول إنهم أي يأجوج ومأجوج في باطن أرضنا هذه لماذا لم يشربوا مياهنا الجوفية إذا كانوا بهذه القدرة على شرب أنهار الأرض وبحيراتها، لاحظ أنهم يشربون المياه العذبة؟.

كيف سيصل يأجوج ومأجوج إلى كرتنا الأرضية (حسب رأي صاحب البحث):

يقول الباحث د. أحمد منصور في بحثه السابق الإشارة إليه:

كما تبين لنا مما سبق أن يأجوج ومأجوج ليسوا على كرتنا الأرضية بل على كرة أرضية أخرى في نظام شمسي آخر بعيداً عنّا ومن المؤكد أنهم في آخر الزمان وبعد حدوث الأحداث الجسام وأكبرها فتنة المسيح الدجال نعوذ بالله من شر فتنته وما أن ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتل الدجال وتحصل المعركة الكبرى مع أتباعه اليهود

والتي ينطق فيها الحجر وجذم الحائط ليفصح عن من تخبأ خلفه من اليهود نقول ما إن تزول هذه الفتنة العظيمة حتى يأتي عيسى ابن مريم أناسا قد عصمهم الله من فتنة الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة وبينما هم كذلك يوحى الله لعيسى أنه قد أرسل وفي لفظ ابن حجر قد أنزل عبادا له لا يدان لأحد بقتالهم: قال رسول الله:

إن يأجوج ومأجوج يحفرون (وفي لفظ: ليحفرن السد) في كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره (وفي لفظ: فستحفرونه) غدا، فيعيده الله (وفي رواية: فيرجعون وهو) أشد ما كان (وفي رواية: كأمثل ما كان)، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله تعالى! واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، إذ أوحى الله إلى عيسى ابن مريم: إني قد أخرجت (وفي لفظ: أنزلت) عبادا لي من عبادي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز (وفي لفظ: فحوز) عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، فيخرجون كما قال الله تعالى: وهم من كل حدب ينسلون، فيعمون (وفي لفظ: فيغشون) الأرض فينشفون الماء (وفي لفظ: فيستقون المياه)، ويتحصن (وفي لفظ: ويفر) الناس منهم في حصونهم، وينحاز منهم المسلمون، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض؛ حتى إنهم ليمرون بالنهر فيشربونه، حتى ما يذرون فيه شيئا، حتى إن بعضهم ليمر بذلك النهر، حتى يتركوه يبسا حتى إن من بعدهم ليمر به فيقول: قد كان ههنا ماء مرة!، فيمر أوائلهم على بحيرة الطبرية، فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويظهرون على الأرض، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء (وفي حديث أبي سعيد: حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا في حصن أو مدينة؛ فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولننازلن أهل السماء) فيرمون بسهامهم.

(وفي رواية: بنشوبهم)؛ (وفي حديث أبي سعيد: حتى إن أحدهم ليهز حربته) إلى السماء، فترجع عليها كهيئة الدم الذي اجْفَظَّ، للبلاء والفتنة، فيرد الله عليه نشابهم

مخضوبة دما، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء -قسوة وعلوا- (وفي حديث أبي سعيد: قد قتلنا أهل السماء)، ويحصر (وفي لفظ: ويحضر) نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيبعث الله نغفا في أقفائهم، (وفي حديث النواس: فيرسل الله علهيم النغف في رقابهم).

(وفي حديث ابن مسعود: فتلج في أسماعهم ومناخرهم)، فيقتلهم بها، (وفي حديث النواس: فيصبحون فرسى، كموت نفس واحدة) (وفي حديث أبي سعيد: فبينما هم كذلك، إذ بعث الله دواب كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد)، وفي لفظ: يبعث الله دودا في أعناقهم، كنغف الجراد (وفي لفظ: الجرار) الذي يخرج في أعناقها، فيصبحون موتى.

يركب بعضهم بعضا، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا، فيقولون: من رجل يشري نفسه، وينظر ما فعلوا؟! (وفي لفظ: ما فعل هؤلاء العدو؟) فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه. فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فيناديهم: يا معشر المسلمين! ألا أبشروا؛ فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرج الناس من مدائنهم وحصونهم ويخلون سبيل مواشيهم (وفي لفظ: فيسرحون مواشيهم)، فما يكون لها رعي إلا لحومهم.

قال رسول الله: «والذي نفسي بيده! إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم»، (وفي حديث أبي سعيد: فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط). (وفي حديث النواس: ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر (وفي لفظ: بيتا) إلا ملأه زهمهم ونتنهم ودماؤهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله سبحانه، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله؛ بالمهبل، ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم (وفي لفظ: وأترستهم) سبع سنين، ثم يرسل الله عليهم مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوما، فيغسل الأرض منهم حتى يتركها كالزلفة (أو قال:كالزلقة) ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة.

(وفي لفظ: النفر) من الرمانة فتشبعهم ويستظلون بقحفها، ويبارك الله في الرِّسْل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس (وعند أحمد: واللقحة من البقر تكفي الفخذ من الناس، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت)، وليُحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة.(1)

1- شرح الألفاظ الغريبة:

- قوله: (قال الذي عليهم)؛ أي الذي هو أمير عليهم.
- قوله: (حتى إذا بلغت مدتهم)؛ أي المدة التي قدرت لهم.
- قوله (لا يدان) بكسر النون تثنية يد أي: لا قدرة ولا طاقة، يقال: مالي بهذا الأمر يد، ومالي به يدان؛ لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد وكأن يديه معدومتان بعجزه عن دفعه.
- قوله: (فحرز)؛ أي ضمهم واجعله لهم حرزا.
- قوله: (فحوز)؛ أي نحهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور، وروي (حزب) بحاء وزاي وباء أي: اجمعهم.
- قوله: (كل حدب)؛ المكان المرتفع من الأرض؟
- قوله: (ينسلون)؛ يمشون مسرعين.
- قوله: (الخمر)؛ الشجر الملتف الذي يستر من فيه.
- قوله: (اجفظ)؛ أي ملأها.
- قوله: (وعلونا أهل السماء -قسوة وعلوا-)؛ أي يقولون هذا القول غلظة وفظاظة وتكبرا.
- قوله: (نغفا)؛ دود يكون في أنوف الإبل والغنم.
- قوله: (فيصبحون فرسى)؛ أي قتلى؛ وزنا ومعنى، واحدهم فريس.
- قوله: (وتبطر)؛ من البطر: النشاط والأشر.
- قوله: (وتشكر شكرا)؛ يقال: شكرت الناقة: امتلأ ضرعها لبنا، والدابة: سمنت.
- قوله: (زهمهم ونتنهم)؛ أي دسمهم ورائحتهم الكريهة.

ونكتفي بهذا القدر من البحث والذي هو اجتهاد يؤجر عليه الباحث، ولكن لكل منا رأيه يؤخذ منه ويرد إلا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، فقد اعتمد الباحث فيما توصل إليه إلى تفسيره لآيات القرآن الكريم حسب وجهة نظره في معنى كلمة الأسباب وأنها متعلقة بالعروج والصعود إلى السماء كم ذكر وإن كانت كلمة الأسباب ليس وقفاً على هذا المعنى وإنما تشمل معانٍ أخرى، فالسبب هو الطريق الموصل إلى الغاية المرادة

- قوله: (كأعناق البخت)؛ نوع من الإبل، أي طير أعناقهم في الطول والكبر كأعناق البخت.
- قوله: (بالمهبل)؛ الهوة الذاهبة في الأرض. وفي مسند الإمام أحمد: قال ابن جابر: فقلت يا أبا يزيد!: وأين المهبل؟ قال: مطلع الشمس.
- قوله: (قسيهم)؛ جمع قوس.
- قوله: (نشابهم)؛ أي من سهامهم.
- قوله: (جعابهم)؛ جمع جعبة وهي ظرف النشاب.
- قوله: (أترستهم)؛ جمع ترس.
- قوله: (مطرا لا يكن منه)؛ من كنيت الشيء أي سترته وصنته عن الشمس.
- قوله: (بيت مدر ولا وبر)؛ أي لا يمنع من نزول الماء البيت المدر؛ وهو الطين الصلب، ولا وبر؛ وهو الشعر والصوف، والمراد تعميم بيوت أهل البدو والحضر.
- قوله: (كالزلفة أو قال:كالزلقة)؛ قيل: كالمرآة، وقيل: الصحفة، وقيل: كالروضة، وقيل غير ذلك، والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها حتى تصير بحيث يرى الرائي وجهه فيها. اهـ الفتح
- قوله: (العصابة)؛ الجماعة.
- قوله: (بقحفها)؛ هو مقعر قشرها شبهها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ.
- قوله: (الرسل)؛ هو اللبن.
- قوله: (اللقحة)؛ هي القريبة العهد بالولادة.
- قوله: (الفئام)؛ الجماعة الكبيرة.
- قوله: (الفخذ)؛ الجماعة من الأقارب.
- قوله (وليحجن البيت وليعتمرن): قال ابن حجر: زاد عبد بن حميد: ويغرسون النخل. اهـ الفتح
- قوله (يتهارجون فيها تهارج الحمر): وفي رواية: الحمير، أي يجامع الرجل النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك، والهرج الجماع.

ولا يشترط به أن يكون خاصاً بالصعود إلى الأعلى وليس أن قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: 16]، أن تقتصر معنى كلمة السبب ونخصصه إلى الصعود والعروج والتنقل بين السموات العلا!!

فالقول بأن كلمة «سببا» تعني الطريق إلى السماء، هو تخصيص لكلمة «سبب» بالسماء بغير مخصص ولا دليل من أي حديث لا موصول ولا موقوف ولا منقطع. ولا يصح التخصيص بغير دليل، على ما هو مقرر في علم الأصول. بل هو مخالف لما ذكره أهل العلم؛ ففي تفسير قوله تعالى عن ذي القرنين ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

قال الإمام الطبري في تفسيره: حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله ابن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قال: طريقا في الأرض.

عن قتادة قال: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ .. أي اتبع منازل الأرض ومعالمها، ولا حجة في الاحتجاج بقوله تعالى فليمدد بسبب إلى السماء لما احتججت به أن السبب يعني الطريق إلى السماء، وإلا لكان معناه: فليمدد بطريق إلى السماء.

وفي تفسير الطبري لقوله لسورة الكهف قال: (حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قال: هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: 36، 37]

فمفرد كلمة «سبب» ومعناها المرتبط بالسماء والتحرك فيها يسمى «رقي» بضم الراء، أما السير في الأرض فمرتبط بكلمة سبيل، فالطريق المتبع على الأرض هو سبيل فلا يقول أحدنا أريد أن أرقى إلى السوق أو إلى مكان آخر أرضي فنقول اتخذت في الأرض سبيلاً أي طريقاً.

يقول تعالى في سورة الكهف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝٨٤﴾ [الكهف: 83-84].

فالله يخبرنا عن حقيقة ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84].

يقول الطبري: «إنا وطنا له في الأرض، وآتيناه من كل شيء: يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به».

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي: «أعطيناه أسبابا يصل بها إلى ما يريد، فما من شيء يريده إلا ويجعل الله له وسيلة موصلة إليه».

ويقول الدامغاني في قاموس القرآن: (سبب) على أربعة أوجه: الباب، المنازل، العلم، الحبل.

فوجه منها: الأسباب الأبواب. وقوله تعالى في سورة ص: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِي ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ [ص: 10] يعني في الأبواب. كقوله تعالى في سورة حم المؤمن: ﴿...لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ [غافر: 36، 37]. أي أبواب السماوات.

فالأسباب المنازل في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: 166]، يعنى المنازل التي يجتمعون فيها على معصية الله تعالى. كقوله سبحانه في سورة الكهف: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 85]، يعنى منازل الطرق.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84]، يعني علم المنازل. والله تعالى أعلم.

والتمكين في الأرض ذكر في القرآن الكريم في مواضع متعددة، ومواقف كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

ويقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 56].

فقد ذكر التمكين في الأرض مرتين، وفي كل مرة يذكر معه نوعية هذا التمكين تختلف عن الأخرى.

فيوسف مكن الله له في أرض مصر بأن علمه من تأويل الأحاديث، وهذه الوسيلة هي التي أوصلته إلى الحكم.

والتمكين الثاني هو أنه ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بعد الضيق والحبس.

وفي سورة الكهف يقول تعالى عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: 84].

فذُكر التمكين في الأرض، وذكر معه نوعية هذا التمكين حيث أعطاه الله أسبابا يصل بها إلى ما يريد، فما من شيء يريده إلا ويجعل الله له وسيلة موصلة إليه.

في قصة يوسف كما في قصة ذي القرنين: مفردة ﴿الْأَرْضِ﴾ هي نفسها، لكن دلالتها تختلف باختلاف السياق. فأرض يوسف هي مصر، وأرض ذي القرنين هي أرض مغرب الشمس وأرض مشرق الشمس وأرض بين السدين. وهي أماكن متواجدة في أرضنا.

ذو القرنين أعطاه الله من الوسائل التي يستطيع أن يصل بها إلى هذه البقاع المختلفة والمتباعدة، كما أعطاه الله من الوسائل ليعمل ردماً سِترا فاصلاً حاجزاً، وهذا يعني أن حركة ذي القرنين وطوافه كان على الأرض التي نعيش عليها والله أعمل وأحكم.

صحيح أن موضع ومكان وجود يأجوج ومأجوج خاف علينا الآن، ولكن دلت الأحاديث الصحيحة أنهم محجوبون عنا ومعزولون بالسد الذي بناه ذو القرنين - وقصة هذا السد ثابتة بالقرآن الكريم.

وقد دلت الأحاديث النبوية الصحيحة أن ردم يأجوج ومأجوج موجود على الأرض التي نعيش عليها؛ فقد رآه رجل على عهد النبي ﷺ وأخبره انه رآه وذكر صفته، فأقره النبي ﷺ وقال له: «رأيته». يعني أنه رأى سد ذي القرنين، وهو ما ذكره الإمام البخاري في صحيحه في ترجمته: (باب قصة يأجوج ومأجوج وقول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف : 94] قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف : 83، 84]. ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف : 85] - إلى قوله - ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف : 96] : «واحدها زبرة وهي القطعة» ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف : 96] يقال عن ابن عباس: الجبلين، والسدين الجبلين ﴿خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤]: «أجرا»، ﴿قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٤]: «أصبب عليه رصاصا، ويقال الحديد، ويقال: الصفر» وقال ابن عباس: «النحاس» ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧] «يعلوه، استطاع استفعل، من أطعت له، فلذلك فتح أسطاع يسطيع، وقال بعضهم: استطاع يستطيع»، ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]. ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨]: ألزقه بالأرض، وناقة دكاء لا سَنام لها، والدكداك من الأرض مثله، حتى صلب وتلبد، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]. ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] قال قتادة: «حدب: أكمة» قال رجل للنبي: رأيت السد مثل البرد المحبر، قال: «رأيته». اهـ

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله [أي البخاري]: وقال رجل للنبي رأيت السد مثل البرد المحبر قال رأيته. وصله بن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي: يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال: كيف رأيته؟ قال: مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء. قال: «قد رأيته».(1)

وقد اتفق أهل العلم على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم وفي الحديث الصحيح الذي أورده الباحث حيث يأمر الله عز وجل آدم عليه السلام يوم القيامة أن يخرج بعث النار من كل مائة تسعة وتسعين، فهذا يدل على أنهم من ذرية آدم، روى البخاري في صحيحه عن

1- والحديث أخرجه البزار أيضاً ولكن مطولاً.

أبي هريرة ﷺ قال: أول من يدعى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك، فيقول: يا رب كم أخرج؟

فيقول - أي الله تعالى - أخرج من كل مائة تسعة وتسعين فقالوا: يا رسول الله، إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منَّا؟

قال: إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود.

وفي الحديث الثاني المتفق عليه قال: أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً... الحديث. (1)

والأحاديث يكمل بعضها بعض، فبعث النار في الأول هم بعث النار في الثاني، وكلاهما من ذرية آدم المخاطب من الله، وليس كما يظن الباحث أن عدم ذكر يأجوج ومأجوج في الحديث الأول دلالة على أن يأجوج ومأجوج ليسوا من ذرية آدم وإنهم خلق من الإنس لهم طبيعة مختلفة، فيأجوج ومأجوج من ذرية يافث بن نوح عليه السلام. (2)

ومع اختلافنا مع الباحث فيما توصل إليه نحيي جهده واجتهاده والله أعلم بالصواب والحقيقة.

1- سبق ذكره.

2- اقرأ كتابنا «يأجوج ومأجوج من البدء إلى الفناء» الناشر: دار الكتاب العربي.



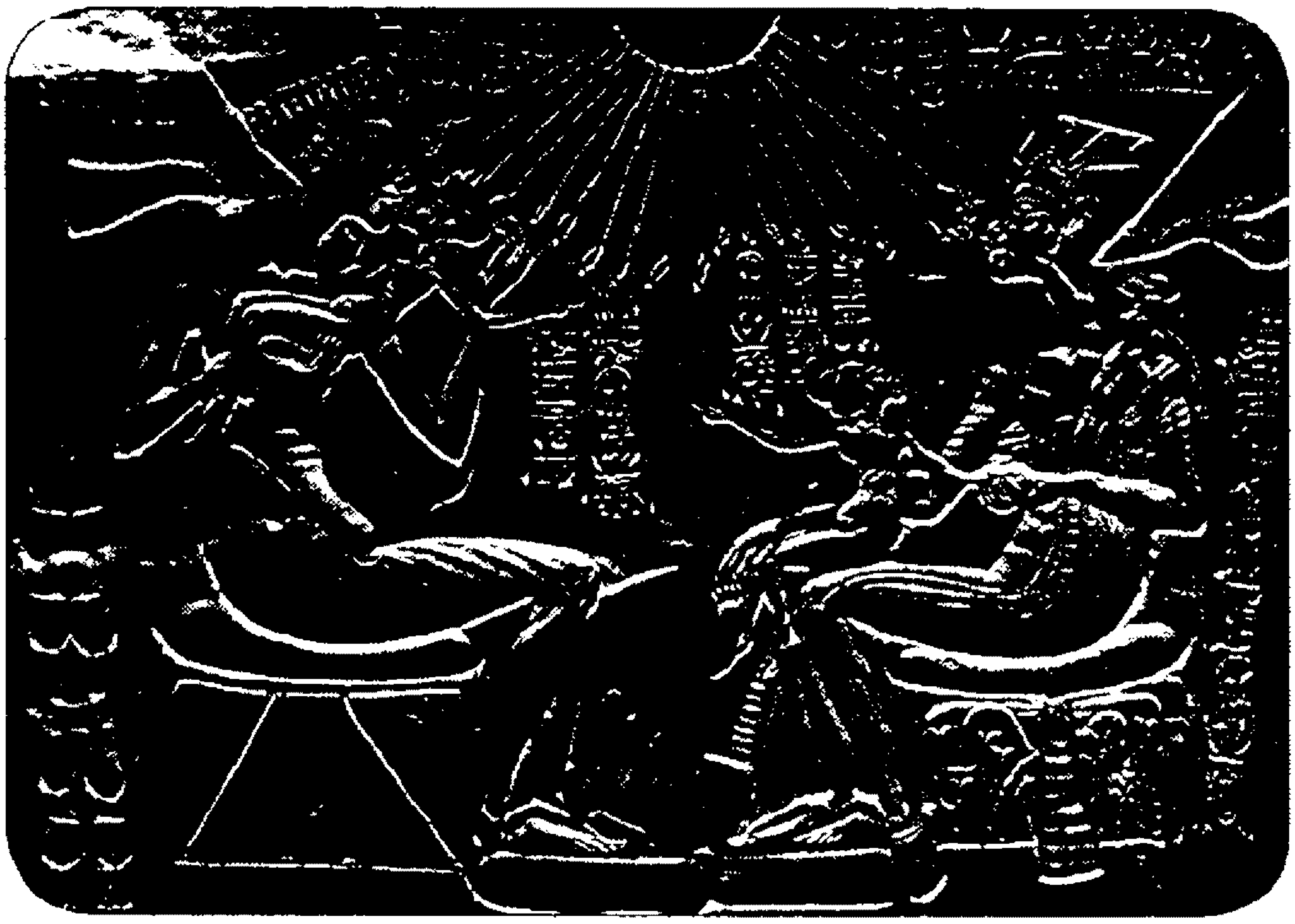
تمثال الإمبراطور الفارسي كورش الأخميني في إيران الذي رجح العالم/ أبو الكلام أزاد أنه النبي الملك ذو القرنين عليه السلام ويلاحظ أنه يضع على رأسه تاجاً له قرنان مثل قرني الكبش ولكن هذا لا يعني أنه ذو القرنين المذكور في القرآن.



تمثال نصفي للملك إخناتون، وإذا نظرنا إلى ملامحه نجدها ملامح نوبية مثل فراعنة النوبة الذين حكموا مصر فترة من الزمان!!



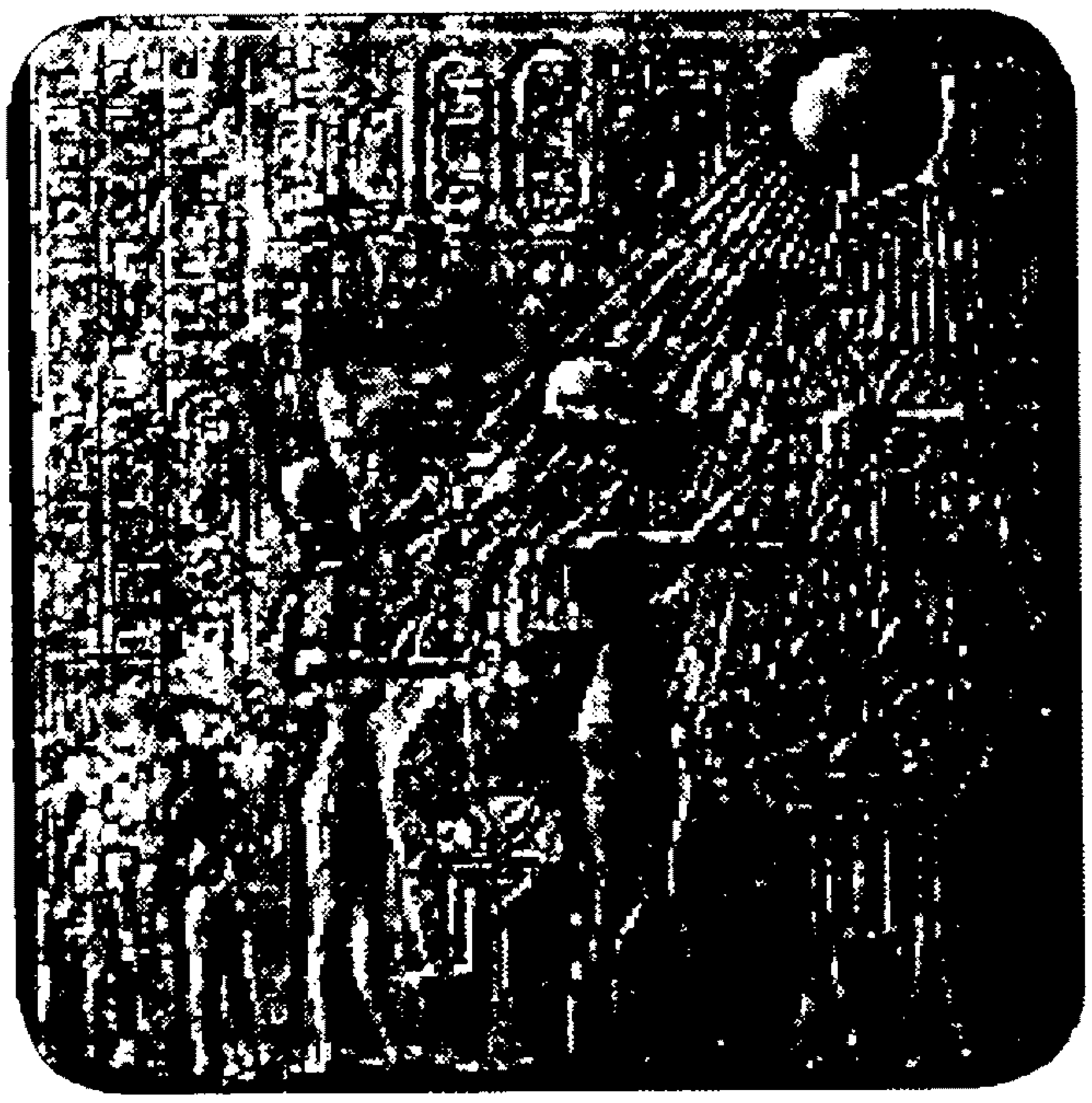
تمثال نفرتيتي - المتحف المصري ببرلين.



جدارية عليها الملك إخناتون وزوجته نفرتيتي وأولاده والإله آتون إله الشمس الذي كان يعبده إخناتون وزوجته.



نقش لوجه إخناتون.



جدارية لإخناتون وأسرته يصلون لآتون (الشمس) ويقدمون إليه القرابين.

4

الكشف عن شخصية ذي القرنين

- ذو القرنين أحد ملوك حِمْيَر.
- سر تسميته بالإسكندر وما هو اسمه الحقيقي.
- ذكر لقاء ذي القرنين إبراهيمَ عليه السلام في مصادر أهل الكتاب.
- سيرة الصعب بن الحارث الملك الحميري الملقب «بذي القرنين».

ذو القرنين أحد ملوك حِمْيَر القدماء وليس الإسكندر الأكبر المقدوني

شخصية الإسكندر الأكبر مثل شخصية النمرود وفرعون وتُبع وغيرهم من الملوك الكبار الذي حكموا الأرض أو معظمها وكانوا ذوي تاريخ عريض حافل بالغزوات والانتصارات والإنجازات ولهذا لم يكن في التاريخ القديم فرعون واحد وإنما فراعنة وكذلك هناك أكثر من نمرود حكم بلاد بابل منهم النمرود الأكبر الشهير وكذلك التبابعة ملوك اليمن، وكذلك ظهر في التاريخ أكثر من شخصية حملت اسم الإسكندر الأكبر بينهم عامل مشترك هو حب الطواف والغزو في الأرض لكن أحدهما مؤمن والآخر وثني، أحدهما عرف باسم الإسكندر الأول والثاني بالإسكندر الأكبر المقدوني، والأول قيل عنه إنه أسطوري.

والأكثر شهرة هو الإسكندر المقدوني الذي سبق ظهور السيد المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة، والآخر ظهر في التاريخ السحيق بعد الطوفان، وهناك ملوك آخرون ظهروا بعد الإسكندر المقدوني حملوا نفس الاسم أيضاً في بلاد اليونان.

لكن لقب «ذي القرنين» لم يحمله إلا رجل واحد لا يعرف إلا به وغلب عليه حتى احتار المؤرخون والمفسرون فيمن يكون ذلك الرجل وما هو زمانه، والبعض أسقطه على الإسكندر الأكبر المقدوني وهذا لا يصح لاختلاف الرجلين وإن كان الإسكندر المقدوني تأثر بشخصية ذي القرنين وقلده في أمور كثير منها وضع قرنين على صورته أو على تاجه وكانت تلك من عادات الملوك العظام الكبار في الزمن القديم ومنهم الملك الفارسي كورش الكبير.

فذو القرنين المذكور في القرآن الكريم كما عرفنا ملك أعطاه الله من الأسباب التي مكنته من السيطرة وحكم بلاد الأرض من مشرقها إلى مغربها وكان حاكماً عادلاً موحداً بالله حتى إن البعض رأى أنه ملك نبي مثل سليمان بن داود عليهما السلام.

قال أبو الفدا في تاريخه (المختصر في أخبار البشر) عن الإسكندر المقدوني: وقد قيل عنه أنه انصرف من المشرق إلى جهة الشمال وبنى السد على يأجوج ومأجوج والصحيح أن الإسكندر المذكور لم يكن منه ذلك بل ذو القرنين الذي ذكره الله في القرآن الكريم هو ملك قديم كان على زمن إبراهيم الخليل ﷺ، قيل إنه أفريدون وقيل غيره وقد غلط من ظن أنه باني السد هو الإسكندر الرومي، وكذلك قد استفاض على الألسنة أن لقب الإسكندر ذي القرنين وهو غلط، فإنها لفظة عربية محضة وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وكان منهم «ذو جدن» و«ذو القلاع» و«ذو نواس» و«ذو شناتر» و«ذو القرنين الصعب بن الرائش» واسم الرائش: الحارث بن ذي سدد بن عاد بن الماطاط بن سبأ، وقد قيل: إن ذا القرنين الصعب هو الذي مكن الله له في الأرض وعظم ملكه وبنى السد على يأجوج ومأجوج. (1)

وهذا الكلام لأبي الفدا هو الأقرب للصحة في تحديد من هو ذو القرنين وقد أيده الكثير من المؤرخين وذهبوا إليه، فاسم ذي القرنين هو اسم عربي عرفه العرب القدماء وكما ذكرنا من قبل أن اليهود حين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين قالوا رجلاً طاف بالأرض ولم يذكروا اسمه أو لقبه، لأنه لو ذكروا أنه يلقب بذي القرنين كانت قريش ستعرفه وكذلك النبي ﷺ ولهذا كانت الإجابة من الله عز وجل في آيات سورة الكهف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف : 83].

ومما قاله أبو الفدا في تاريخه عن ذي القرنين: بعد تُبع الأول مَلَك ابنه ذو القرنين الصعب بن الرائش، وقد نقل أن ابن عباس سئل عن ذي القرنين فقال: هو من حمير،وهو

1- انظر المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا.

الصعب المذكور، فيكون ذو القرنين المذكور في الكتاب العزيز هو الصعب بن الرائش المذكور بالإسكندر الرومي».

وقال الفخر الرازي: القول الثاني: قال أبو الريحان الهروى المنجم في كتابه الذي سماه بـ (الآثار الباقية عن القرون الخالية): قيل إن ذا القرنين هو أبو كرب شمر يرعش أو ابن عش بن أفريقيس فإنه بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها.

وهو الذي افتخر به أحد الشعراء من حمير (سعود بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن صبيح بن عبدالله بن زيد بن ياسر بن نعم الحميري أحد ملوك حمير).[1] حيث قال:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب مُلـــك من كريم سيـد

وقال أبو الريحان: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب، لأن الأذواء كانوا من اليمن، وهم الذين لا تخلوا أساميهم من ذي، كذى المنار وذي الأذعار وذي الشناتر، وذي النواس، وذي يزن، وغير ذلك.[2]

وقال المقريزي في الخطط: «اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف : 83] عربي قد كثر ذكره في أشعار العرب وأن اسمه: الصعب بن ذي مراثد بن الحارث الرائش بن الهمال ذي سدد بن عاد ذي منح بن عامر الملطاط بن سكسك بن وائل ابن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن أرفخشد ابن سام بن نوح ، وأنه من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم أيضاً. العرب العرباء، وكان ذو القرنين تُبعاً متوجاً، ولما ولي الملك تجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر، وقد غلط في ظن أن الإسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين الذي بنى السد، فإن لفظة «ذو» عربية وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذلك رومي يوناني.

1- انظر (ذو القرنين وسد الصين من هو) وأين هو، تأليف محمد راغب الطباخ، تحقيق ومراجعة أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

2- الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو الريحان الهروي.

وهذا القول للمقريزي وأبو الريحان وغيره هو الصواب فلفظ «ذو» عربية الأصل ومن ألقاب العرب ملوك اليمن وهذا هو القول الفصل في هذا الأمر والله أعلم.

وذكر الطبري في تاريخه: «وكان الخضر في أيام أفريدون الملك بن الضحاك في قول عامة علماء أهل الكتاب الأول، وقبل موسى بن عمران عليه السلام وقيل إنه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان على أيام إبراهيم الخليل عليه السلام وأن الخضر بلغ مع ذي القرنين أيام مسيره في البلاد نهر الحياة، فشرب من مائه، وهو لا يعلم به ذو القرنين، ولا من معه، فخلد وهو حيٌّ عندهم إلى الآن».

وكلام الطبري فيه نظر وعند أهل العلم والتحقيق الخضر ليس بحي حتى الآن كما يظن البعض.

وقد سئل محمد بن إسماعيل البخاري عن الخضر وإلياس:

هل هما في الأحياء؟

فقال: وكيف يكون وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مئة سنة ممن هو على ظهر الأرض أحد». (1)

قال ابن تيمية: لو كان الخضر حيًّا لوجب عليه أن يتبع النبي ﷺ ويكون معه ويجاهد الكفار معه ولا يتخلف عنه كما أن موسى وعيسى وسائر الأنبياء لو كانوا أحياء لوجب عليهم اتباعه والجهاد معه».

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران : 81]

وذكر المقريزي أيضاً في الخطط: وقال آخرون أن ذا القرنين الذي كان على عهد إبراهيم الخليل عليه السلام هو أفريدون بن الضحاك وعلى مقدمته الخضر».

1- أخرجه البخاري في صحيحه.

وأضاف: وقال الهمداني في كتاب الأنساب: وولد كهلان بن سبأ: فولد زيد: عُربياً ومالكاً وغالباً وعمكيرب وقال الهيثم: عميكرب بن سبأ أخو حمير وكهلان، فولد عميكرب: أبا مالك مذرحاً، مهيليل ابني عمكيرب وولد غالب: جنادة بن غالب، وقد ملك بعد مهيليل بن عمكيرب بن سبأ، وولد عريب: عمراً، فولد عمرو: زيداً والهميسع ويكنى أبا الصعب وهو ذو القرنين الأول، وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير:

فمن ذا يعادينا من الناس معشر كرام وذو القرنين منا وحاتم

وفيه يقول الحارثي:

سَمّوا لنا واحداً منكم فتعرفه في الجاهليـة لاسم الملك محتملا
كالتُّـبَّعين وذي القرنين يقبلـه أهل الحِجَا فأحق القول ما قبلا[1]

وقال وهب بن منبه في كتاب التيجان: حدثنا أسد عن أبي إدريس عن وهب عن عبدالله بن عباس: أنه سُئل عن ذي القرنين: فمن كان؟ قال: هو من حمير وهو الصعب ابن ذي مراثد وهو الذي مكّن الله له في الأرض وأتاه من كل شيء سبباً، فبلغ قرني الشمس وداس الأرض، وبنى السّد على يأجوج ومأجوج، فقيل له: فالإسكندر الرومي؟

قال: كان الإسكندر الرومي رجلاً صالحاً حكيماً بنى على بحر أفريقش منارتين: واحدة بأرض بابليون وأخرى في غربها بأرض رومية (أرمينية). [2]

وسئل كعب الأحبار عن ذي القرنين، فقال: الصحيح عندنا من علوم أخبارنا وأسلافنا أنه من حمير وأنه: «الصعب بن ذي مراثد»، والإسكندر رجل من بني يونان ابن عيص بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ورجاله أدركو عيسى ابن مريم

1- انظر فتح الباري حيث ذكر ابن حجر البيتين أيضاً.

2- انظر أيضاً الفاكهي في أخبار مكة وتاريخ دمشق لابن عساكر بسند ضعيف جدًّا؛ وابن كثير في البداية والنهاية؛ والعظمة لأبي الشيخ.

عليه السلام، منهم جالينوس وأرسطاطا ليس ودانيال وجالينوس وأرسطاطاليس من الروم من بني يونان ودانيال من بني إسرائيل نبي من أنبياء الله. (1)

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف : 83] :

«.. في إيراد المصنف ترجمة ذي القرنين قبل إبراهيم إشارة إلى توهين من زعم أنه الإسكندر اليوناني، لأن الإسكندر كان قريباً من زمن عيسى عليه السلام وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة، والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لُقب بذي القرنين تشبيهاً بالمتقدم لسعة ملكه، وغلبته على البلاد الكثيرة، أو لأنه لما غلب على الفرس، وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين: الروم والفرس، فلقب ذا القرنين لذلك، والحق أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم والفرق بينهما من أوجه:

أحدها: ما ذكرته والذي يدل على تقدم ذي القرنين:

ما روى الفاكهي من طريق عبيد بن عُمير وأن ذا القرنين حج ماشياً فسمع به إبراهيم فتلقاه. (2)

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على إبراهيم وصافحه. (3)

في كتاب شرح العيني على البخاري في كتاب الأنبياء أن ذا القرنين المذكور في القرآن المذكور في ألسنة الناس بالإسكندر، ليس الإسكندر اليوناني فإنه مشرك، ووزيره أرسطاطاليس والمؤمن الذي ذكره الله في القرآن: اسمه عبدالله بن الضحاك بن معد، قاله ابن عباس ونسب هذا القول أيضاً للإمام علي رضي الله عنه.

ورجح الثعالبي في عرائس المجالس أن ذا القرنين كان نبيًّا غير مرسل ووزيره الخضر واختلفوا في زمانه، فقيل: في القرن الأول من ولد يافث بن نوح عليه السلام ثم قال: والأصح أنه كان في أيام الخليل عليه السلام، واجتمع به في الشام وقيل بمكة. والله أعلم.

1- انظر: التيجان في معرفة ملوك الزمان، لابن هشام.

2- انظر: أخبار مكة الفاكهي وتاريخ دمشق لابن عساكر، وإسناده حسن وذكره ابن كثير في البداية والنهاية.

3- رواه الفاكهي في أخبار مكة بإسناد ضعيف جدًّا.

وفرق السهيلي في الروض الأُنف بين شخصين كلاهما يطلق عليه ذو القرنين وقال إن قول ابن هشام في السيرة إنه أي ذو القرنين من أهل مصر وأنه الإسكندر الذي بنى الإسكندرية فعرفت به قول بعيد، ويحتمل أن يكون الإسكندر سمي ذا القرنين تشبيهاً بالأول لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا وأذل ملوك الفرس وقتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الروم وغيرهم.

وابن هشام يروي عن ابن إسحاق عن بعض الأعاجم.

ولكن ابن هشام في كتابه «التيجان» ذكر أن ذا القرنين هو الصعب من ملوك حمير وقيل فيه أشعار كثيرة كما ذكرنا من قبل.

وقال ابن هشام في التيجان: لما نزل الصعب بن ذي مراثد بالحنو، حنو قراقر من أرض العراق، مرض ثماني ليال ثم مات، ثم غاب الخضر فلم يظهر إلى أحد بعده إلا إلى موسى ابن عمران النبي عليه السلام ودفن ذو القرنين بحنو قراقر، [1]، وقال النعمان بن الأسود بن المعترف بن عمرو بن يعفر بن سكسك المقعقع الحميري يرثي ذا القرنين الحميري:

بحنو قراقر أمسى رهينا أخو الأيام والدهر الهجان

1- «حنو قراقر» توجد بأرض العراق ذكر ذلك الإمام السهيلي في الروض الأُنف ولكن للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني قولاً آخر في معرض حديثه عن منطقة عسير حيث قال: فأوطان عسير - بالسعودية الآن - إلى رأس تيه وهي عقبة من أشراف تهامة وهي «أبها»، وبها قبر ذي القرنين فيما يقال، عثر عليه على رأس ثلاثمائة من تاريخ الهجرة.
وفي كتاب بين التاريخ والآثار لعبد القدوس الأنصاري قال: في عسير منطقة مطمورة وآثار ذكرها لنا المؤرخون ومنها الكهف الذي يحوي جثث أربعة أموات قدامى أحدهم رجل ضخم الجثة جداً، ويوجد في هذا الكهف المجهول الأجداث في بالشرحة: جبل شامخ يفصل بين تمنية وتهامة وفي قمته يقع الغار المسكون وقبر ذي القرنين الذي ذكرنا أن الهمداني قد ذكره بأبها (بالسعودية) ومع أن «فؤاد المقدوني حمزة» عدّ هذا من باب التخريف إلا أن «عمر رفيع» رد عليه وأبدى أن ذا القرنين هذا الذي يقال أن قبره «بأبها» هو غير ذي القرنين الإسكندر اليوناني أنه عربي صميم من أهل هذه الدارة.
قال الأنصاري: من رأيي أن أنقاض البناء التي أخذ رسمها «عمر رفيع» في كتاب هي أنقاض لبناء مستجد في عهد الإسلام ولا يرتقي إلى عصر ذي القرنين مطلقاً وإنما بني في عهد انتشار الاعتقادات الخرافية في عصور التأخر والجمود، وقد أقامه بعضهم بعد ما شاع أن قبر ذي القرنين كان هناك بدليل وجود مسجد بجوار الأنقاض. وتم هدم هذا الضريح في عهد ليس ببعيد «انظر كتاب ذو القرنين - محمد خير رمضان يوسف».

لئن أمست وجوه الدهر سودا جلين بذلك الملك اليماني
لقد صحب الردى ألفين عاما ولاقاه الحمام على ثمان
إذا جاوزت من شرفات جو وسرت بايك برقة رحرحاني
وجاوزت العقيق بأرض هند إلى الصوبات والنخل الدواني
هناك الصعب ذو القرنين ثاو ببطن تنوفة الحنوين عاني[1]

وقال تبع أبو كرب قصيدة عن ذي القرنين جاء فيها:

وأقام ذو القرنين جدي مسلماً فمتى تراه له المقاول تسجد
طاف المشارق والمغارب عالما يبغى علوما من كريم مرشد
ورأى مسير الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا فِي عَيْنٍ ذِي خُلُبٍ وثأط حرمد
فلقد أذل الصعب صعب زمانه وأناط قوة عزه بالفرقد

وفي كتابه ذو القرنين قال مؤلفه/ محمد خير رمضان يوسف: ذكر القرماني (في كتابه أخبار الدول):

ويقال له الحارث الرايش، وهو تبّع الأول وكان ملكه مائة وخمساً وعشرين سنة، وكان يسمى الفيلسوف لعقله وأدبه، فتزوج بامرأة من غسان، وكانت على دين الروم، فولدت ذا القرنين، فسماه أبوه الإسكندر، فلما هلك الحرث تولى مكاه ابنه (الإسكندر)، فهو الإسكندر بن فيلسوف الحميري، وإنما نسبته الروم إلى أمه لأن أباه مات وهو صغير، وكان رجلاً طويل القامة، رحب الجبين.[2]

وقال الإمام الآلوسي: ذكر أنه يمكن أن يكون الإسكندر مصعب بن عبدالله ابن قينان بن منصور إلى آخر النسب السابق المنتهي إلى قحطان عنى هذا الرجل الحميري

1- انظر التيجان لابن هشام.
2- انظر كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ تأليف: أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني ص 230.

لا الرومي ولا اليوناني لكن وهم الناقل لأنه لم يقل أحد بأن الروم من أبناء قحطان وكذا اليونان، نعم ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي أن يونان أخو قحطان، ورد عليه أبو العباس الناشيء في قصيدته حيث قال:

أبا يوسف إني نظرت فلم أجـد ... على الفحص رأيا صح منك ولا عقـدا

وصرت حكيما عند قوم إذا امرؤ ... بلاهــم جميعا لـم يجـد عندهم عهـدا

أتقـرن إلحـاداً بـديــن محـمـد ... لـقـد جئـت شيئـا يـا أخـا كنـدة إدّا

تخلط يونـانـا بقحطـان ضلـة ... لعمـري لـقـد باعـدت بينهما جـدا

وقد ذكر جرجي زيدان في تاريخ العرب قبل الإسلام ذا القرنين أو إفريقيس (الصعب) ضمن ملوك حمير ملوك سبأ وريدان وحضرموت (300 – 320م)، ولا يعقل أن يكون هو المقصود في القرآن لأنه تاريخه بعد الميلاد.

وهكذا تضافرت الأدلة أن هناك أكثر من واحد من الملوك القدماء أطلق عليهم ذو القرنين ولكن المقصود في قصة ذي القرنين في القرآن الكريم هو الصعب بن مرثد أحد التبابعة ملوك اليمن العظام وأما الإسكندر الأكبر المقدوني فلا، لأن الأول طاف الأرض وملك المشرق والمغرب وبنى السد «الردم» على يأجوج ومأجوج وأما الآخر فقد ملك الفرس والروم ولم يذكر أنه ذهب إلى مغرب الشمس أو بنى السد وإنما ذكر أنه بنى الإسكندرية.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، لماذا ظن بعض المؤرخين القدماء أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني أو إن اسمه الإسكندر بوجه عام؟

هناك فرق زمني كبير بين عصر ذي القرنين والإسكندر الأكبر المقدوني، وكذلك هناك فرق بين الشخصيتين.

وكما ذكرنا أن الروايات التي ذكرناها وقصائد الشعر التي ذكرناها عن الشعراء العرب القدامى يؤيد بعضها بعضاً أن ذا القرنين هو الصعب بن ذي مرثد الحميري وهو عربي أصيل ومن أكابر ملوك حمير، وكذلك وأنه عاصر إبراهيم الخليل ﷺ.

وقيل في سبب تسميته بالإسكندر وهو اسم رومي ليس بالعربي أن أباه عربي من حمير وأمه رومية وكان يقال له ابن الفيلسوف لرجاحة عقله وأن اسمه مصعب بن عبد الله ابن قتان. (1)

وقال مقاتل: من حمير وكان أبوه إلى الروم فتزوج امرأة من غسان فولدت له ذا القرنين عبداً صالحاً، وقال وهب بن منبه: اسمه الإسكندر. (2)

وقد ذكر الباحث أسامة مرعي في كتابه «ذو القرنين» (3) أن الباحث أوليرنج ويلكين «Ulvich Wilchken» قال في مقدمة كتابه: (الإسكندر الأكبر) أن هناك العديد من الشخصيات التي رسمها الناس في أذهانهم عن الإسكندر الأكبر ولكن الشيء الذي يقترب من الحقيقة هو أن هناك شخصيتين في التاريخ هما: شخصية الإسكندر الأسطورية وهذه الشخصية هي التي ظهرت في التراث الشعبي لثمانين من الأمم ابتداءً من الجزر البريطانية وحتى جزر الملايو، فالإسكندر في شخصيته الأسطورية هذه يمثل صورة البطل في العديد من صور التراث الديني والدنيوي الأوربي في الفترة الرومانسية من العصور الوسطى في أوربا ويمثل صورة الرجل شبه المقدس في التلمود وهو بمثابة ذلك في نظر الكنيسة القبطية.

أما بالنسبة لشعوب وأمم أخرى فإن الشخصية الأسطورية للإسكندر تأخذ شكلاً مرعباً يثير الكثير من ردود الفعل الغاضبة الحاقدة عليه خاصة بالنسبة لبعض الشعوب التي غزاها الإسكندر وترك لديها ذكريات أليمة لا تزال تحكى ضمن التراث الشعبي لتلك الشعوب وقد نسجت الأمم التي غزاها الإسكندر حول شخصيته الكثير من الصور والخيال والأساطير التي أصبحت على مر الزمان من التراث الشعبي لتلك الأمم.

والشخصية الثانية فإنها الشخصية التاريخية وهو الإسكندر المقدوني الملك فيليب

1- انظر شرح العيني على البخاري في كتاب الأنبياء، وإسناده واه.

2- انظر العظمة (لأبو الشيخ) وإسناده واه.

3- كتاب غير منشور حتى طباعة هذا الكتاب.

المقدوني اليوناني التي قضى على الدولة الفارسية (350 ق.م) وتوفى عن عمر ثلاثة وثلاثين سنة.

واستقر رأي الباحث (أسامة مرعي) على أن ذا القرنين المذكور هو الإسكندر آخر غير المقدوني ويسمى أيضاً الإسكندر الأول.

قال ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة (ذي دجن):

«روى ابن شاهين من طريق ابن الكلبي عن وحشي بن حرب بن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده قال: قدم ذو مادح وذو دجن وذو مهدم على النبي ﷺ فقال لهم انتسبوا فقال ذو مِهدَم:

على عهد ذي القرنين كانت سيوفنا صوارم يفلقن الحديد المذكرا [1]

قال محمد راغب الطباخ في كتابه (ذو القرنين وسد الصين):

فمجموع هذه الأشعار يفيد القطع بأنَّ ذا القرنين هو ملك عربي، وأنه الباني للسَّدِّ المذكور في القرآن، ويؤيِّد ذلك - أيضاً - ما في «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير:

«إن ذا القرنين الثاني هو الإسكندر المقدوني اليوناني المصري، باني الإسكندرية، الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحوٍ من ثلاث مئة سنة، وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذي قتل دارا بن دارا، وأذلَّ ملوكَ الفُرس وأوطأ أرضهم؛ وإنما نبّهنا عليه؛ لأنَّ كثيراً من النَّاس يعتقد أنهما واحد، وأنَّ المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير، و فساد طويل كثير. فإنَّ الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً، ومَلِكاً عادلاً، وكان

1- الإصابة من تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني، والحديث أخرجه أبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (2/ 1039 رقم 2635)، وابن شاهين، وابن منده - كما في «الإصابة» (2/ 413) - من طريق إسحاق ابن حرب بن حوشي بن حرب، عن أبيه، عن جده، وإسناده ضعيف، قال ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (2/ 645): «وحشي بن حرب عن أبيه عن جده، إسناده ليس بالقوي، يأتي بمناكير». وانظر: «أسد الغابة» (2/ 179)، و«من روى عن أبيه عن جده» (ص557/ رقم 154). وذكره صاحب كتاب (ذو القرنين وسد الصين) محمد راغب الطباخ.

وزيرُه الخضر وقد كان نبيًّا على ما قررناه قبل هذا، وأما الثاني فكان مشركاً، وكان وزيرُه فيلسوفاً، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة، فأين هذا من هذا، لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور» اهـ

ويؤيِّد ذلك – أيضاً – ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الإسكندر، بعد أن ذكر أقوالاً فيمن بنى الإسكندرية، قال:

«وذكر آخرون أنَّ الذي بناها هو الإسكندر الأول ذو القرنين الرومي، واسمه: أسك ابن سَلوكُوس، وليس هو الإسكندر بن فيلفوس، وأنَّ الإسكندر الأول هو الذي جال الأرض، وبلغ الظلمات، وهو صاحب موسى والخضر –عليهما السلام–، وهو الذي بنى السد، وهو الذي بلغ إلى موضع لا ينفُذه أحد، صوَّر فَرساً من نحاس، وعليه فارس من نحاس يُمسك يُسرى يديه على عنان الفرس، وقد مدّ يده اليمنى، وفيها مكتوب: ليس ورائي مذهب. وزعموا أنَّ بينه وبين الإسكندر الأخير صاحب دارا المستولي على أرض فارس، وصاحب أرسطاطاليس الحكيم/ الذي زعموا أنه عاش ثنتين وثلاثين سنة، وأن الأول كان مؤمناً – كما قصّ الله عنه في كتابه – وعمر عمراً طويلاً، ومَلَك الأرض، وأما الأخير فكان يرى رأي الفلاسفة، ويذهب إلى قِدم العالم، كما هو رأي أستاذه أرسطاطاليس، وقتل دارا، ولم يتعدَّ مُلكه الروم وفارس». اهـ.

ثم ساق أقوالاً أخرى في أول من أنشأ الإسكندرية [1]، وهذا صريح في أن الإسكندر الرومي المكدوني تلميذ أرسطاطاليس، ليس باني السد وأن بانيه هو الإسكندر الأول الملقب ذا القرنين، ويظهر أن مثير الشبهة على بعض مؤرخي العرب والإفرنج: هو تسمية كل منهما بالإسكندر، أو تسمية كل منهما بذي القرنين، لتشابه أعمالهما في تطواف الأرض. [2]

وقد فرق ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية بين شخصين في التاريخ اسمهما الإسكندر وقد لقب كل منهما بذي القرنين فقال:

1- انظر «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمراني (3/ ق 242/ 244).

2- ذو القرنين وسد الصين من هو وأين هو، محمد راغب الطباخ.

وقال إسحق بن بشر عن سعيد بن بشير عن قتادة قال إسكندر هو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام.

فأما ذو القرنين الثاني فهو إسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن مطيون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن يونة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن يقز بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل كذا نسبه الحافظ ابن عساكر في تاريخه.

والمقدوني اليوناني المصري باني اسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

وإنما نبهنا عليه لان كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبدا مؤمنا صالحاً وملكا عادلا وكان وزيره الخضر، وقد كان نبيا على ما قررناه قبل هذا.

وأما الثاني فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة.

فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور.[1]

وقول ابن كثير يوضح بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك ملكين عبر التاريخ يسمى أحدهما الإسكندر الأول وهو ذو القرنين وأبوه أول القياصرة من ولد سام بن نوح عليه السلام، والآخر متأخر جدًّا عنه وهو الأشهر والذي يعرف بالإسكندر الأكبر المقدوني، ولعل ما ذهب إليه ابن كثير يتوافق مع من قال أن ذا القرنين من أب عربي وأم رومية وكان أبوه ملكاً على اليمن.

ولا يفوتنا أن نذكر أن للملوك القدامى وللعرب أسماء عدة وغير ذلك، المهم أنه ليس الإسكندر المقدوني المعروف.

1- البداية والنهاية ج2، لابن كثير.

ذكر لقاء ذي القرنين إبراهيمَ عليه السلام في مصادر أهل الكتاب

جاء ذكر ذي القرنين دون ذكر لقبه في العهد القديم عند اليهود بأنه ملك صادق ملك أورشاليم سفر التكوين 14 حيث جاء فيه:

18 وملكي صادق، ملك شاليم، أخرج خبزا وخمرا. وكان كاهنا لله العلي.

19 وباركه وقال: «مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض،

20 ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك». فأعطاه عشرا من كل شيء.

وفي سفر المزامير 110:

4 أقسم الرب ولن يندم: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

5 الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكا.

6 يدين بين الأمم. ملأ جثثا أرضا واسعة. سحق رؤوسها.

7 من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع الرأس.

وفي رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين 5

8 مع كونه ابنا تعلم الطاعة مما تألم به.

9 وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه، سبب خلاص أبدي،

10 مدعوا من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق.

11 الذي من جهته الكلام كثير عندنا، وعسر التفسير لننطق به، إذ قد صرتم متباطئي المسامع.

وفي رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين (العهد الجديد):

1 لأن ملكي صادق هذا، ملك ساليم، كاهن الله العلي، الذي استقبل إبراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه،

2 الذي قسم له إبراهيم عشرا من كل شيء. المترجم أولا «ملك البر» ثم أيضا «ملك ساليم» أي «ملك السلام»

3 بلا أب، بلا أم، بلا نسب. لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة. بل هو مشبه بابن الله. هذا يبقى كاهنا إلى الأبد.

4 ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء، عشرا أيضا من رأس الغنائم!

وفى نفس الإصحاح السابق:

15 وذلك أكثر وضوحا أيضا إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر،

16 قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية، بل بحسب قوة حياة لا تزول.

17 لأنه يشهد أنك: «كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق».

ومن الواضح أن هناك تشابها بين شخصية ملكي صادق وذي القرنين من نواحٍ عدة يمكن توافرها في ملوك عدة من الملوك العادلين فكل منهما يشترك معاً في العقيدة التوحيدية الصحيحة لكل منهما في زمن الوثنية وكذلك نجد تشابها بين ملكى صادق الذى ينصر المؤمنين الصادقين من أتباع ابراهيم ﷺ وبين موقف ذى القرنين في القرآن الكريم عندما بلغ مغرب الشمس ووجد الناس بعضهم على الإيمان وبعضهم على الكفر فأعطى لأهل الإيمان الجزاء الأحسن وكذلك دعمه للموحدين المستضعفين أمام بطش الأقوام الهمجية الكافرة (يأجوج ومأجوج) فبنى الردم على هذه الأقوام ومنع شرها.

وملكي صادق مالك شاليم ليس من ملوك بني إسرائيل حيث إن بني إسرائيل هم أبناء يعقوب النبي ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وذكر على أنه من المعمرين في الأرض.

وفي سفر أخنوخ من مخطوطات قمران نجد أن ملكي صادق ولد في عهد نوح، وشاليم كما أوضح كمال الصليبي في كتابه التوراة جاءت في جزيرة العرب هي من مناطق عسير بالجزيرة العربية وقد حكم شاليم في عسير وصدقه في نجران وفي جيزان بالجزيرة العربية.

وكل هذه المناطق قرب اليمن، وبالتالي فإن ملكي صادق هو الملك ذو القرنين المذكور في القرآن والذي أكد الكثيرون من المؤرخين القدماء ووافقهم بعض المحدثين أن ذا القرنين هو عربي الأصل من العرب العاربة عاش طويلاً وعاصره إبراهيم الخليل عليه السلام وأنه استطاع توحيد اليمن تحت قيادته وكذلك يذهب كمال الصليبي في كتابه السالف الذكر إلى أن ملكي صادق الذي تحدث عنه الرب مع داود قد وحد بلاد السراة وجوارها تحت سلطانه وهذا هو التمكين في الأرض الذي ذكره القرآن الكريم في سورة الكهف ولعل هذا ما يفسر وجود قبر ذي القرنين في منطقة عسير بأرض السراة والله أعلم.

سيرة الصعب ذي القرنين

من أشهر من ذكره المؤرخون القدامى على أنه ذو القرنين أحد ملوك حمير باليمن هو الصعب ذو القرنين بن الحارث، وقد ذكره في رواية له التابعي وهب بن منبه وهو يهوديٌّ وأسلم وكان يمنيًّا من أهل ذمار وأصله فارسي وتنسب إليه الإسرائيليات الواردة في المصادر العربية ونسب إليه كتاب المبتدأ، وقد نقل عنه صاحب كتاب (ذو القرنين) الأستاذ محمد خير رمضان يوسف سيرة الملك الصعب الذي يظن أنه ذو القرنين:

الصعب ذو القرنين بن الحارث الرائش ذي مراثد بن عمرو الهال ذي مناح بن عاد ذي شدد بن عامر بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود عليه السلام ابن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

وذكر أنه كن في أول ملكه متجبراً شديد السلطان والسطوة، وكان يلبس ثياباً متوجة من الذهب، وذكر أنه رأى أربعة أيام متتالية أحلاماً عجيبة، ولما عرضها على أهل مشورته ووزرائه، أرشده حكيم أن يذهب إلى موسى الذي في القدس، فذهب إليه بجيش عرمرم ورآه هناك، وسأله عن نسبه، ثم قص عليه أحلامه، فبين له أنه سيملك الأرض وأن الملوك يتبعونه، والبهائم والريح تكون مسخرة له.

ثم ذكر مسير ذي القرنين ومعه الخضر، وأن الوحي كان يأتي للخضر، فيعلم بذلك ذا القرنين، حتى عاد إلى الحبشة والسودان، وإلى قوم سود زرق الأعين، وهو يقتل ويسبي وينقل الناس من أرض إلى أرض حتى انتهى إلى قوم بلق آذانهم كآذان الجمال، وأقواماً آخرين آذانهم كبار من أعلى رأس أحدهم إلى ذقنه، وبلغ أرض بني ماريع بن كنعان

ابن حام، فقتل وغنم ثم إلى جزيرة الأندلس ثم رام ركوب البحر المحيط، وكان يموج به وبجيشه، فبنى منارة وجعل عليها صنماً من نحاس عقد بها عاصفات الرياح.

ثم سكن البحر حتى انتهى إلى عين الشمس؛ ووجد هناك جزائر فيها أمم لا يفقهون كلاماً، ثم أمر بعض رجاله أن يعبروا وادي الرمل الذي وجده يسيل بالرمل كالجبال الرواسي، ثم انتهى إلى وادي الياقوت، وإلى الصخرة البيضاء، ولها حديث عجيب، وفيها عين الحياة التي شرب منها الخضر.

ثم أمره الخضر أن ينتظر فقد بلغ مبلغاً ليس وراءه من مزيد ولا مرمى، حتى ناداه مناد من السماء أن بلِّغ حجة الله وأقمها على من لا يعلم وعده ووعيده. ثم بدأ الخضر ينصحه ويعلمه بأمة يأجوج ومأجوج، فحمل عساكره يريد جزائر الأرض خلف جزيرة الأندلس، وهو ينشد أشعاراً طويلة بين كل فترة وأخرى، ثم أرسل بعض عساكره إلى الأندلس وأرسل الخضر إلى قمونية في عساكره.

ومضى ذو القرنين في طريقه حتى وصل الشام، وهو لا يأتي على أمة إلا آمنت أو هلكت. والخضر يفعل كذلك في أرض بابليون ومرَّ هو إلى الشام.

ثم سارا يريدان مطلع الشمس، حتى بلغ المحيط والعراق وفارس، ونزل القصر الأبيض قصر عابر بن شالخ، ثم إلى جابر وإلى هرات ومرو وسمرقند وجاجا وبلخا وحابلجا وبارد وأرض يأجوج ومأجوج، ماراً بأرمينية ونهاوند وباب الأبواب، وقاتل يأجوج مأجوج فغلب عليهم وأناب أمة منهم وهم بنو علجان ابن يافث بن نوح، فتركهم في جزيرة أرمينية إلى ناحية جابرصا، فسموا الترك لأن ذا القرنين تركهم، ومضى يطلب يأجوج ومأجوج حتى لجج في أرضهم وغلب من بها.

ووجد عند طلوع الشمس قوماً صغار الأعين، صغار الوجوه مشعرين، وجوههم كوجوه القردة، وهم لا يظهرون في النهار وإنما يظهرون في الليل، يختفون من حر الشمس في المغارات والكهوف في الجبال، وفي أطراف جزائر المحيط، وهم قوم سود

زرق الأعين طوال الوجوه طوال الأنوف، تشبه وجوههم وجوه الخنازير، وهم يختفون في النهار من حر الشمس، ويظهرون في الليل فدعاهم وآمنوا.

ثم ركب البحر المحيط فسار فيه حولاً حتى ترك الشمس عن يمينه ولجج في الظلمات حتى وصل إلى أرض بيضاء كالثلج، فساخت بهم الدواب، ثم ترك جيشه هناك ومضى هو فيها، وبعد أيام أشرف هناك على دار مفردة بيضاء فيها بيت واحد، وعلى باب الدار رجل أبيض قد أخذ شيئاً كمزمار في فمه، ثم تبين أنه إسرافيل، وأعطى لذي القرنين العنقود من العنب، وأمره أن يأكله وأن يأكل منه عسكره كي يبلغهم إلى أرض الإنس والجن، وأعطاه حجراً مثل البيضة وقال: زنه بما ترى عينك في الدنيا، فإن لك فيه عظة، فعل ذلك بعد أن قال له: يا ذا القرنين، ارجع فليس لك مزيد.

فرجع ذو القرنين بالعنقود والحجر إلى عساكره، وأكل العنقود وأكل العساكر كلهم لاينقص، حتى بلغ أرض العمارة.

أما الحجر فلم يوزنه شيء حتى أخذ قبضة من تراب فجعلها في الكفة وجعل الحجر في الكفة الأخرى فرجح عليها التراب، وخف الحجر، قال له الخضر: هذه عينك لا يملؤها إلا التراب وهو الغالب عليها.

ثم ذكر أن ذا القرنين رجع فبنى السد بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وذكر في طوله أنه ألف ذراع، وفي عظم جسمه ألف ذراع، ثم سار إلى الهند ووجد هناك أقواماً يسكنون القبور، ولا غني فيهم ولا فقير، ولا قاض فيهم ولا أمير، ولا ناه ولا آمر، فاستفسر عن ذلك ذو القرنين فقالوا: سكناها لئلا ننسى الموت ونطمئن إلى الحياة ... ورأينا غني الدنيا فقيراً بالآخرة .. ورأينا القرون من قبلنا والأمم في دهرنا يغصب القوي الجاهل الضعيف القليل الناصر، ويقهر العزيز القادر الذليل المهين .. الخ. وقالوا: اجتزينا بالقوت ويسير المعاش.

ثم مضى إلى أرض سمرقند فوجد فيها الزط والكرد والصغد، فقتل منهم من قتل

وأجاب من أجاب .. ثم أخذ أرض مرو فوجد فيها الخزر وفرغان والديلم وفعل بهم كذلك ثم مضى إلى أرض هراة فوجد فيها الخوز والإفرنج فأجابوه، ثم سار على البر إلى أرض الصين.

ثم رجع إلى بابل فغلب عليها، ثم سار يريد أرض تهامة والحج بمكة، فلما صار بحنو قراقر من أرض برقة رحرحان من رمل العراق رأي الموت وأيقن به، وأخبره بذلك الخضر فقال: يا ذا القرنين انقضى الأمل وحان الأجل وبقي العمل، فحكم عليك البأس لما تقحم عليك الممات، فنزل الرضا وغاب عنك القضا وقد وعدك الله وعداً والله متم وعده..

ثم أنشد ذو القرنين أبياتاً ينعي فيها بنفسه، ومرض ثماني ليال ثم مات ثم غاب الخضر فلم يظهر إلى أحد بعده إلا إلى موسى بن عمران النبي ﷺ ودفن ذو القرنين بحنو قراقر.

وذكر وهب بعد ذلك أشعاراً في رثاء ذي القرنين للنعمان بن الأسود بن المعترف بن عمرو بن يعفر بن سكسك المقعقع الحميري، وأبياتاً أخرى لمحمود بن زيد بن غالب بن المنتاب بن زيد بن عملاق.

ثم مضى وهب فينقل الآراء في كونه من حمير، وذكر في ذلك أبياتاً لتبع أبي كرب ولامرئ القيس ثم كلماتٍ وأشعاراً لقس بن ساعدة أحكم العرب في زمانه وأخطبهم، وذكر بيتاً لأعشى بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، ثم ذكر أبياتاً متعددة لربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة بن ذبيان، وكان معمراً مائتي عام وكان أحكم العرب في زمانه وأشعرهم وأخطبهم، ثم ذكر أبياتاً لطرفة بن العبد بن سفيان وأيضاً لأوس بن حجر السعدي.

وذكر بعدها أن الذي تولى بعده الأمر ابن أبرهة ذو المنار، سماه الصعب على اسم إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنما سمي أبرهة باللسان الحبشي وتفسيره وجه أبيض.(1)

1- انظر ترجمته - باختصار - في كتاب التيجان من ص 81-126، وانظر عن حياته ما رواه عبيد بن شرية ص 433 - 438.

وقد نسبت إلى هذا الملك الحميري أبيات وقصائد كثيرة. ففي (التيجان) أنه عندما وصل مأرب أوقف عساكره وعمل بطاعة الله ثم أمر بعمود من رخام فنقش فيه بالخط المسند الحميري:

يلوم اللائمون الجهل جهلا — وداء الجهل ليس بذي دواء
وعلم العالم التحرير جهل — إذا ما خاض في بحر البلاء
إذا كان الإمام يحيف جورا — وقاضي الأرض يدهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل — لقاضي الأرض من قاضي السماء[1]

في ألف ألف كالنجوم لهم — زجل كأسراب القطا الهمس
والصعب ذو القرنين قاد بها — لصلاح أرض الترك والفرس[2]

وعندما حمل عساكره في المحيط يريد جزائر الأرض خلف جزيرة الأندلس عبره إلى الأرض وأنشأ يقول:

ألا أيها الوراد قد نلت خطة — علوت بعلميها ملوك الأعاجم
سلكت غروب الأرض حزما بجحفل — لنأتي أرضا غير أرض التشائم[3]

وهذه أبيات متفرقة من القصيدة نفسها:

فأرجيت فيه أمة بعد أمة — وقدمت فيه عالماً بعد عالم
وأعطيت أسباباً أرى الرشد عندها — تناهت بصدق العلم عن كل عالم
ومن قال في علم الغيوب يعلمه — له نومة تربي على كل نائم
فودعني عمرو عليه تحيتي — وفارقني من يعفر حزم حازم

1- التيجان ص 85، مصدر سابق.
2- التيجان ص 92 - 93.
3- التيجان ص 95.

كتـبـت بخـط الحميـريـة آيـة   بأن ليس بعدي من مسيـر لقـادم
ألـم تر أن الـدهـر يـهـدم ما بنى   ومـن يـك مهدوماً فليس بهـادم (1)

وعندما رأى قصر عابر بن شالخ أنشأ يقول:

أين رب الملك بل أين الـذي   شيد القصر زمانا ثـم جن
أين من ينجو من الموت ومن   أخذ العهد على رب الزمن (2)

وعندما دخل القصر ورأى فيه الأعاجيب قال:

فمن يسأل عن القصـر   فمبنيـا وجـدنـاه
فأيـن الساجد السامـي   مليك القصر بـنـاه
وقـد كـان بـه حينـا   ولـو كـان سألنـاه

وعندما اقترب أجله قال قصيدة تقع في (53) بيتاً اقتطعنا منها هذه الأبيات:

يا صـعب حقـا كـل شـيء هالك   إلا الإلـه الـواحـد الـمعبودا
عمـرت ألـفـاً بـعـد ألـف قبـلـهـا   فـي العالميـن وقـد دعـيـت وحـيـدا
وقـصـدت آفـاق الـبـلاد بـقـدرة   فـوجدت نحسـاً عندهـا وسـعـودا
فـهـديت فـيـهـا مـؤمـنـاً ذا هـمـة   وقسرت منـهـا كـافـراً وجـحـودا
ورأيت عين الشمس عنـد سقوطهـا   ووردت أمـواج الـمـحـيط ورودا
وبلغـت أعلام الـمـشـارق كـلـهـا   أبـقـى لمن أبـقـى بهـن حـدودا
فوطـئـت يأجوجاً ومأجوجـاً بـهـا   وبـنـيـت قطـراً دونـهـا وحديـدا
فجعـلـت عـن سربيهـمـا مندوحة   والـفـج عـن صدفيهـمـا معقـودا
وولجـت فـي الظلمات حتى جبتـهـا   خوفـاً وكـان رِتـاجـهـا مـحـدودا

1- التيجان ص 95 - 96
2- التيجان ص 98.

ولقيت تحت الشمس قوماً خلتهم ... تحت الظلام خنازرا وقرودا

وعلى بني حام غدوت بسطوة ... بالصين حتى بددوا تبديدا [1]

قال امرؤ القيس في رثائه:

همام طحطح الآفاق وحيا ... وقاد إلى مشارقها الرعالا

وسد بحيث ترقى الشمس سدا ... ليأجوج ومأجوج الجبالا [2]

وقول الأعشى:

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا ... بالحنو في جدث أميم مقيما

وقال ربيع بن ضبع، وكان معمراً، ومن أحكم العرب:

رأيت قرونا بعد قرن تقدمت ... فلم يبق إلا ذكرها حين ولت

ألا أين ذو القرنين أين جموعه ... لقد كثرت أسبابه ثم قلت

وقال أيضاً:

وألوى بذي القرنين بعد بلوغه ... مطالع قرن الشمس بالإنس والجان

وقال:

والصعب ذو القرنين عمر ملكه ... ألفين أمسى بعد ذاك رميما [3]

وقال أيضاً:

فهل بعد ذي القرنين ملك مخلد ... وهل بعد ذي الملكين يوم فلاح؟

وفيه يقول طرفة بن العبد:

إذا الصعب ذو القرنين أزجى لواءه ... إلى ملك ساسان فقامت نوادبه

1- نقل الهمداني في الإكليل هذه القصيدة مع اختلاف في بعض الكلمات ولكنه قال: إنها قصيدة طويلة تقع في أربعمائة بيت! الإكليل تحقيق نبيه فارس ص 187 - 190.

2- التيجان ص 114.

3- التيجان ص 114.

يسير بحتف الوجه والعيش جمعه وتمضي على وجه البلاد كتائبه

وقال أوس بن حجر السعدي:

وتجري الليالي بانتقاص ومزقة وإن سبيل الصعب لا شك يسلك(1)

وقال علقمة بن ذي جدن وقد رثاه في جملة من ذكر من ملوك قحطان:

أين الذي بلغ المشارق كلها ومغارب الأرض التي لم تعمر

وبنى على يأجوج ردما رصّه بالقطر يثبته ولما يظهر

فتناولته منية قصدت له فأجابها ومضى كأن لم يذكر(2)

وقال فيه القلمس أفعى نجران في أبيات يرثي فيها سليمان بن داود عليه السلام:

ألم تسمع بذي القرنين لما تمكن عنده الملك المكين

وكان الصعب في الدنيا يلهو وجد الدهر فيه له قرين(3)

قال الأستاذ/ محمد خير رمضان يوسف:

كانت تلك بعض النقاط عن حياة الصعب ذي القرنين، نقلتها لك باختصار عمن اشتهر برواية أخبار ملوك اليمن - الروائي عبيد بن شرية -.

وبعد أن سرد الأستاذ الطباخ حياته بإسهاب، مع روايات أخرى، قال: يستفاد مما تقدم أن ذا القرنين بعد أن أتى بلاد باب الأبواب - وهي البلاد الواقعة عند بحر خزر - سار منها إلى تركستان الشمالية، ومنها إلى تركستان الشرقية الواقعة شمالي جبال كوتن تن، وكانت جميع هذه البلاد إلى أن تصل إلى جبال كنج جان، بل وإلى ما وراء هذه الجبال تدعى بلاد يأجوج ومأجوج، ثم خصت البلاد الغربية من بلاد الصين من الشمال إلى الجنوب باسم الترك بناء على أن ذا القرنين تركهم غربي السد - وكونهم سموا تركاً لهذا السبب ليس مما يطمئن له القلب ويثلج به الصدر-.

1- انظر هذه الأبيات في كتاب التيجان. الصفحات (118، 120، 121، 122، 125، 126).

2- الإكليل تحقيق نبيه فارس جـ 8 ص 198.

3- الإكليل للهمداني، تحقيق نبيه فارس، جـ 8 ص 202.

قال: ويستفاد من كلام صاحب التيجان بعدما تقدم، أنه أوغل في شمالي البلاد الصينية، وبلغ جزائرها، ولعل المراد بها الجزائر التي في شمالي آسيا أو الجزر التي فيها الأمة المعروفة الآن باليابان.

وقال بعد ذلك في ص (102): ثم إن ذا القرنين رجع حتى بلغ السد وهو بالصدفين ولا سد فيه، فشكى له أهل تلك الأماكن ما يلاقونه من يأجوج ومأجوج من الغارات عليهم والإفساد في زرعهم والتخريب في بلادهم وقطع السبل عليهم، وهم قوم أقوياء ولا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وهؤلاء ضعاف قليلون بالنسبة إلى أولئك، وغشم قليلو الفطنة كما وصفهم الله بقوله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: 93]. ولما رأوا أن ذا القرنين قد أنكى فيهم و دوخ بلادهم وخضعوا لسلطانه وكانوا لا يؤمنون إذا ذهب ذو القرنين وكر راجعاً إلى بلاده أن يهاجموهم ويغيروا عليهم ويعيثوا في الأرض فساداً، فانتهزوا هذه الفرصة و﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94]؟ يحجز دون خروجهم علينا.[1]

وما ذكره وهب بن منبه عن مسيرة وتاريخ الصعب الحارث تنطبق على ما جاء وصفه في القرآن الكريم من سيرة ذي القرنين، ولكننا نتوقف عندها كونها من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

ولكننا نختار الرأي القائل أن ذا القرنين هو شخصية عربية قديمة جدًّا كما ذكرنا من قبل وأنه عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام وأن حكمه ورحلاته كانت شهيرة عن العرب وشعرائهم القدامى وقد سجلوا تاريخه في أشعارهم كما ذكرنا بعضها والله أعلم.

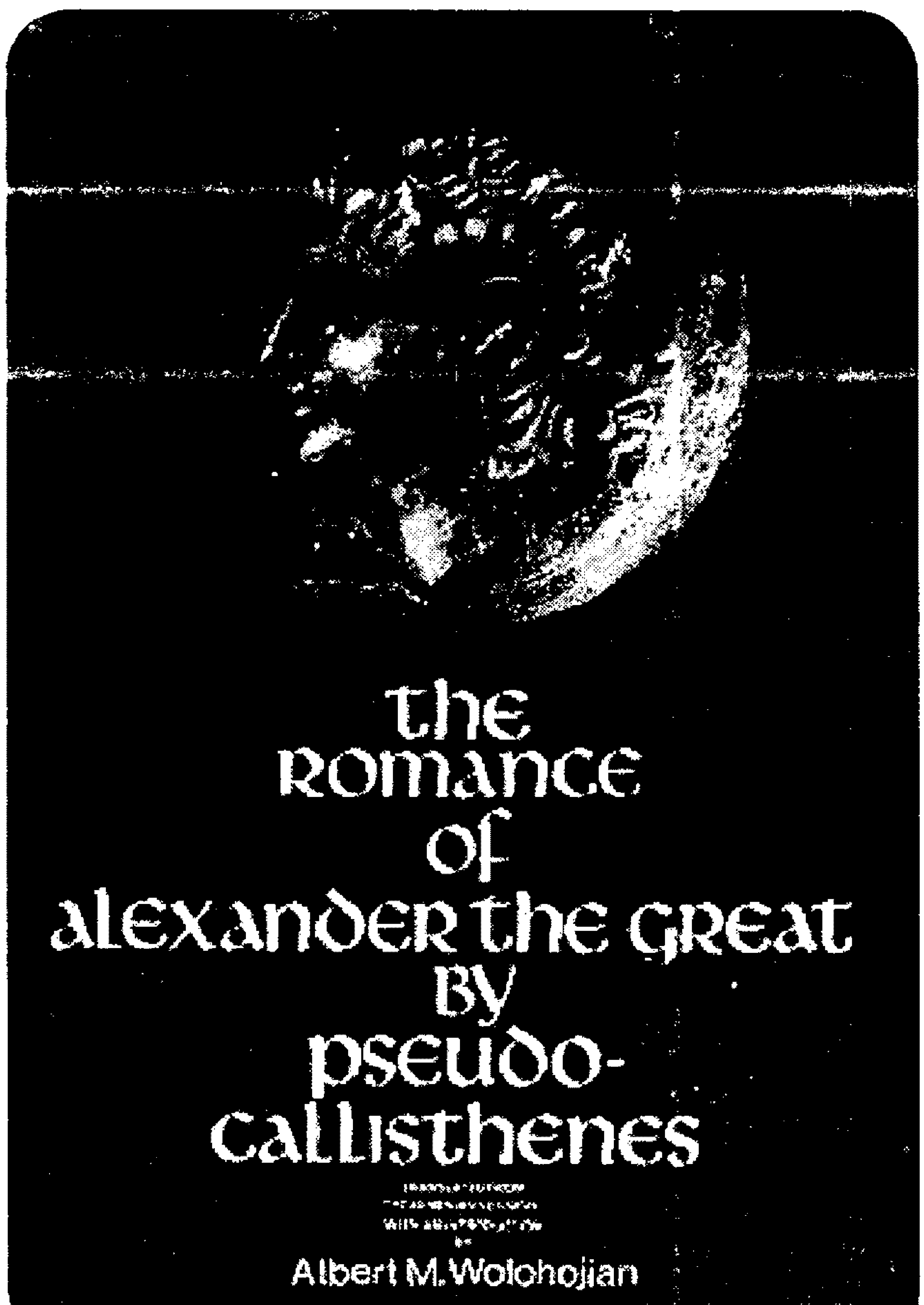
وللعلامة الفقيه محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله كلمة فاصلة في كتابه «أغاليط المؤرخين» حيث أفاد أن ذا القرنين هو حاكم عربي مسلم صالح من حمير من اليمن، وقال غلط من قال إنه غير عربي.

1- انظر (ذو القرنين وسد الصين)، ونقله عنه/ محمد رمضان يوسف في كتابه (ذو القرنين)، ولكنه لم يرجح أن يكون المصعب هذا هو ذو القرنين أو يكون غيره ممن ذكره المؤرخون عموماً.

وقال الدكتور شاكر مصطفى في كتابه التاريخ العربي والمؤرخون ج2:

«رواية الإسكندر الأكبر وهي القصة الخرافية لهذا الرجل التي يعود أصلها إلى مصر وتنسب للشاعر الإغريقي كاليثنوس الإغريقي وهذه القصة عرفت البهلوية ثم عرفت السريانية، وقد اختلط بأصلها الوثني بعض القصص المسيحي، وقصص يأجوج ومأجوج والسد الفولاذي الذي بناه الإسكندر دون هؤلاء. (1)

1- رويت عن أصل الإسكندر ومولده روايات تقول إنه ولد من نتاج تزاوج الإنس بالجن وكلها خرافات وأساطير لا أساس لها، نكتفي بالإشارة إلى الفكرة فقط.



صورة غلاف النسخة السريانية من كتاب: سيرة الإسكندر (Alexander romance) للمؤرخ / كاستنيس (Callisthenes) ترجمة الأسقف/ مار يعقوب السروجي السرياني، وهي تحكي سيرة الإسكندر المقدوني.

5

رحلة ذي القرنين إلى مغرب الشمس

- الأسباب والتمكين لذي القرنين.
- بلوغ ذي القرنين مغرب الشمس.
- شمس عالم جوف الأرض.
- ذكر عالم جوف الأرض في كتب المؤرخين القدماء.
- كيفية طلوع وغروب الشمس الداخلية المركزية بعالم جوف الأرض ومشاهدة ذي القرنين لها.

الأسباب والتمكين لذي القرنين

الرحلة الأولى كما ذكرها الحق جل وعلا في سورة الكهف:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [الكهف: 83-89].

كانت البداية التمكين .. مكنه الله عز وجل في الدين قبل الدنيا، وهذا دليل الملك والفقه في الدين حتى قال البعض إنه كان من الأنبياء، قال الفخر الرازي في تفسيره: الأوْلى حمله على التمكين في الدين والتمكين الكامل في الدين هو النبوة.

وقال غيره إن الله سهل عليه السير في الأرض فقال البيضاوي في تفسيره «أنوار التنزيل»: أي مكنّا له أمره من التصرف في الأرض كيف شاء فحذف المفعول.

وأعطاه الله من الأسباب التي سهلت له طريقه وحكمه وفتحه للبلاد قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: أي وسعنا مملكته في البلاد وأعطيناه من آلاف المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الحسنة.

وقال أيضاً في التفسير: أي علماً يطلب به أسباب المنازل.

وهذا يقضي أنه توصل إلى اختراع الكثير من الوسائل الحديثة، أي مثل الاختراعات التي نراها في عصرنا الحالي وأكثر حتى قيل إنه ملك الطائرات والأطباق الطائرة والغواصات البحرية، قال الخازن في تفسيره باب تأويل قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ مما يحتاج

إليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء ﴿سَبَبًا﴾ أي: علماً يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير به في أقطار الأرض».

وقال إسحاق: وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز، فمن اتبعه على دينه وتابعه عليه وإلا قتله. (1)

وقد ذكر أسامة مرعي في مقالة له على شبكة الإنترنت:

«إن الملك ذا القرنين قد توصل لأسرار صناعة الأطباق الطائرة (اليوفو) «UFO»

وقال في ذلك: إن النبي الملك الإسكندر الأول الأكبر الملقب بذي القرنين عليه السلام هو رجل جعله الله تبارك وتعالى خليفة في الأرض ومكن له فيها وأعطاه ملكاً عظيماً وآتاه من كل شيء سبباً وأحاطه بكل شيء علماً، واختصه بالعلم العجيب والمعرفة الغريبة عن باقي البشر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: 84-85].

هذه الآية القرآنية الكريمة ذكرها الله عز وجل بصيغة التعظيم ومعناها أن الله سبحانه وتعالى أعطى النبي الملك ذا القرنين عليه السلام علماً وبهذا العلم استطاع أن يتوصل إلى معرفة أسرار صناعة الأطباق الطائرة باسم اليوفو، ولا عجب في ذلك ألم يأت عرش بلقيس عن طريق العلم من اليمن إلى فلسطين قبل أن يرتد رمشا نبي الله سليمان عليه السلام إليه؟!!

وأضاف أيضاً: أنه رجل أعطاه الله من كل شيء علماً ومنها علوم نجهلها حتى الآن في عصرنا الحديث بل ونجهل إمكانيات وسائل الانتقال التي كان يستخدمها النبي الملك ذو القرنين عليه السلام في تلك الفترة الزمنية السحيقة الموغلة في القدم ولا ننسى أيضاً أنه كان يمتلك النفوذ الكبير غير المحدود كمعاقبة من يكفر بنعمه الله مصدقاً لقوله تعالى: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: 87].

واستند الباحث لما توصل إليه الإمام ابن كثير في تفسيره حيث قال: وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي من طريق قتيبة عن أبي عوانة عن سماك بن حرب عن حبيب

1- انظر تاريخ دمشق ابن عساكر.

ابن جماد رحمه الله قال: كنت عند علي بن أبي طالب ﷺ وسأله رجل عن ذي القرنين كيف يبلغ المشرق والمغرب؟

فقال: سبحان الله سخر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد.

قال: وقوله سخر له السحاب أي الأطباق الطائرة التي تشبه السحاب في الشكل واللون.

قلت: ونحن لا ننكر أن ذا القرنين قد توصل بالأسباب التي أعطاها الله له من الوصول إلى أي اختراع أو أن الله سخر له الريح والسحاب كما سخر ذلك لسيدنا سليمان عليه السلام.

وتسخير السحاب لذي القرنين ورد في آثار أخرى رواها السيوطي في الدر المنثور وغيره.

وجاء في النسخة السريانية من كتاب «سيرة الإسكندر الأكبر للشاعر والمؤرخ اليوناني كالستنيس» ترجمة الأسقف رمار يعقوب السروجي السرياني ما نصه:

إن جيوش أعدائه - أي الإسكندر الأول - شاهدوا دروعاً مدورة فضية تطير في السماء ودونوا أن هذه الدروع الطائرة حينما كانوا يحاصرون مدينة صور كانت في جيش الإسكندر الأكبر الملقب بذي القرنين حيث قامت إحدى الطائرات فجأة بإصدار وميض ضوئي موجهاً إلى حائط المدينة التي أرادوا اقتحامها فتهدم بعدها وتحول إلى غبار مما مكن الإسكندر الأكبر من اختراق حائط دفاع المدينة!!

وكذلك ذكر الباحث أن ذا القرنين قد توصل أيضاً إلى اختراع وصناعة الغواصات، ودلل على ذلك ببحث منشور على أحد المواقع الأجنبية على شبكة الإنترنت للكاتب/ مايكل لاهانس تحت عنوان «تاريخ الغوص في حياة الإسكندر الأكبر» وجاء فيها أن وصف الغواصة: ذات هيكل قوي وهي مربعة الشكل يتم إنزالها في أعماق البحار وهي من الداخل عبارة عن غرفة يتم ركوب الناس فيها وإنزالها بواسطة كبل (حبل) لدراسة

المحيطات والحياة البحرية وتم اختراعها وتسميتها من قبل العالم والمؤلف الأمريكي وليام بيبي في عام 1930م.

وهذه الغواصة بهذا الوصف عبارة عن غرفة كبيرة ذات شكل دائري، أو برميل زجاجي وكل هذا يعد أمراً بدائيًا بالنسبة للعصر الحديث.

وقال البغوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: 85] أي سلك وسار طريقاً، أي فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً يوصله حتى بلغه.

أي أن الله عز وجل علمه علماً يصل به إلى المسير إلى أقصى الأرض وسخر له السحاب وكل شيء.

وجاء بعد تسخير الأسباب وتهيئتها له أنه وصل إلى مغرب الشمس كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86].

بلوغ ذي القرنين مغرب الشمس

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [الكهف: 86].

مغرب الشمس هو أقصى ما يبلغه الإنسان من الجهة الغربية من الأرض وهي القارة الأمريكية وسوف نتعرض لهذا الموضوع في حينه وكيف أن ذا القرنين قد اكتشف القارة الأمريكية ووصل إليها كما وصل إليها أيضاً بعده قومه من العرب وذلك قبل اكتشاف كولمبس المزعوم لها.

الأرض كروية نعم هذا اكتشاف نسبه الغرب إلى جاليليو الإيطالي، ولكن العرب وصلوا أيضاً إليه قبله، قال الفخر الرازاي في تفسيره[1]: أنه ثبت بالدليل أن الأرض كرة وأن السماء محيطة بها ولاشك أن الشمس في الفلك، وأيضاً قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: 86]، ومعلوم أن جلوس قوم قرب الشمس غير موجود وأيضاً الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة، فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض إذا ثبت هذا فتقول: تأويله قوله: ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ من وجوه:

أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهذه مظلمة، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب في البحر.

هذا التأويل الذي ذكره على الجبائي في تفسيره. [2]

1- تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج5.

2- تفسير الجبائي المعتزلي، لمحمد بن عبدالوهاب بن سلام أبي علي الجبائي (235 - 303هـ) (549 - 916م) وهو من أئمة المعتزلة؛ انظر (التفسير والمفسرون)، لمحمد حسين الذهبي والإعلام للزركلي.

والوجه الآخر: قال أهل الأخبار أن الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والحمأة وهذا في غاية البعد وذلك أنا إذا رصدنا كسوفاً قمريًا فإذا اعتبرناه ورأينا المغربيين قالوا حصل هذا الكسوف في أول الليل.

ورأينا أن المشرقيين قالوا: قد حصل في أول النهار، فعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد، ووقت الظهر في بلد آخر، ووقت الضحوة في بلد ثالث، ووقت طلوع الشمس في بلد رابع، ونصف الليل في بلد خامس.

وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار، وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات؛ كان الذي يقال: إنها تغيب في الطين والحمأة، كلاماً على خلاف اليقين وكلام الله - تعالى - مبرأ عن هذه التهمة، فلم يبق إلا أن يصار إلى التأويل الذي ذكرناه. اهـ

وفي البداية والنهاية قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: 86].

«يعني: من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحد أن يجاوزه، ووقف على حافة البحر المحيط الغربي، الذي يقال له (أوقيانوس) الذي فيه الجزائر المسماة بـ (الخالدات) التي هي مبدأ الأطوال على أحد قولي أرباب الهيئة، والثاني من ساحل هذا البحر كما قدمنا، وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86]، والمراد بها البحر في نظره، فإنَّ من كان في البحر أو على ساحله؛ يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه، ولهذا قال: ﴿وَجَدَهَا﴾. أي: في نظره، ولم يقل: فإذا هي تغرب في عين حمئة أي ذات حمأة.[1]

وخلاصة المعنى أن ذا القرنين لما وصل إلى نهاية بلاد المغرب المعروفة في عصره بالنسبة إلى بلاده، وجد الشمس تغرب في ماء كدر؛ لكثرة ما فيه من الحَمَأة أو الحمْأة؛ ومعناهما:

1- البداية والنهاية لابن كثير ج2.

الطين الأسود، قال الراغب في مادة: (وجد) من «مفرداته» إن الوجود أنواع: فيطلق على ما يدرك بإحدى الحواس الخمس، وبالعقل، وبالوجدان الباطن، كالغضب والشهوة، فيقال: وجدت الشيء أو الشخص، ووجدت طعمه حلواً، وجددت رائحته طيبة، ووجدت صوته حسناً، ووجدت خشونته شديدة، ووجدت الشبع والسرور، وقال في تفسير: ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء: 89] حيث رأيتموهم، وفي تفسير: ﴿وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: 23]، وقوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ [النمل: 24]، إنه وجود بالبصر والبصيرة، فلقد كان منه مشاهدة بالبصر، واعتبار بالبصيرة.

إذاً فقوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ [الكهف: 86] بمعنى: رآها، كما يراها المسافر في البحر تطلع منه وتغرب فيه، وكذلك يراها في السواحل.

ويرى بعض الناس أن المراد بهذه العين الحمئة المحيط الأطلنطي، وكانت العرب تسميه بحر الظلمات، ويجوز أن يراد بها بعض البحيرات التي جفت أو الباقية، فإن ذا القرنين قديم، وقد كانت الأرض مغمورة بالمياه، وظهرت اليابسة منها بالتدريج البطيء، وكثيراً ما حصل في الأقاليم الاستوائية أن توجد البحيرة، ثم تجف في مدة قصيرة. والله أعلم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف: 86] قال النسفي في مدارك التنزيل: «كانوا عراة من الثّياب، لباسهم جلود الصيد، وطعامهم ما لفظه البحر، وكانوا كفاراً، وقوله: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86] إلخ: استدل بعضهم بقوله: ﴿قُلْنَا﴾ على نبوّة ذي القرنين، والذي يتكلم الله معه لا بد وأن يكون نبياً، ومنهم من قال: إنه كان عبداً صالحاً».

وأضاف:

«إن كان نبيًّا، فقد أوحى الله إليه بهذا؛ وإلا فقد أوحى إلى نبيّ فأمره النبي به، أو كان إلهاماً، خير بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم، وبين أن يتخذ فيهم حسناً بإكرامهم، وتعليم الشرائع إن آمنوا، أو التعذيب: القتل، واتخاذ الحسن: الأسر؛ لأنه بالنظر إلى القتل إحسان».

وعن ابن عباس: كان ذو القرنين ملكاً صالحاً رضي الله عمله، وأثنى عليه في كتابه، وكان منصوراً، وكان الخضر وزيره، وذكر أن الخضر - عليه السلام - كان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور الذي هو من الملك بمنزلة الوزير في إصلاح الناس اليوم. (1)

وحسب الرأي القائل أن ذا القرنين ليس نبيًّا وأن الخضر هو النبي الملازم له فيكون الوحي الإلهي يأتي الخضر الذي يبلغه ذا القرنين.

وقد ذكر الطباخ في كتابه (ذو القرنين) أنه في «محاضرة الأوائل» لعلي دده (ص29):

«أول من صافح وعانق إبراهيم - عليه السلام - حكى بعض الثقات من المؤرخين أنه اجتمع في الحرم المكي مع إسكندر ذي القرنين الكبير، وعانقه وصافحه وأعطاه الراية، وتشرع بشريعته، ودخل ملته، ودعا الناس إلى أحكام شرعه». (2)

وأضاف:

وهذا يؤيد أنه كان عبداً صالحاً، ويكون الله قد أوحى إلى وزيره الخضر الذي كان مرافقاً له أن يقول لذي القرنين: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86]، فقال: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: 87]؛ أي: فاختار الدعوة، وقال: أما من دَعَوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره، أو استمر على ظلمه الذي هو الشرك، فنعذبه: أنا ومن معي في الدنيا بالقتل، ثم يعذبه الله في الآخرة عذاباً منكراً لم يعهد مثله، ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 87] وهو ما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُۥ﴾ في الدارين ﴿جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: فله المثوبة الحسنى مجزيًّا بها، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾؛ أي: لا نأمره بالصَّعب الشَّاق، ولكن بالسهل الميسر من الزكاة والخراج وغيرهما، وقيل: نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا.

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف : 90] يعني من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحد أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربي.

1- إسناده ضعيف جدًّا ذكره ابن كثير في البداية والنهاية.

2- مؤلفه علي بن دده السكتواري البنوي، الملقب ب، (شيخ التربة)، كان صوفيًّا له مؤلفات عديدة، توفي سنة (1007هـ)، انظر (ذو القرنين) وسد الصين للطباخ تحقيق أبو عبيدة، مصدر سابق.

وقوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ والمراد بها: البحر في نظره، فإن من كان في البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه، ولهذا قال: ﴿وَجَدَهَا﴾ أي: في نظره، ولم يقل: فإذا هي تغرب في عين حمئة أي: ذات حمأة.

قال كعب الأحبار: وهو الطين الأسود، وقرأه بعضهم: حامية، فقيل: يرجع إلى الأول، وقيل: من الحرارة، وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها.

وقد روى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب: حدثني مولى لعبد الله بن عمرو، عن عبد الله قال: (نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال: (في نار الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض).

فيه غرابة، وفيه رجل مبهم لم يسم، ورفعه فيه نظر، وقد يكون موقوفا من كلام عبدالله بن عمرو، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين، فكان يحدث منهما، والله أعلم.

ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس، وصار يمشي بجيوشه في ظلمات مددا طويلة، فقد أخطأوا وأبعدوا النجعة، وقالوا ما يخالف العقل والنقل.[1]

قال الدكتور يوسف القرضاوي عن القوم الذين وجدهم ذو القرنين عند مغرب الشمس وما هي العين الحمئة:

جاءت قصة ذي القرنين في سورة الكهف من القرآن الكريم، ولم يحدثنا القرآن الكريم عن ذي القرنين من هو؟ ولا عن تفاصيل قصته: أين ذهب بالضبط، مغربا ومشرقا، ومن هم الأقوام الذين ذهب إليهم؟

لم يحدثنا القرآن عن ذلك، كما أن أكثر ما ورد في سورة الكهف، ورد أيضا بدون تحديد أسماء ولا تفاصيل، وذلك لحكمة يعلمها الله عز وجل. إن القصد من القصص القرآني،

1- البداية والنهاية، لابن كثير.

سواء في سورة الكهف أم في غيرها، ليس إعطاء تاريخ وحوادث تاريخية، وإنما القصد هو العبرة، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[يوسف: 111].

هنا ذو القرنين، قصته فيها عبرة: ملك صالح، مكنه الله في الأرض، وآتاه من كل شيء سببا، ومع هذا لم يطغه الملك. بلغ المغرب، وبلغ المشرق، فتح الفتوح، ودان له الناس، ودانت له البلاد والعباد، ومع هذا لم ينحرف عن العدل، بل ظل مقيما لحدود الله، كما قال لهؤلاء القوم: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾[الكهف: 87، 88].

أما من هم هؤلاء القوم، فالقرآن لم يعرفنا عنهم شيئا، ولو كان في معرفتهم فائدة دينية أو دنيوية، لعرفنا ولهدانا إلى ذلك.

كذلك، أين غربت الشمس؟ لم يعرفنا القرآن، وكل ما نعلمه أن ذا القرنين اتجه إلى جهة الغرب، حتى وصل إلى أقصى مكان في الغرب، وهناك وجد الشمس في رأى العين كأنما تغرب في عين حمئة. والحمأ هو الطين المتغير. فكأنما وجد الشمس تسقط في تلك العين الحمئة.. ولو وقف أحدنا عند الغروب على شاطئ البحر، لوجد الشمس كأنما تسقط في البحر أو تغرب فيه، مع أن الحقيقة غير ذلك. فهي تغرب عن قوم لتشرق عند آخرين.

فالمقصود إذن في الآية ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي فيما يرى الرائي، وينظر الناظر.

ولعل ذا القرنين وصل إلى مكان يتصل فيه النهر بالبحر عند الفيضان كالنيل مثلا حيث يكون ماؤه معكرا يحمل الطين، فإذا غربت الشمس تبدو للناظر كأنها تغرب في عين حمئة.. أو لعلها بركة فيها طين.. لم يحدد القرآن بالضبط، وإنما المقصود أنه ذهب إلى أقصى المغرب كما ذهب إلى أقصى المشرق، وذهب إلى قوم يأجوج ومأجوج، ومع كل هذا ظل على عدله، وعلى إيمانه بربه، واعترافه بفضل الله عليه، في كل ما يفعله، أقام السد العظيم من زبر الحديد، وغيره، ثم قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[الكهف: 98].

هذا هو المقصود، وتلك هي العبرة.. ملك صالح، مُكِّن له في الأرض ومع هذا لم يطغ ولم يتجبر ولم ينحرف.

أما التفصيلات، فلم يعن القرآن بها، كما أن السنة لم تبين لنا شيئا من تلك التفصيلات كالزمان، والمكان، والأقوام... وليس في ذلك فائدة مطلوبة، ولو كان فيها هذه الفائدة لذكرها القرآن الكريم.

وإنه لجدير بنا أن نقف عند الذي جاء به القرآن، والذي جاء به رسول الله ﷺ.(1)

جاء في تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور (جلال الدين السيوطي متوفى سنة 911هـ):

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف : 84، 85]

قال: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قال: علما.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قال: المنزل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد ﷺ في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قال: علما. من ذلك تعليم الألسنة، كان لا يعرف قوما إلا كلمهم بلسانهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال ﷺ، أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الأحبار: تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ قال له كعب ﷺ: إن كنت قلت ذاك فإن الله قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن قتادة ﷺ في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قال: منازل الأرض وأعلامها.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ﷺ في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قال: منزلا وطرقا من المشرق إلى المغرب.

1- مقال منشور على شبكة الإنترنت.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد ﷺ في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قال: هذه لأن الطريق كما قال فرعون لهامان ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦] أسباب السموات، طريق السموات. قال: والشيء يكون اسمه واحدا وهو متفرق في المعنى. وقرأ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: أسباب الأعمال.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عثمان بن أبي حاضر، أن ابن عباس -رضي الله عنهما- ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية في سورة الكهف (تغرب في عين حامية) قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: فقلت لمعاوية ﷺ: ما نقرؤها إلا ﴿حَمِئَةٍ﴾ فسأل معاوية عبدالله بن عمرو: كيف تقرؤها؟ فقال عبدالله: كما قرأتها.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: فقلت لمعاوية: في بيتي نزل القرآن، فأرسل إلى كعب فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال له كعب ﷺ: سل أهل العربية فإنهم أعلم بها، وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين - وأشار بيده إلى المغرب -.

قال ابن أبي حاضر ﷺ: لو أني عندكما أيدتك بكلام وتزداد به بصيرة في ﴿حَمِئَةٍ﴾. قال ابن عباس: وما هو؟ قلت: فيما نأثر قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في كلفه بالعلم واتباعه إياه:

قد كان ذو القرنين عمـــرو مسلما	ملكـا تديــن له الملوك وتحسد
فأتـــى المشارق والمغـارب يبتغـي	أسباب ملك من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها	في عين ذي خلب وثاط حرمد

فقال ابن عباس: ما الخلب؟ قلت: الطين بكلامهم. قال: فما الثاط؟ قلت: الحمأة. قال: فما الحرمد؟ قلت: الأسود. فدعا ابن عباس -رضي الله عنهما- غلاما فقال له: اكتب ما يقول هذا الرجل.

وأخرج الترمذي وابن جرير وابن مردويه، عن أُبي بن كعب ﷺ أن النبي ﷺ قرأ ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، وأخرجه الحاكم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

وأخرج ابن جرير من طريق الأعرج قال: كان ابن عباس -رضي الله عنهما- يقرؤها ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ثم قرأها» ذات حمئة».

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه كان يقرأ ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قال كعب ﷺ: ما سمعت أحدا يقرؤها كما هي في كتاب الله غير ابن عباس، فإنا نجدها في التوراة «تغرب في حمئة سوداء».

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر من طريق عطاء، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: خالفت عمرو بن العاص عند معاوية في ﴿حَمِئَةٍ﴾ وحامية، قرأتها ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ فقال عمرو: «حامية» فسألنا كعبا فقال: إنها في كتاب الله المنزل «تغرب في طينة سوداء».

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن حاضر، عن ابن عباس قال: كنا عند معاوية فقرأ «تغرب في عين حامية» فقلت له: ما نقرؤها إلا ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ فأرسل معاوية إلى كعب فقال: أين تجد الشمس في التوراة تغرب؟

قال: أما العربية فلا علم لي بها، وأما أنا فأجد الشمس في التوراة تغرب في ماء وطين.

وأخرج سعيد بن منصور عن طلحة بن عبيد الله، أنه كان يقرأ «في عين حامية».

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي، عن ابن عباس «في عين حامية» يقول: حارة.

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة وابن منيع وأبو يعلى وابن جرير وابن مردويه، عن عبدالله ابن عمرو قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال: «نار الله الحامية، لو ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض».

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه، عن أبي ذر قال: «كنت ردف رسول الله ﷺ وهو على حمار، فرأى الشمس حين غربت فقال: أتدري أين تغرب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تغرب في عين حامية» غير مهموزة.

وأخرج سعيد بن منصور عن أبي العالية قال: بلغني أن الشمس تغرب في عين، تقذفها العين إلى المشرق.

وأخرج أبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه، عن ابن جريج في قوله: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ قال: مدينة لها اثنا عشر ألف باب، لولا أصوات أهلها لسمع الناس دوي الشمس حين تجب.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعد بن أبي صالح قال: كان يقال: لولا لغط أهل الرومية سمع الناس وجبة الشمس حين تقع.

وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن المسيب قال: لولا أصوات الصنافر لسمع وجبة الشمس حين تقع عند غروبها. والله أعلى وأعلم.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال:

كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: (يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس). قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: 38] (رواه البخاري في صحيحه).

وروى مسلم في صحيحه قال: حدثنا يحيى بن أيوب، وإسحاق بن إبراهيم. جميعا عن ابن علية. قال ابن أيوب:

حدثنا ابن علية. حدثنا يونس عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه، عن أبي ذر؛

أن النبي ﷺ قال يوما «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «إن هذه الشمس تجري حتى تنتهي تحت العرش. فتخر ساجدة. فلا تزال كذلك

حتى يقال لها: ارتفعي. ارجعي من حيث جئت. فتصبح طالعة من مطلعها. ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك، تحت العرش. فتخر ساجدة. ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي. ارجعي من حيث جئت فترجع. فتصبح طالعة من مطلعها. ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك، تحت العرش. فيقال لها: ارتفعي. أصبحي طالعة من مغربك. فتصبح طالعة من مغربها».

وقد اختلف أهل العلم في تفسير الحديث وكيف أن الشمس تسجد لله وهي تشرق وتغرب كل يوم بلا توقف حتى أن بعضهم أنكر الحديث رغم وروده في الصحيحين.

ولكن ماذا قال أهل التفاسير في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي فسلك طريقا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه.

وفي تفسير القرطبي قال:

«وقال القفال قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا وصل إلى جرمها ومسها؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض؛ ولهذا قال: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ولم

يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم. وقال القتبي: ويجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها أو معها أو عندها، فيقام حرف الصفة مقام صاحبه والله أعلم.

وفى تفسير الجلالين قال:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ موضع غروبها ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود وغروبها في العين في رأي العين وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا ﴾ أي العين ﴿ قَوْمًا ﴾ كافرين ﴿ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ بإلهام ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ ﴾ القوم بالقتل ﴿ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ بالأسر.

قال السعدى في تفسيره:

«إنها أسباب قوية كثيرة داخلية وخارجية بها صار له جند عظيم ذو عدد وعدة ونظام وبه تمكن من قهر الأعداء ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها ونواحيها فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس حتى رأها في مرأى العين كأنها تغب في عين حمئة وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربى ماء وكاليابسة يتبعها ماء رآها تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع».

ونعود إلى حديث سجود الشمس تحت عرش الرحمن وكيفية حدوث ذلك، فالحديث صحيح ولكن فهمه هو الإشكال حتى ذهب البعض إلى إنكاره، ولكن الأمر نجده لا غرابة فيه لأن سجود الشمس مما يختص بها ولا يلزم أن يكون مثل سجود الآدميين فقد أخبرنا المولى جل وعلا في القرآن الكريم في سورة النحل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل : 49].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج : 18].

فالشمس داخلة في هذا السجود وآية سورة الحج واضحة الدلالة واليقين،[1] والسجود يعني الخضوع والامتثال للأمر.

وللشمس بهذا سجدتان، سجود عام كما ذكرت آية سورة النحل مع سائر المخلوقات وسجود خاص بها تحت العرش وهو سجود لا يشبه سجود الإنسان أو السجود المألوف لدينا يعلمه الله تعالى، فالسجود عبادة للخالق.

أضف إلى ذلك أن ما ذكره الحديث النبوي عن سجود الشمس تحت العرش يأتي على سبيل التمثيل وليس على سبيل الحقيقة وإن جاز ذلك أيضاً بكيفية لا نعلمها، فالأساليب التعبيرية مستساغة عند العرب، وبالتالي يمكن حمل معنى الحديث بأن الشمس تسجد حقيقة ولا تخاطب ربها بالمعنى الذي نعيه نحن ولا يلزمنا التكلف بالتشبيه والتصوير حتى نعي المسألة فقد قال العلماء إن سجود الشمس قد يكون متكرراً في كل لحظة غربت عن جزء من الأرض، وقالوا أيضاً إن السجود يكون بعد الغروب من الأرض التي كان بها رسول الله تحديداً أي أرض جزيرة العرب والله أعلم.

ويقول: د. عبد الرحيم الشريف (دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن الكريم) في رده على سؤال ورد إلى موقع موسوعة الإعجاز العلمي وقد جاء السؤال على النحو التالي:

مغيب الشمس في بئر: جاء في سورة الكهف ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: 83-86]. ونحن نسأل: إذا كانت الشمس أكبر من الأرض مليونا وثلاثين ألف مرة، فكيف تغرب في بئر رآها ذو القرنين ورأى ماءها وطينها ورأى الناس الذين عندها؟؟».

وكان الجواب على النحو التالي:

1 - القرآن الكريم لم يقل إن الشمس تطلع من عين حمئة، بل نقل وصف

1- والآيتان في سورة النحل 49، وسورة الحج 18 من آيات السجود.

ذي القرنين لمشهد شروق الشمس. ولهذا قال: ﴿وَجَدَهَا﴾ ولم يثبت ذلك على أنه حقيقة كونية. وفي هذا يقول مصطفى صادق الرافعي: «فلفظة ﴿وَجَدَهَا﴾ هنا سر الإعجاز فإن الآية لا تقرر حقيقة مغرب الشمس حتى يقال إنها خالفت العلم.. وإنما تصف الآية حالة قائمة بشخص معين.. كما يقول القائل: «نظرت إلى السماء فوجدت الكواكب كل نجم كالشرارة». فهذا صحيح في وجدانه هو لا في الحقيقة، ولو كان القرآن كلام إنسان في ذلك الزمن، لجعلها حقيقة مقررة مفروغا منها، ولقال: كانت الشمس تغرب.. الخ».(1)

فلا يجوز نسبة قول ذي القرنين وتعبيره البلاغي، إلى ما يرشد إليه القرآن الكريم من حقائق العقائد، والشواهد الكونية.

فالآية ليست مطلقة المعنى، بل مقيدة بشخص ذي القرنين. وما قال ذو القرنين ليس فيه ما يخالف العقل، لأنك إذا كنت متجها غربا وأمامك جبل، فإنك سوف تجد الشمس تغرب خلف الجبل.. قطعا لا يفهم أحد من ذلك أن الشمس تختبئ حقيقة خلف الجبل. وإن كان الذي أمامك بحيرة، فستجد الشمس تغرب في البحيرة.

ذو القرنين وصل إلى العين وقت غروب الشمس، فوجدها تغرب في تلك العين.. وعندما نقول: وجدها تغرب خلف الجبل أو وجدها تغرب في العين، فذلك الأمر بنسبة له. كما سبق بيانه، فإن ما رآه ذو القرنين لم يكن غروبا حقيقيا في العين الحمئة، ودليل ذلك أيضا: أن سياق القصة عقلا، ينفي إيمانه أن الشمس تغرب في عين حمئة لأن ذا القرنين كان يتحدث مع السكان الموجودين قرب تلك العين الحمئة، فلو كان يقصد أن الشمس تدخل في العين حقيقة، فهل سيتكلم مع قوم حول الشمس الساخنة، ويعيشون حياة طبيعية؟ الثاني: لما وصل ذو القرنين إلى مطلع الشمس، يفترض به بحسب تلك الشبهة أن يجد الشمس تطلع من عين حمئة بدلا من أن يجدها تطلع على قوم.

1- رسائل الرافعي، محمود أبو رية.

فلماذا قال: إنها طلعت على قوم، ولم يقل أشرقت من عين حمئة؟

2- قال تعالى بعد تلك الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[الكهف : 90]. ذو القرنين وجدها تطلع على قوم.. هل يفهم أحد من ذلك أنها تطلع على ظهورهم؟!

أو أنها ملامسة للقوم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾؟ الواضح أنها بالنسبة لـذي القرنين كانت تطلع علـى أولئك القوم هذه الآية أيضا مقيدة بما رأى ذو القرنين، وما ينطبق على هذه الآية، ينطبق على التي قبلها.

3- ﴿مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ هل هو ظرف زمان، أم ظرف مكان؟ من الجائز أن: ﴿مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ هنا يقصد بها: الوقت واللحظة التي تغرب فيها الشمس، كالمغرب المذكور في الحديث الشريف: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم، ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس..».[1] فيكون المعنى: ذو القرنين وصل إلى العين الحمئة، وقت الغروب. فتراءى له أن الشمس تغرب في تلك العين.. ثم وصل إلى قوم آخرين وقت شروقها.

4- لم يزعم أحد أن الشمس حين تغرب تدخل داخل بئر، ولو فهم العرب ذلك من القرآن الكريم لأنكروه.

5- غروب الشمس لا يعني دخولها في الأرض حتى في تعبيرنا الحالي. وفي لغة العرب: غربت الشمس، وغربت القافلة، وغربت السفينة تأتي بمعنى واحد، وهو: اتجهت غربا. فعندما نقول: غرب طير في البحيرة، وغربت الطائرة في المحيط، وغربت السفينة في البحر، وغربت الشمس في البحيرة.. يعني اتجهت

1- رواه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (3459) عن ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعاً. وذُكر مثله في الحديث مع الجساسة الذي رواه مسلم في الفتن .. باب قصة الجساسة (2942) الحديث الطويل لتميم الداري وردت عبارة: «فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر، حتى مغرب الشمس..». وورد في لسان العرب لابن منظور 638/ 1 (غرب): «ولقيته مغرب الشمس ومغيرباناتها أي: عند غروبها .. والمغرب في الأصل: موضع الغروب، ثم استعمل في المصدر والزمان».

غربا بالنسبة للشخص الذي ينظر إليها. ولا يعني أنها دخلت في البحيرة. (1)
وهذا ما يصرح به علماء النصارى أنفسهم، فقد قال القس منسي يوحنا معقبا على وقف الشمس ليشوع (كما ورد في يشوع 10/ 12-13).(2) «الكلام بحسب مقتضى الظاهر، والفلكيون المحدثون القائلون بدوران الأرض يقولون: «أشرقت الشمس وغربت"؛ لأن في ذلك اختصارا وبيانا للناظرين، وإلا لاضطررنا أن نقول (معبرين عن غروب الشمس): دارت الأرض حتى بعد مكاننا عن الشمس، فحجبت عنا الشمس لكروية الأرض».(3)

1- وتأمل الكلام العلمي للفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب21/ 142: «ثبت بالدليل أن الأرض كرة، وأن السماء محيطة بها، ولا شك أن الشمس في الفلك.. ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود. وأيضا الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة، فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض؟ إذا ثبت هذا فنقول: تأويل قوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ من وجوه.. أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات، وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة وإن لم تكن كذلك في الحقيقة كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط، وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر.. قال أهل الأخبار: إن الشمس تغيب في عين كثيرة الماء والحمأة، وهذا في غاية البعد، وذلك لأنا إذا رصدنا كسوفا قمريا فإذا اعتبرناه ورأينا أن المغربيين قالوا: «حصل هذا الكسوف في أول الليل»، ورأينا المشرقيين قالوا: «حصل في أول النهار»، فعلمنا أن أول الليل عند أهل المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق، بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد، ووقت الظهر في بلد آخر، ووقت الضحوة في بلد ثالث، ووقت طلوع الشمس في بلد رابع، ونصف الليل في بلد خامس. وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاعتبار، وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال: إنها تغيب في الطين والحمأة كلاما على خلاف اليقين، وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة».

2- هذا هو النص كاملا: «(12) حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون (13) فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل».

3- انظر حل مشاكل الكتاب المقدس، القس منسي يوحنا ص52.

شمس جوف الأرض

الأراضين سبع كما أن السموات سبع تلك حقيقية قرآنية ثابتة في قوله تعالى في آخر سورة الطلاق: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: 12]

وكذلك هناك أحاديث نبوية تشير إلى كون الأرض التي نعيش عليها هي إحدى الأرضين السبع، ولكن العلماء اختلفوا في كيفية تلك الأراضين، هل هي كوكب أما هي الكرة الأرضية ذاتها طباقاً فوق بعض، وهذا هو الأقرب للصواب.

وهناك من يرى أن الأرض مجوفة وليست مصمتة، وأن ذا القرنين دخل عالم جوف الأرض ومسح الأرض من تحتها كما جاء في حديث مرسل عن رسول الله ﷺ حين سئل عن ذي القرنين فقال إنه ملك مسح الأرض من تحتها.

وبداخل عالم جوف الأرض توجه الشمس المركزية التي تنير هذا العالم وتسمى الشمس الداخلية المركزية وهي في وسط الأرض الداخلي.

الأرضين السبع:

نتحدث أولاً عن الأرضين السبع والأحاديث النبوية التي ذكرتها، وليس أفضل من العالم الدكتور زغلول النجار ليحدثنا عنها حيث بدأ حديثه بذكر الأحاديث النبوية عن الأرضين السبع وهي:

الحديث الأول - أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المظالم والغصب، حديث رقم 2273، وكتاب بدء الخلق، حديث رقم 2956: حدثني محمد بن إبراهيم أن أبا سلمة حدثه أنه كانت بينه وبين أناس خصومة، فذكر لعائشة ﵂، فقالت: يا أبا سلمة اجتنب

الأرض، فإن النبي ﷺ، قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» وأخرجه أيضا، مسلم في صحيحه، في كتاب المساقاة، حدثنا يحيى وهو ابن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم، أن أبا سلمة حدثه، وكان بينه وبين قومه خصومة، في أرض، وأنه دخل على عائشة، فذكر ذلك لها فقالت: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن رسول الله ﷺ، قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين».

روى البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وكانت بينه وبين أناس خصومة في أرض فدخل على عائشة فذكر لها ذلك فقالت: يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين».

ورواه أحمد في مسنده «من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»:

رواى البخاري في صحيحه في كتاب المظالم والغصب عن سالم عن أبيه ﷺ قال: «قال النبي ﷺ من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

يقول د. زغلول النجار:

وهذه الأحاديث: تنهى عن الظلم بصفة عامة، وعن الظلم في اغتصاب الأرض بصفة خاصة، انطلاقا من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [إبراهيم :42- 47].

والآيات القرآنية الكريمة، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة في النهي عن الظلم كثيرة، ولكن الأحاديث المشار إليها آنفا تركز على الأرضين السبع. وقد حار الناس في فهم دلالة تلك الإشارة الكونية، وكثرت تساؤلاتهم:

هل الأرضين السبع هي سبع كواكب منفصلة مثل أرضنا، لكل أرض منها سماؤها؟. وإذا كان كذلك فأين هي؟. خاصة وأن أعداد الكواكب في الجزء المدرك من السماء الدنيا كثيرة، وقد بدأت البحوث الفلكية في اكتشاف أعداد منها على الرغم من صعوبة ذلك. هل هي من كواكب المجموعة الشمسية كما كان يظن إلى عهد قريب قبل أن يصل عدد المكتشف منها إلى أحد عشر كوكبا؟، أم هي سبع طباق في أرضنا التي نحيا عليها يغلق الخارج منها الداخل فيها، وتتطابق حول مركز واحد؟.

والأحاديث النبوية الشريفة المشار إليها آنفا تؤيد التصور الأخير الذي أثبتته الدراسات الفيزيائية لتركيب الأرض الداخلي على النحو التالي:

لب الأرض الصلب:

وهو عبارة عن نواة صلبة من الحديد (90٪)، والنيكل (9٪)، مع قليل من العناصر الخفيفة من مثل الكربون، والفوسفور، والكبريت، والسيليكون، والأوكسجين (1٪)، وهو تركيب قريب من تركيب النيازك الحديدية مع زيادة واضحة في نسبة الحديد، ويبلغ قطر هذه النواة حاليا حوالي (2402) كيلو متر، وتقدر كثافتها بحوالي 10- 5, 13 جرام للسنتيمتر المكعب؛ ذلك لأن متوسط كثافة صخور القشرة الأرضية ككل هو 5, 5 جرام للسنتيمتر المكعب، وتعتبر تلك النواة الأرض السابعة.

نطاق لب الأرض السائل (الخارجي):

وهو نطاق سائل تقريبا، يحيط باللب الصلب، وله نفس تركيبه الكيميائي تقريبا، ولكنه في حالة انصهار، ويقدر سمكه بحوالي (2275) كيلو متر، ويفصله عن اللب الصلب منطقة انتقالية شبه منصهرة يبلغ سمكها (450) كيلو متر، تعتبر الجزء الأسفل

من هذا النطاق الذي يمثل الأرض السادسة، ويكون كل من اللب الصلب والسائل حوالي 31 ٪ من كتلة الأرض.

النطاق الأسفل من وشاح الأرض (الوشاح السفلي):

وهو نطاق صلب يحيط بلب الأرض السائل، ويبلغ سمكه حوالي (2215) كيلو متر (من عمق 670كم إلى عمق 2885كم) ويفصله عن الوشاح الأوسط (الذي يعلوه) مستوى انقطاع للموجات الاهتزازية الناتجة عن الزلازل، ويعتبر هذا النطاق الأرض الخامسة.

النطاق الأوسط من وشاح الأرض (الوشاح الأوسط):

وهو نطاق صلب يبلغ سمكه حوالي (270) كيلو متر، ويحده من أعلى وأسفل مستويان من مستويات انقطاع الموجات الاهتزازية يقع أحدهما على عمق (670) كيلو متر (ويفصله عن الوشاح الأسفل)، ويقع الآخر على عمق (400) كيلو متر تحت سطح الأرض، ويفصله عن الوشاح الأعلى، ويمثل هذا النطاق الأرض الرابعة.

النطاق الأعلى من وشاح الأرض (الوشاح العلوي):

وهو نطاق لدن، شبه منصهر، عالي الكثافة واللزوجة، تبلغ نسبة الانصهار فيه حوالي (1٪)، ولذلك فإنه يعرف باسم نطاق الضعف الأرضي، ويمتد بين عمق (65–120) كيلو متر، وعمق (400) كيلو متر تحت سطح الأرض، ولذلك يتروح سمكه بين (335)، (380) كيلو متر، ويعتبر هذا النطاق الأرض الثالثة.

النطاق السفلي من الغلاف الصخري للأرض:

ويتراوح سمكه بين (40)، (60) كيلو متر (بين أعماق 60–80 كيلو مترا، (120) كيلو متر تحت سطح الأرض، ويحده من أسفل الحد العلوي لنطاق الضعف الأرضي، ومن أعلى خط انقطاع الموجات الاهتزازية المعروف باسم «الموهو»، ويمثل هذا النطاق الأرض الثانية.

النطاق العلوي من الغلاف الصخري للأرض (قشرة الأرض):

ويتراوح سمكه بين (8,5) كيلو مترات تحت قيعان البحار والمحيطات وبين (80,60) كيلو متر في المتوسط تحت القارات، ويتكون غالبا من الصخور الجرانيتية المغطاة بسمك رقيق من التتابعات الرسوبية والتربة، ويغلب على تركيبها العناصر الخفيفة في كتل القارات، والصخور القاعدية وفوق القاعدية وبعض الرسوبيات في قيعان البحار والمحيطات، وتعتبر قشرة الأرض هي الأرض الأولى.

هذا التفسير يتطابق مع أحاديث المصطفى ﷺ المذكورة في مطلع هذه الكلمة، خاصة حينما يذكر التعبير المعجز «خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» مما يشير إلى تطابق تلك الأرضين حول مركز واحد، ويدعمه قول الحق تبارك وتعالى في سورة إبراهيم، عقب الآيات المحذرة من الظلم والتي أشرنا إليها في الأسطر السابقة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [الكهف: 48].

وقول عز من قائل في ختام سورة الطلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:12].

وقوله سبحانه وتعالى في سورة الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك :3- 4].

و ﴿طِبَاقًا﴾ هنا معناها متطابقة حول مركز واحد، يغلف الخارج منها الداخل فيها، وليست طباقا بمعنى طبقات بعضها فوق بعض بهيئة أفقية كما تصورها البعض من قبل، ورحم الله البقاعي الذي قال: «طباقا» أي: ذات أطباق، بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الأخرى، ولا يكون جزء منها خارجا عن ذلك، وهي لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كروية، والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة من جميع

الجوانب، والسماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا، وهكذا إلى أن يكون العرش محيطا بالكل، والكرسي الذي هو أقربها بالنسبة إليه كحلقة في فلاة، فما ظنك بما تحته، وكل سماء من التي فوقها بهذه النسبة، وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك، وليس في الشرع ما يخالفه، بل ظاهره يوافقه.[1]

1- انتهى كلام د. زغلول النجار، منشور على الإنترنت.

ذكر عالم جوف الأرض في كتب المؤرخين القدماء

ذكر صاحب كتاب - بدائع الزهور في وقائع الدهور - في وصف عجائب سمرقند:

(إن ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهي مغارة يدخلها الناس ويمشون تحت الأرض مقدار ساعة فيجدون الفضاء (أي السماء) قد ظهر لهم..!! وفي ذالك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة أناس قاطنون (أي في جوف الأرض ساكنون).. وفي ذالك المكان مسجد وكنيسة فإذا كان الداخل مسلما أتوا به إلى المسجد وان كان نصرانيا أتوا به إلى الكنيسة).

وقد جاء ذكر عالم جوف الأرض القديم العظيم.. بكتاب: (طبائع الحيوان لشرف الزمان طاهر المروزي) حيث قال:

وفي أرض - خرخيز - أربعة أودية تجري وتنصب في واد عظيم يشرع فيما بين جبال وأغوار مظلمة (أي يجري في كهوف مظلمة) وحكي أن رجلا من - خرخيز- ركب سفينة وأرسلها في ذلك الوادي فسارت به ثلاثة أيام في ظلم لم ير في هذه الأيام لا شمسا ولا كوكبا ولا ضوءا ثم تخلص بعد ذلك إلى ضياء وفضاء فخرج من السفينة فسمع وقع حوافر الدواب فارتقى إلى شجرة ينتظر الحال فإذا هو بثلاثة من الفرسان الطوال طول كل واحد منهم قيد رمح طويل وإذا معهم كلاب في عظم البقرة فلما قربوا منه ورأوه ترحموا عليه وأنزله أحدهم وأخذه على دابته وستره عن الكلاب خوفا أن تفترسه وأتوا به موضع رحالهم فألقوه فوق ظهر خيمة عظيمة وأطعموه من طعامهم وجعلوا يتعجبون منه كأنهم لم يروا مثله ثم احتمله بعضهم وأتى به إلى قرب موضعه وأرشده

الطريق حتى رجع إلى موضع دياره وأخبرهم بها رأى ولا يعرف أحد ممن كان هؤلاء وأي جنس هم من الناس.

قال الرحالة (القزويني)[1] عن كهف كلستان: هذا الكهف الذي يؤكد حقيقة العالم الداخلي في كتابه (آثار البلاد) في وصفه لإقليم خرسان:

خرسان بلاد مشهورة، شرقيها ما وراء النهر وغربيها قهستان، قصبتها (مرو) وهراة وبلخ ونيسابور وهي من أحسن أرض الله وأعمرها وأكثرها خيرا وأهلها أحسن الناس صورة وأكملهم عقلا وأقومهم طبعا وأكثرهم رغبة في الدين والعلم وبها جبل (كلستان) وقد حدثني بعض فقهاء خراسان أن في هذا الجبل كهفا شبه إيوان وفيه شبه دهليز يمشي فيه الإنسان منحنيا مسافة ثم يظهر الضوء في آخره ويتبين محوط شبه حظيرة فيها عين ينبع الماء منها وينعقد حجرا على شبه القضبان وفي هذه الحظيرةثقبة الكهف يخرج منها ريح شديدة لا يمكن دخولها من شدة الريح). فهذا الجبل وفج الكهف موجود في إقليم خرسان قرب بلدة (مرو) والتي ذكر الرسول الكريم صلى الله علية وسلم أن الدجال سيخرج منهما.

نهر بلاد الترك

في كتاب (البدء والتاريخ) لأبن المطهر قال إن في كتاب - المسالك والمهالك - حكاية عجيبة غريبة وهي:

«أن بأقصى بلاد الترك مما يلي شمالهم نهرا عظيما يدخل في نقب جبل عظيم ولا يدري أحد أين مخرج ذلك الماء ومصبه وأن رجلا منهم اتخذ ضغثا ودخل في زق عظيم وأمر أن ينفخ فيه واستوثق من رأسه ثم شد الزق على الضغث وطرح في الماء قالوا أنه غاص يومين أو ثلاثة ثم خرج ببسيط من الأرض فلما أحس بضوء النهار شق عنه الزق فإذا هو بأرض ذات شجر وحيوان لم ير مثلها في طولها وعرضها وعظمها وناس طوال القامات

1- أنه زكريا بن محمد بن محمود القزويني.

عراض الأجسام على دواب عظام فلما بصروا به جعلوا يضحكون تعجبا منه ومن خلقته وجسمه فلا ندري من أي طريق عاد إلي بلاده هذا الرجل وأخبرهم بالخبر».

وذكر العلماء والمفسرون القدامى في كتبهم أن هناك رجالا من مدينة سمرقند التي تقع في دولة أوزبكستان يحكون أنهم دخلوا بلاد أمم وأقوام يأجوج ومأجوج في عالم جوف الأرض الداخلي ليشاهدوا كيف تطلع وتغرب شمس جوف الأرض الداخلية عبر فتحة العين الحمئة التي توجد بين طبقات أجواف الأرضين الستة في عالم جوف الأرض الداخلي والدليل على ذلك ما يلي:

قال أبو إسحق النيسابورى المعروف بالثعلبي - رحمه الله - في كتابه: (قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس) ما نصه: (حدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال: وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم مجتمعون حوله مستمعون له فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي إن بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فإذا أحدهم يفترش إذنه ويلتحف بالأخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألوه فيم جئتم؟ قلنا: جئنا نظر كيف تطلع الشمس على الماء..!!

قال فبينما نحن كذلك إذا سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي على فوقعت فلما أفقت قمت وهم يمسحون على جسمي بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء فإذا هي على الماء كهيئة الزيت وإذا طرق السماء كهيئة الفسطاط (أي مثل الخيمة) فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج في الحال والله أعلم.

وقال الإمام / القرطبي رحمه الله في"تفسيره» ما نصه: (قال عمرو بن مالك بن أمية: وجدت رجالا بسمرقند يحدثون الناس، فقال بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين (يعني جاوز وتعدى بلاد الصين)، فقيل لي: إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فاستأجرت رجلا يرينيهم حتى صبحتهم، فوجدت أحدهم يفترش أذنه ويلتحف

بالأخرى، وكان صاحبي يحسن كلامهم، فبتنا عندهم، فقالوا: فيم جئتم؟ قلنا: جئنا ننظر كيف تطلع الشمس..؟؟ فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة..!!، فغشي علي، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذ هي على الماء كهيئة الزيت، وإذا طرق السماء كهيئة الفسطاط، فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم (يعني نفقا) فلما ارتفع النهار وزالت الشمس عن رؤوسهم خرجوا يصطادون السمك، فيطرحونه في الشمس فينضج)..!!

وبناء على ما جاء في هذه القصة يمكن أن نعرف من خلال خبر دخول رجال مدينة سمرقند لبلاد أمم وأقوام يأجوج ومأجوج في عالم جوف الأرض الداخلي.. أن الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) عندما تطلع وتغرب عبر فتحة العين الحمئة يكون لها صوت كهيئة الصلصلة..!!

قال الإمام الحافظ / ابن حجر العسقلانى رحمه الله في كتابه: (فتح الباري بشرح صحيح البخاري): (صوت الصلصلة هو: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض(وقال الخطابي الصلصلة هو: صوت الحديد إذا تحرك وتداخل... وهذا يعنى أن شمس عالم جوف الأرض الداخلي حين دخولها لفتحات منافذ العيون الحمئة التي توجد بين طبقات أجواف الأرضين الستة يكون لها صوت مثل صوت صلصلة الحديد حين يقع على بعضه البعض.. ومما يدل على ذلك ما ذكره الإمام الحافظ / جلال الدين السيوطي (رحمه الله) في كتابه: [الدر المنثور في التفسير بالمأثور]: (تفسير قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ [الكهف : 86] قال مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس دوي الشمس حين تجب – أي حين تدخل في العين –) أي أن لشمس عالم جوف الأرض الداخلي دويًّا وصوتاً هائلاً حين دخولها من خلال فتحات عيون الأرضين الحمئة..!![1]

1- انظر كتاب: السر الأكبر: (الأرض مجوفة من الداخل وبها شمس داخلية مركزية) أسامة مرعي، الناشر: دار الكتاب العربي؛ وبحث للباحث/ وليد بن متعب منشور على الإنترنت، عن عالم جوف الأرض.

كيفية طلوع وغروب الشمس الداخلية المركزية التي توجد بعالم جوف الأرض ومشاهدة ذي القرنين لها

ظهرت أبحاث وكتب تتحدث عن عالم جوف الأرض عالم الأرضين الست، وقد قرأت أبحاثاً للباحث وليد بن متعب على شبكة الإنترنت وكذلك سلسلة كتب عالم جوف الأرض للباحث/ أسامة مرعي ومن هذين الباحثين أنقل لكم ما قيل عن تلك الشمس المركزية التي في عالم جوف الأرض والتي يعتقد أنها تلك الشمس التي رآها ذو القرنين في رحلته التي خاضها إلى هذا العالم حيث تعيش أمم يأجوج ومأجوج وغيرهم من عوالم أخرى في الأرضين الست في جوف الأرض وفي هذا يقول الباحث وليد بن متعب في بحث منشور له على شبكة الإنترنت:

إن الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) التي توجد في وسط الأرض بعالم جوف الأرض الداخلي يبلغ قطرها 600 ميل تغرب وتطلع عبر فتحات عيون الأرضين الحامية الحارة التي توجد بين طباق الأرضين الستة بجوف أرضنا حيث تعبر من خلال فتحات عيون أقطاب كور الأرضين السبع وتسير من جوف أرض إلى جوف أرض أخرى على مجالات مغناطيسية أرضية خفية معقدة وذلك بتدبير وتقدير عظمة خلق الله سبحانه وتعالى وبديع صنعه في ملكوت كونه..!!

فلكل أرض من الأرضين الستة بجوف أرضنا منفذان متقابلان أحدهما ناحية القطب الشمالي والآخر ناحية القطب الجنوبي وهذه المنافذ مثل المنفذين اللذين يوجدان

بسطح أرضنا في القطب الشمالي والقطب الجنوبي فنظام خلق الله عز وجل لكل الأرضين الست التي توجد بجوف أرضنا كمثل نظام خلق أرضنا من ناحية فتحتي القطب الشمالي والقطب الجنوبي حيث أن لكل كورة من كور الأرضين السبع منفذين من العيون متقابلين كما أن لأرضنا فتحتين بالقطب الشمالي والجنوبي وقد استطاع العلماء الغربيون تصويرهما من الفضاء الخارجي بواسطة الأقمار الصناعية..!!

فإذا كانت الأرضون سبع بعضها فوق بعض طباقا تصديقا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:12] هذه الآية الكريمة تخبرنا أن الله سبحانه وتعالى خلق سبع سموات وخلق من الأرض مثلهن وكلمة مثلهن تعنى أنها مثل السموات تماما ليس في العدد فقط وإنما أيضا في الشكل والتطابق والتسوية فهي أرض داخل أرض وكرة داخل كرة وقد عرفنا من قبل أنه يوجد لكل أرض من هذه الأرضين السبع فتحتين من العيون واحدة بالقطب الشمالي والأخرى بالقطب الجنوبي غير الفتحات الغير رئيسية.. وهذا يعني أن كل فتحات عيون الأرضين السبع بجوف أرضنا تكون متقابلة متوازية بعضها أمام بعض.. وبعضها فوق بعض.. تفتح بعضها على بعض.. بخط مستقيم.. بنظام كوني رباني بديع وعظيم فتبارك الله أحسن الخالقين...!!

وهنا قد تطرأ على الذهن عدة تساؤلات هامة لا يمكن تجاهلها وهى ما يلي:

كيف تطلع وتغرب شمس جوف الأرض الداخلية عبر فتحات العيون الحمئة؟

وما هي حالة سكان عالم جوف الأرض الداخلي عند طلوعها وغروبها؟

وللإجابة على هذه الأسئلة نقول: إن سماء مركز عالم جوف الأرض الداخلي يفتح من شماله على سبع فتحات عيون حمئة شمالية مثل فتحة منفذ القطب الشمالي.. ويفتح من جنوبه على سبع فتحات عيون حمئة جنوبية مثل فتحة منفذ القطب الجنوبي.. أي أن لأرضنا أربع عشرة عيناً حمئة.. والشمس الداخلية المركزية (Central Sun) تعبر من خلالهن وتطلع وتغرب عبر فتحات هذه العيون الحامية الحارة الاثنتي عشرة المتوازية

التي توجد بين طباق الأرضين الست بجوف أرضنا.. فتجري بها قدرة الله سبحانه وتعالى لها وتطلع منهن.. وتغرب عن الخلائق فيهن.. ذاهبة وقادمة.. من خلال عبورها بأجواف العيون الحمئة الاثنتي عشرة المتوازية باستثناء فتحات العيون التي توجد بالقطب الشمالي والجنوبي على سطح أرضنا الخارجية.. لأن الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) التي توجد في وسط عالم جوف الأرض الداخلي لا تخرج من جوف أرضنا...!!

فتنير الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) العابرة من خلال فتحات العيون الحامية الحارة التي توجد بين طباق الأرضين الست بجوف أرضنا قارات شمال وجنوب كل أرض من الأرضين الست حيث أن حقيقة أرضنا أنها ليست كروية كتكوير الكرة الرياضية ولكنها بيضاوية محدبة فالأمم والأقوام والشعوب الذين يعيشون بين طباق الأرضين الست بجوف أرضنا يشاهدون الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) وهي تغرب في فتحات العيون الحامية الحارة ثم ترجع وتطلع من نفس فتحات العيون الحامية الحارة بعدما تقضي الأجل المقدر لسيرها فيها بين طباق الأرضين الست حيث أنها أذا غابت بجوف إحدى فتحات العيون تسير عابرة لمجال السماوات إلى أن تقارب فتحة منفذ قطبنا الشمالي ومن ثم ترجع وتطلع من العين نفسها طالعة وغاربة من خلالها ذهابا وأيابا من ناحية فتحة القطب الشمالي إلى ناحية فتحة القطب الجنوبي مخترقة لكل أجواف عيون الأرضين الحامية الحارة فالشمس الداخلية المركزية (Central Sun) إذا غربت في جوف إحدى فتحات العيون الحامية الحارة شاهدها الأمم والأقوام والشعوب الذين يعيشون بعالم جوف الأرض الداخلي وبعدما تغرب ترجع وتطلع مرة أخرى من نفس العين التي غربت فيها.. كما جاء ذلك في صفة طلوعها وغروبها بسيرة الإسكندر الأكبر المقدوني الذي أرجح أن يكون هو النبي الملك ذو القرنين (عليه السلام).. ويمكن أن نسرد عن هذا أدلة كثيرة جدًّا[1] ... وهو ما ذكره المؤرخ اليوناني / بسفيز وكاليسثينيس المعاصر

1- يرى الباحث وليد بن متعب أن ذا القرنين هو الملك الإسكندر المقدوني، ويرى الباحث أسامة مرعي أنه الإسكندر الأول غير الإسكندر المقدوني وقد عاصر سيدنا إبراهيم (عليه السلام).

لزمن الإسكندر الأكبر المقدوني في كتابه: (سيرة الإسكندر الأكبر): (أن الشيوخ والحكماء أخبروا الإسكندر الأكبر أنه في نهاية الأرض هنالك بحر تطلع الشمس من خلاله شرقا وتغرب الشمس فيه غربا عبر نافذة السماء - أي فتحة عيون الأرضين الحامية الحارة - وأنها تجري وتهبط طوال الليل من خلال السماوات حتى ترجع فتطلع من المكان نفسه مرة أخرى) فتمام صفة حركة سير شمس جوف الأرض الداخلية أنها تجري من خلال منافذ عيون الأرضين الحامية الحارة عابرة من سماء جوف الأرض التي بمركز الكرة الأرضية إلى شماله من خلال فتحات العيون الحامية الحارة الست الشمالية إلى أن تصل إلى قرابة فتحة منفذ القطب الشمالي ومن ثم ترجع من خلال العيون الشمالية لسماء مركز جوف الأرض الداخلية ومن ثم تسير لجنوبه وتعبر من خلال فتحات العيون الحامية الحارة الست الجنوبية إلى أن تصل إلى قرابة فتحة منفذ القطب الجنوبي وهكذا فهي تسير ذهابا وإيابا من خلال فتحات العيون الحامية الحارة عابرة لطباق الأرضين الست بجوف أرضنا، تطلع وتغرب في خط مستقيم من ناحية أقصى شمال جوف الأرض كله إلى ناحية أقصى جنوب جوف الأرض كله بحركة مستقيمة من أعلى لأسفل عابرة من سماء جوف أرض لسماء جوف أرض أخرى وبهذا تطلع وتغرب على شمال وجنوب الأرضين فتنير طباق الأرضين الست بعالم جوف الأرض الداخلي من خلال عبورها بفتحات هذه العيون الحامية الحارة حيث أن ضوء ونور الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) العابرة من فتحات العيون الحامية الحارة.. يصل إلى مناطق بعيدة بجوف كل أرض من الأرضين الستة.

ولعل ذلك راجع إلى بيضاوية وتحدب الأرضين الستة في عالم جوف الأرض الداخلي.. فبهذا يستمد أهل أقطاب الأرضين الست الطالين على فتحات العيون الحامية الحرارة والضوء والضياء.. من وهج شعاع نور الشمس الداخلية المركزية (Central Sun).

وبهذا يمكن أن نعرف أن نور ضوء هذه الشمس يبلغ مساحة كبيرة جدا من ناحية شمال وجنوب كل أرض من الأرضين الستة في عالم جوف الأرض الداخلي.. وهذا لأن

حقيقة أرضنا إنها بيضاوية محدبة فإذا شبهنا مدى عبور نور ضوء شمس جوف الأرض الداخلية العابرة من خلال فتحات العيون الحامية الحارة على أجواف أسطح الأرضين الست.. بشمال وجنوب سطح أرضنا..

لكي تتضح لنا الصورة.. فإن ضوء نورها سيكون مقتصرا على كل من بلاد أوروبا وروسيا وكندا من الشمال.. ومن الجنوب على كل من بلاد جنوب إفريقيا وزائير ومدغشقر حتى يصل ضوؤها إلى أستراليا وربما يصل نور ضوء شمس جوف الأرض الداخلية إلى أكبر من هذه المساحة لأن أرضنا بيضاوية محدبة فشمس جوف الأرض الداخلية العابرة من خلال فتحات العيون الحامية الحارة موكلة من قبل الله عز وجل بإنارة شمال وجنوب كل أرض من الأرضين الست بعالم جوف الأرض الداخلي...!!

أولاً: كيفية دخول الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) عبر فتحات العيون الحمئة:

أن الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) لتغرب في نافذة العين الحامية الحارة وتعبر بمنتصف جوف العين من فوق بحرها المنتن حيث يستقر البحر على جاذبية العين وهي نفس جاذبية حائط الكرة الأرضية.. فيحيط بحر العين المنتن بالشمس التي تجري وتدخل في العين من جميع الجهات إحاطة الحلقة المدورة بها مما يتسبب ذلك في سخونة بحر العين المنتن وارتفاع درجة حرارته من شدة حر وهج شعاع الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) المتجهة من فوق بحر العين المنتن ففي كل عين حامية حارة يصب فيها بحر المحيط..

فالشمس تطلع من خلال فتحة هذه العين الحامية الحارة إلى سماء جوف أرض من الأرضين الستة بعالم جوف الأرض الداخلي فتنيره ثم تغرب عنه متجه لفتحة عين حامية حارة أخرى لتطلع على سماء جوف أرض أخرى من الأرضين الستة فتنيره فيكون جوف الأرض التي تركته وغابت عنه.. قد اكتمل فيه الليل وزال عنه النهار وبقى فيه شفق الغاز المنير المنبعث منها فهذه العيون الحامية الحارة هي عبارة عن فتحات توجد

في كل من أقطاب الأرضين الشمالية والجنوبية مثل فتحة منفذ القطب الشمالي المصورة بواسطة الأقمار الصناعية وهي تتفاوت في أحجامها على حسب مساحة كل أرض من الأرضين الستة بعالم جوف الأرض الداخلي ففتحة منفذ القطب الشمالي يبلغ قطرها من حافة الدائرة إلى الحافة الأخرى المقابلة لها 1400 كيلو متر.. ويمكن ملاحظتها من خلال الصور الملتقطة للأرض من الفضاء الخارجي عبر الأقمار الصناعية.. ويستطيع العابر من خلالها أن يلج فيها.. من ناحية سطح الأرض الخارجي إلى ناحية بطن الأرض الداخلي إلى بلاد أمم وأقوام يأجوج ومأجوج بعالم جوف الأرض الداخلي.. دون أن يلاحظ أية اختلال لتوازن الجاذبية عنده أو أي شيء غير طبيعي حتى أنه لا يستطيع أن يلحظ أنه يلج إلى أعماق جوف الأرض الداخلي أو أنه ينزلق إلى حافة معبر ما.. فيبدو أمر دخوله في المنفذ طبيعيًّا جدا..

وهذا بسبب كبر حجم فتحة عين منفذ القطب الشمالي الهائل وكبر حجم مساحة حوافه الضخمة .. فجاذبية حواف المنفذ هي نفسها جاذبية حائط الأرض الذي نعيش ونستقر عليه.. فمن الطبيعي أن لا يلاحظ الناس أي اختلال لتوازن الجاذبية أثناء عبورهم فيه.. فإن الناس يستطيعون أن يسكنوا على حواف فتحة العين وأن يستقروا على جاذبيتها دون أدنى مشكلة مثل سطح أرضنا تماما.. ودون أن يشعروا بشيء غريب أو غير طبيعي إطلاقا.. وكذلك فتحات عيون الأرضين الحامية الحارة كلها فهي ضخمة مثل فتحة عين منفذ القطب الشمالي.. مما يسمح ذلك لشمس جوف الأرض الداخلية أن تطلع من خلال فتحات العيون الحمئة المدورة وتدخل من خلال أجوافها فالعيون الحامية الحارة التي توجد بأقطاب الأرضين الستة بعالم جوف الأرض الداخلي حجمها هائل وعظيم وهي بضخامة فتحة منفذ القطب الشمالي والجنوبي.. التي يستطيع الناظر للصور الملتقطة لهما من الفضاء الخارجي بواسطة الأقمار الصناعية أن يشاهدها بسهولة تامة فتبارك الله أحسن الخالقين رب العرش العظيم...!!

وبذلك يمكن أن نعرف أن الشمس الداخلية المركزية (Central Sun) تعبر من خلال فتحات العيون الحمئة التي توجد بأقطاب الأرضين الستة بعالم جوف الأرض

الداخلي مثل فتحات عيون منفذ القطب الشمالي والقطب الجنوبي.. بتقدير الله سبحانه وتعالى لها.. حيث تطلع هذه الشمس على بلاد أمة من أمم وأقوام يأجوج ومأجوج بعالم جوف الأرض الداخلي عابرة من خلال فتحة عين بلادهم الحمئة المدورة وتغرب عند بلاد أمة أخرى من أمم وأقوام يأجوج ومأجوج بعالم جوف الأرض الداخلي داخلة في عين أرضهم الحمئة المدورة الأخرى.. فسبحان الله الحي القيوم العظيم الذي خلق لهم شمسهم لتحيا بها بلادهم.. بقدرة الله عز وجل فسبحان الله الملك الحق العظيم القادر على كل شيء الذي يقول للشيء كن فيكون وهو على كل شيء قدير...!!

ملحوظة هامة:

أيها الإخوة: يمكنكم التأكد من صحة مصدر هذه القصة التي وثقها تاريخيا المؤرخ اليوناني / بسفيزو كاليسثينيس من سيرة الإسكندر الأكبر المنشورة على شبكة الإنترنت على العنوان التالي: (Callisthene – Pseudo)

ثانياً: ما جاء في أقوال العلماء والمفسرين حول تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ (الكهف: 86)

لقد أجمع معظم العلماء والمفسرين والكتاب والباحثين عبر التاريخ قديما وحديثا على أن المقصود من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي أن الشمس تغرب في عين الطين الحارة وأن اختلفت تعليلاتهم أو أقوالهم وآراؤهم فالله سبحانه وتعالى ذكر في محكم كتابه العزيز أنها تغرب في عين حمئة وهذا واضح مثل وضوح الشمس في كبد السماء لا ينبغي لأحد تأويله أو تحريفه إلا أنهم استنتجوا وأولوا الآية الكونية العظيمة بما جاءت به علوم الفلك في عصرهم وبما عرفوه عنها في ذلك الوقت حيث قالوا إن النبي الملك ذا القرنين (عليه السلام) رآها تغرب فيما يرى الرائي في العين الحمئة وهذا والله تبديل وتغيير لآيات الرحمن سبحانه وتعالى وتشويه لما جاء فيها من الحق المبين لحقيقة كونية ربانية خفية عظيمة تحدث بباطن الأرضين الستة بعالم جوف الأرض الداخلي..!!

أقوال العلماء والمفسرين القدامى حول تفسير قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾:

1- قال العلامة الآلوسي - رحمه الله - في تفسيره المسمى: (روح المعاني) ما نصه: قول الله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وجدها: أي وجد الشمس تغرب في عين حمئة: أي ذات حمأة وهي الطين الأسود.. وقرأ عبد الله وطلحة ابن عبيد الله وعمرو بن العاص وابنه عبد الله وابن عمر ومعاوية والحسن وزيد بن علي وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ حامية: أي حارة) واحتمل العلامة الالوسي- رحمه الله - كلا الوجهين في تفسيره المسمى: (روح المعاني) بقوله: (المراد بالعين الحمئة التي تغرب فيها الشمس إما عين في البحر أو البحر نفسه.. وقال النحاس - رحمه الله - في كتابه: (معاني القران): (إن القتيبي قال: مثل ذلك).

2- قال ابن حزم الأندلسي - رحمه الله - في كتابه: (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ما نصه: (أن ذو القرنين كان حقا عند العين الحمئة حيث قال: في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وقرأ أيضا: «وجدها تغرب في عين حامية» وهذا هو الحق بلا شك وذو القرنين كان قد رأى الشمس وهى تغرب في العين الحمئة الحامية، حمئة من حمأتها، وحامية من استحرارها كما تقول رأيتك في البحر تريد أنك إذ رأيته كنت أنت في البحر).

3- قال الإمام الحافظ / ابن كثير الدمشقي (رحمه الله) في «تفسيره» ما نصه: (قول الله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ حمئة: مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة وهو الطين كما قال تعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 28]. أي طين أملس)

4- قال العلامة/ ابن جرير الطبري - رحمه الله - في"تفسيره» ما نصه: (حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أنبأنا نافع بن أبي نعيم قال سمعت عبد الرحمن الأعرج

يقول: كان عبد الله ابن عباس (رضي الله عنه) يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ثم قرأها: «وجدها تغرب في عين حامية» قال نافع: وسئل عنها كعب الأحبار فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكنى أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء وكذلك روى غير واحد عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) وبه قال مجاهد وغير واحد: وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصبدع عن عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب قال: أن النبي ﷺ قرأها حمئة..!!

وقال علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس قال: قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ حامية: يعني حارة وكذلك قال الحسن البصري

وذكر العلامة/ ابن جرير الطبري – رحمه الله – أيضا في موضع آخر في (نفس المصدر السابق): والصواب أنهما قراءتان مشهورتان وأيهما قرأ القارئ فهو مصيب قلت ولا منافاة بين معنييهما إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها وملاقاتها الشعاع بلا حائل وحمئة في ماء وطين أسود كما قال كعب الأحبار وغيره..!!

وقال ابن أبي حاتم حدثنا حجاج بن حمزة حدثنا محمد يعني ابن بشر حدثنا عمرو ابن ميمون أنبأنا ابن حاضر أن عبد الله بن عباس ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف: «وجدها تغرب في عين حامية».. فقال عبد الله بن عباس لمعاوية ما نقرؤها إلا حمئة، فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرؤها..؟؟ فقال كما قرأتها.. فقال عبد الله بن عباس فقلت لمعاوية: في بيتي نزل القرآن..!!، فأرسل إلى كعب الأحبار فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟؟ فقال له كعب الأحبار: سل أهل العربية فإنهم أعلم بها، وأما أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين..!!

وقال سعيد بن جبير بينما عبد الله بن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ قول الله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ فقال كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده ما سمعت أحدا يقرؤها كما أنزلت في التوراة غير عبد الله بن عباس فإنا نجدها في التوراة تغرب في مدرة سوداء..!!

وقال أبو يعلَى الموصلي حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا هشام بن يوسف قال في تفسير ابن جريج قول الله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ قال مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أي أمة من الأمم ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم.

5- قال العلامة/ ابن جرير الطبري - رحمه الله - في» تفسيره» ما نصه: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ﴾ ذو القرنين ﴿مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ اختلف القراء في قراءة تلك الاية، فقرأها بعض قراء المدينة والبصرة: ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ بمعنى: أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة، وقرأها جماعة من قراء المدينة، وعامة قراء الكوفة: «في عين حامية» يعني: أنها تغرب في عين ماء حارة. واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءتها) ثم ساق العلامة/ ابن جرير الطبري - رحمه الله - الأحاديث التي تذكر أن الشمس تغرب في عين حمئة وقال إنهم اختلفوا فيما بينهم أهي في عين حمئة أم حامية وقال: والصواب عندي أنه لكل واحد من القولين وجهاً صحيحاً ومعنى مفهوماً وكلا الوجهين غير مفسد لصاحبه.. وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين..!!

6- قال الإمام/ القرطبي - رحمه الله - في"تفسيره» ما نصه: (قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرأها ابن عاصم وعامر وحمزة والكسائي: «في عين حامية» أي حارة وقرأها الباقون: ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي كثيرة الحمأة وهي الطينة السوداء، تقول: حمأت البئر حمأ (بالتسكين) إذا نزعت حمأتها. وحمئت البئر حمأ (بالتحريك) إذا كثرت حمأتها. ويجوز أن تكون: «عين حامية» من الحمأة فخففت الهمزة وقلبت ياء. وقد يجمع بين القراءتين فيقال: كانت حارة وذات حمأة وقال عبد الله بن عباس: أقرأنيها

أبي كما أقرأه رسول الله ﷺ: «في عين حمئة» وقال معاوية بن أبي سفيان: بل هي: «عين حامية» فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: فأنا مع أمير المؤمنين؛ فجعلوا كعب الأحبار بينهم حكما وقالوا: يا كعب كيف تجد هذا في التوراة؟ فقال: أجدها تغرب في عين سوداء، فوافق قوله قول عبد الله ابن عباس).

وذكر الإمام/ القرطبي - رحمه الله - أيضا في موضع آخر في (نفس المصدر السابق): قول الله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أي عند العين، أو عند نهاية العين، وهم أهل جابرس، ويقال لها بالسريانية: جرجيسا؛ يسكنها قوم من نسل ثمود وبقيتهم الذين آمنوا بنبي الله صالح عليه السلام ذكره السهيلي..!!

7- وقال الإمام/ القرطبي - رحمه الله - في كتابه: (البحر الجامع لأحكام القرآن): (قال القتبي: ويجوز أن تكون هذه العين من البحر. وبمثله قال أبو حيان والنحاس، ومقتضى كلامهم أن تلك العيون من لوازم المحيطات وأنها متصلة، وفي كل محيط عين حامية حمئة)..!!

8- قال العلامة/ البيضاوي - رحمه الله - في «تفسيره» ما نصه: (قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ يعني إسكندر الرومي ملك فارس والروم واختلف في نبوته مع الاتفاق على إيمانه وصلاحه وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي ذات حمأ من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر: «عين حامية» أي حارة ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين أوحمية وقيل إن عبد الله بن عباس سمع معاوية بن أبي سفيان (يقرأها: «عين حامية» فقال: بل هي: «عين حمئة» فبعث معاوية بن أبي سفيان إلى كعب الأحبار وقالوا: يا كعب كيف تجد الشمس تغرب قال في عين ماء وطين كذلك نجده في التوراة..!!

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ عند تلك العين: ﴿قَوْمًا﴾ قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما يلفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم أو يدعوهم إلى

الإيمان). وبناء على ما جاء في أقوال العلماء والمفسرين حول تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ نقول إن المقصود من لفظ حمئة في هذه الآية القرآنية الكريمة أنها عين حامية أي: حارة أو ملتهبة أو عين حمئة أي: ذات طين أسود أو كلاهما معا والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

رابعاً: العلماء يصورون شمس جوف الأرض الداخلية وهي تغرب في العين الحامية ببلاد أمم وأقوام يأجوج ومأجوج في عالم جوف الأرض:

لقد قام العلماء في الاستخبارات الأمريكية العليا..المتخصصة في مجال الأطباق الطائرة وسكان عالم جوف الأرض الداخلي بتصوير فيلم فيديو حقيقي لشمس جوف الأرض الداخلية أثناء غروبها في فتحة العين الحامية الحارة ببلاد أمم وأقوام يأجوج ومأجوج الذين يسكنون تحت الأرض في عالم جوف الأرض الداخلي العظيم..!![1]

1- الفيديو منشور على شبكة الإنترنت يمكن الرجوع إليه. وراجع أبحاث الأستاذ/ وليد متعب على شبكة الإنترنت.

رحلة ذي القرنين إلى القارة الأمريكية

من الأمور المشهورة أن الرحالة الشهير كولمبس هو الذي اكتشف القارة الأمريكية وأنه مات ولم يدر أنه اكتشفها ظنًّا منه أنها أرض تابعة للقارة الهندية ولذلك أطلق على سكان القارة الأمريكية الأصليين خطأ (الهنود الحمر) تميزاً لهم عن الهنود سكان الشرق الآسيوي، وكان اكتشاف كولمبس لأمريكا عام 1492م، وهذا هو التاريخ الذي يريد الماسون أن يفرضوه على البشر أو البشرية.

ولكن الحقيقة أن العرب القدماء قد اكتشفوا القارة الأمريكية قبل كولمبس بثلاثة قرون وإليكم ما ذكر في هذا الموضوع:

يقول محمد راغب الطباخ في كتابه «ذو القرنين وسد الصين من هو وأين هو؟»:

بعد نقلي ما تقدم بثمان سنوات - يقصد ما ذكره في كتابه ذو القرنين وذلك في شهر ذي الحجة سنة 1367هـ الموافق لتشرين الأول 1948م اطلعت على مقالة بقلم الأبي افتستاس الكرملي البغدائي منشور في مجلة المقتطف المصرية (العدد الثاني من المجلد السادس بعد المائة) تحت عنوان (عرف العرب أمريكا قبل أن يعرفها أبناء الغرب) ناقلاً ذلك عن مصادر غربية فتعقبته الآنسة/ دولت حسن الصغير (الإسكندرية) فنشرت مقالة في مجلة الرسالة المصرية في العدد (612) تحت عنوان (اقتحم العرب المحيط (الأطلنطي) قبل أن يقتحمه «كلمبس». ناقلة ذلك عن مصادر عربية، فهذه النقول تدعونا نجزم أن المكتشف الأول لهذه القارة من عصور قديمة هم العرب ولا ريب، والفضل للمتقدم، وإليك باختصار ما قاله الأب الكرملي والآنسة دولت: قال الأب في مقالته التي حاضر بها في بغداد في ديسمبر 1944م: «كان العرب منذ أقدم الأزمنة وقبل المسيح بكثير إلى جزيرة واقعة غربي بريطانيا العظمى، تلكم الجزر التي كان يسميها

اليونانيون يومئذ (جزر القصدير)، بلسانهم (Kasselerides)، ومنه اسم القلعي عندنا - أي: القصدير - المعروف باسم منجمه، وذهاب أبناء قحطان إلى تلكم الربوع النائية يدل على أمور جمة:

منها: أنهم كانوا يتقنون الملاحة إتقاناً عجيباً؛ بدليل ما ذهبوا إليه من البلدان الشاسعة.

ومنها: أنهم كانوا يبرعون في بناية السفن بأحكام عظيمة لتتمكن من مصارعة أهوال الغمار والمحيطات ولكن لا تتصدع ولا تتفسخ ومن ثم لا تغرق.

ومنها: أنهم كانوا بارعين في الهندسة حتى أنهم تمكنوا من نشر الجواري المنشآت نشرا متساوي الجوانب والأنحاء والأجزاء حتى لا تمزقها اللجج المتلاطمة ولا يزيد فيها جزء على جزء فيثقل جانب ويخف آخر فيمتنع التوازن والتساوي فتعطب تلك المواخر في اليم فكان هؤلاء السلف الأبطال يذهبون إلى تلكم الأصقاع يستخرجون منها القصدير ثم ينقلونه إلى بلادهم العامرة على تلكم المواخر فيبيعونه بأثمان باهظة هذا وتجارة العرب معروفة ومشهورة منر القدم والأزمنة الواغلة في الماضي وقد تعلم بعض الناس من العرب استخراج القصدير من تلك الجزر فتأثروا هم في صناعتهم وتجارتهم فكان الفنيقيون، والقرطاجيون، والرومان، واليونان، وغيرهم.

ذكر كل ذلك هيرودوتس أبو التاريخ في (11503) واسترابون في الباب (2) في الفصل (11)

بسطت لكم الدليل الأول نقلاً عن هيرودونس أبي التاريخ المتوفي في المئة الخامسة قبل الميلاد وعن استرابون المتوفي في الأيام الأخيرة من عهد طيباريوس قيصر أي: في نأنأة النصرانية.

والآن أذكر لكم الدليل الثاني؛ وهو: يرى المفكرون البصراء من اهل البحث في هذا العصر: أن أبناء العروبة عرفوا التيار المشهور في هذا العهد بالاسم الانجليزي (Gulf Streem)؛ أي: تيار الخليج وهو تيار عظيم ينساب في (المحيط الأتلانتي) الذي يسميه ابن خلدون (المحيط اللبلابي) وينشأ في خليج المكسيك مارا بقناة بهاما ثم يلاعب

سواحل أمريكة الجنوبية ويسارها إلى الدرجة (40) من العرض الشمالي ثم ينحدر إلى الجنوب الشرقي.

ويذهب أمير موناكو البحار الشهير والبحاثة الخطير: إلى أن سواحل أوروبة تتدفق على وجهها بسط من المياه هي غير مياه تيار الخليج اللهم إلا النزر منها الذي لا يلتفت إليه هذا وتبقى مجاري هذا التيار دافئة فتكسر شيئا من برد أيرلاندة لأن تلكم المياه تبلغها كما تصل إلى إنكلترة ونرويج.

وسبق العرب سائر الأمم إلى معرفة هذا التيار وخواصه وإلى حركته من المكسيك إلى أيرلاندة ومن هذه إلى تلك فكانوا يركبون من موضع إلى موطن بحيث كانوا يدهشون سكان جزيرة المانش -أي جزر القصدير- وأهالي جزيرة أيرلاندة فكانوا اذا ظعنوا إلى أنحاء المكسيك مكث بعضهم فيها وعاد القليلون منهم إلى بلادهم راكبين متن ذلكم التيار المبارك.

ونعرف أنهم كانوا يقيمون في الديار التي عرفت بعد ذلك بالمكسيك من أسماء الحيوانات التي سموها بها وهي أسام تعرف بها إلى اليوم لكن لا يفقه أهلها معانيها ولا علماء الغرب الذين اتخذوها هم أيضا محافظين عليها محافظتهم على حياتهم.[1]

ولو كانوا واقفين على تاريخ نشأة بني يعرب ونزولهم في تلك الربوع بل وصولهم إلى أقصى الخافقين واطلاعهم على أسرار لغتهم البديعة المبينة لاهتدوا إلى حل العقد وحل المعضل.

هذا والألفاظ العلمية الموضوعة في علم الحيوان والطير والسمك والحشرات جمة لا تحصى على أن ما لا يدرك كله لا يترك جله وأنا أتلو على أسماعكم شيئا نزرا من هذا القبيل فمنها التمساح المسمى عندهم (Alligator)، فإنهم لم يعرفوا من أي لغة هي إنما يقولون إنها بلسان البلاد التي يعيش فيها ولم يزيدوا على هذا القدر ولو اتسع لي الوقت لذكرت لكم مئات من الألفاظ إلا أني أحاول مسابقة الزمن لئلا تفوتني الفرصة التي

1- ما زال الكلام لصاحب كتاب (ذو القرنين وسد الصين)، مصدر سابق.

اريد أن أبين فيها أن الأيرلنديين لما رأوا العرب يأتون إلى ديارهم ثم يركبون متن تيار الخليج عرفوا أن في أقاصي البحر الأتلانتي بلادا مأهولة وسكانا متوحشين لا يعرفون من دين النصرانية شيئا يذكر.

وأول من انتبه لهذا الامر راهب اسمه (Brendan) برندان السائح البحار المولود في فنست سنة (483) وقد أولع منذ حداثته بركوب الأخطار فعزم على ارتياد المحيط الأتلانتي ومشاهدة ما وراءه من البر العظيم المجهول ثم ذكر رحلته مع (14) راهبا سنة (545) وفي الآخر تراءت لهم أرض كانت جزيرة والمظنون أنها كانت أيسلندة التي معناها جزيرة الجمد وفي الفاتيكان نسخة باللاتينية من هذه الرحلة وفي المكتبة الوطنية في باريس إحدى عشرة نسخة خطية.

ولا جرم أن كلمبس كان واقفا أتم الوقوف على خبر رحلة برندان فتمكن من أن يقنع الملك فرديناند والملكة إيزابله بأن يوافقا على هذه الرحلة للبحث عن العالم الجديد فقنعا في الآخر ويلخص كلامي هذا كما يأتي:

إن أبناء يعرب القدامى ولا سيما أولئك الذين كانوا يجاورون ثغور البحار يركبون السفن التي كانوا ينشرونها بأيديهم فيجوبون بها المحيطات فوصلوا في أول أسفارهم إلى جزر القصدير وهي بحر المانش وعددها (145) خريصا وبعد ذلك عرفوا تيار الخليج المسمى عند الانكليز (Gulf Streem) فاتخذوه ناقلا لهم إلى الربوع التي دعيت بعد ذلك بالمكسيك ومنها انبثوا إلى سائر مدن أمريكة من شمالية وجنوبية.

فالعرب وسائر الأقوام التي حلت على العالم الجديد عرفوا المكسيك قبل أن يعرفوا سائر الديار الغريبة من تلك الأرجاء ولذا نرى فيها من الأسماء العربية العائدة إلى الحيوان والطير أكثر مما في سائر الأنحاء الحديثة المعروفة بحيث لا يمكن لأحد أن ينكرها وقد اعتمدت في كل ما قررت هنا على مصنفات الأغراب أنفسهم إلا ما وجدته فيها بنفسي وقع ذلك كله قبل المسيح وبعده لاسيما بعد اكتشاف تلك المتنأيات.

وقالت الأديبة دولت حسن بعد أن لخصت الخلاصة الأخيرة:

«كنت أحسب قبل مطالعة كلمته الرائعة أنه سيورد من المراجع العربية ما يثبت أن من أبناء قحطان من اقتحم البحر المحيط ليرى ما به من الأخبار والعجائب ويقف على نهايته غير أن الأب اعتمد في كل ما قرره على مصنفات الأغراب فحسب إلا ما وجده في نفسه.

وليس لي أن أفند ما جاء به العلامة من تحقيقات لغوية فما إلى هذا رميت في هذا المقال ولكن سأعنى بالتحدث عمن ركب من العرب المحيط قبل أن يركبه كلمبس معتمدا على ما جاء في المصادر العربية.

ثبت قطعا أن خرستوف كلمبس ليس أول من حط رحاله بالدنيا الجديدة ولكن رحلته إليها هي التي فتحت أعين الناس على هذا العالم الجديد.

فبدئ من بعده السفر إليه والاستعمار.

حدثنا الأب بنبأ رحلة الراهب برندان إلى جزيرة أسلنده (المعروفة عند العرب باسم تولى) وجزائر الكناري (الخالدات) ثم نزوله على الساحل الأمريكي في النصف الثاني من القرن السادس كما حدثنا بخبر بعض الرهبان الأرلنديين الذين كانوا يدهشون لركوب العرب لتيار الخليج القادم من المكسيك ونزولهم في القرن الثامن الميلادي إلى سواحل أمريكا الشرقية، غير أن التاريخ غمط حقوق الرواد المغامرين من يعرب، الذين ركبوا الأهوال محاولين اختراق الخضم المحيط المعروف في ذلك الحين باسم بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي).

وأضافت دولت حسن: نقل العرب كتاب (المجسطي) لبطليموس القالوذي في مطلع العصر العباسي وقالوا في إزياجهم وكتبهم الجغرافية عن الأرض كروية.

جاء في مروج الذهب للمسعودي:

«ذكروا أن الأرض مستديرة، ومركزها في وسط الفلك، والهواء محيط بها من كل الجوانب، وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات في بحر أقيانوس إلى أقصى

عمران الصين، وعلموا أن الشمس إذا غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التي في بحر أقيانوس، وإذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين، وذلك نصف دائرة الأرض، وهو طول العمران الري ذكروا أنهم وقفوا عليه».

ولعمري! إنّ هذا تحديدٌ دقيقٌ لما يعرف اليوم جغرافيا باسم نصف الكرة الشرقي.

وقال المسعودي -أيضا-:

«إن أقصى العمران في المشرق إلى حدود بلاد الصين والسيلي إلى أن ينتهي إلى بحر أقيانوس المحيط وأقصى عمران المغرب ينتهي إلى بحر أقيانوس المحيط -أيضا-، فكأن الأقيانوس المحيط كان -بحسب ما عرفوه- متصلاً من أقصى العمران في المشرق إلى اقصى العمران في المغرب».

وهو ما يعرف اليوم جغرافيا باسم نصف الكرة الغربي وتواتر الأخبار قديما بان بحر الظلمات هنا لا تدرك غايته ولا يعلم منتهاه وانه بحر لا تجري فيه جارية ولا عمارة.

جاء في كتاب الشريف الإدريسي (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق):

«ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم، ولا وقف بشر فيه على خبر صحيح لصعوبة عبوره، وظلام أنواره، وتعاظم موجه، وكثرة أهواله، وتسلط دوابه وهيجان رياحه، وبه جزائر كثيرة منها معمورة وغير معمورة.

وكان يعزز ما تواتر عليه الناس عنه أسطورة مأثورة عن قدامى اليونان تقول بأن (أسطورة جلجامش السومرية البابلية)، حيث تقول:

بأن هرقل بنى أعمدة من النحاس والحجارة، حدًّا بين بحر الروم والأقيانوس، وعلى أعلاها كتابة وتماثيل مشيرة بأيديها: أن لا طريق ورائي لجميع الداخلين إلى ذلك البحر المحيط.

وأشار المسعودي إلى هذا النصب بما نصه:

«وعلى هذا البحر المحيط مما يلي الأندلس جزيرة تعرف بقادس مقابلة لمدينة شذونة،

وفي هذه الجزيرة منارة عظيمة عجيبة البنيان، على أعاليها عمود عليه تمثال من النحاس، يرى من شذونة وراءها لعظمه وارتفاعه، ووراءه في هذا البحر على مسافات معلومة تماثيل أخرى في جزائر يرى بعضها مع بعض وهي التماثيل التي تدعى (الهرقلية) بناها في سالف الزمان هرقل الجبار، تنذر من رآها أن لا طريق وراءها، ولا مرهب بخطوط على صدورها بينة ظاهرة ببعض الأقلام القديمة وضروب من الإشارات بأيدي هذه التماثيل تنوب عن تلك الخطوط لمن لا يحسن قراءتها، صلاحا للعباد، ومنفعاً لهم من التغرير بأنفسهم في ذلك البحر».

وكان الحكماء والجغرافيون من العرب يعترفون أن هذا البحر موصل إلى الهند فقد جاء في كتاب (السماء والعالم) لأرسطو في الدليل على صغر الأرض: أن الموضع الذي يدعى أصنام هرقل يختلط بأول حد من حدود الهند ولذلك قالوا: إن البحر واحد.

وأضافت دولت حسن: واقتحام أبناء قحطان بحر الظلمات أمر لا مرية فيه، وقد بسط الأب أنسطاس الدليل على ذلك نقلاً عن هيرودونس وعن استرابون ونحن بدورنا نبسط الدليل نقلا عن المصادر العربية.

جاء في (مروج الذهب) ص(71) في ذكر الكلام عن البحر المحيط:

«وله أخبار عجيبة، وقد أتينا على ذكرها في كتابنا (أخبار الزمان) في أخبار من غرر وخاطر بنفسه في ركوبه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما رأوا».

ثم قالت: والأرجح أن قصة المغرورين وقعت في القرن الثالث الهجري (التاسع المسيحي)، ونقلتُ قصتهم عن كتاب (نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق).

وخلاصتها:

«أنه اجتمع ثمانية رجال كلهم أبناء عم وخرجوا من مدينة (لشبونة) وجروا في البحر (12) يوماً، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج، كدر الريح، قليل الضوء، فأيقنوا التلف، ثم فردوا قلاعهم في اليد الأخرى وجروا في البحر في ناحية الجنوب (12) يوماً، فخرجوا إلى جزيرة الغنم، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة

تين بري، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها، فوجدوا لحومها مُرَّة، فأخذوا من جلودها، وساروا مع الجنوب (12) يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة، فنظروا فيها إلى عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها، فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك، فأخذوا وحملوا في مراكبهم إلى مدينة على ضفة البحر، فأنزلوا فيها في دار، فرأوا رجالا شقراً زعراً، شعور رؤوسهم سبطة، وهم طوال القدود، ولنسائهم جمال عجيب، فاعتُقِلوا فيها في بيت ثلاثة أيام، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي[1] فسألهم عن حالهم وفيم جاؤوا، وأين بلدهم؟ فأخبروه بكل خبرهم، فوعدهم خيراً، وأعلمهم أنه ترجمان الملك.

فلما كان اليوم الثاني أحضروا بين يدي الملك، فسألهم عما سألهم التُّرجمان عنه؟ فأخبروه بما أخبره به التُّرجمان بالأمس، من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ويقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك، وقال للترجمان: خبر القوم أن أبي أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر، وإنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء، وانصرفوا في غير حاجة ولا فائدة تجدى، ثم أمر الملك الترجمان أن يعدهم خيراً، وأن يحسن ظنهم بالملك، ففعل، ثم صرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جريُ الريح الغربية، فعمر بهم زورق، وعصبت أعينهم، وجرى بهم في البحر برهة من الدَّهر،

1- قال المؤلف محمد راغب الطباخ: من أين أتى هذا الرجل العربي، وهل هو وحده في هذه الجزيرة يعرف اللسان العربي،هذا مما يستبعد، يمكننا أن نقول جازمين: إنه لما وصل ذو القرنين إلى تلك البلاد واقتحمها، ترك فيها رجالاً من العرب جعلهم حكام تلك البلاد وقتئذ وعاد إلى الشرق، فهؤلاء من بقايا مَنْ نزل تلك البلاد من العرب لما جاءها ذو القرنين.

ويقول المسعودي الذي تقدم: «وفي هذه الجزيرة منارة عظيمة ووراءه في هذا البحر تماثيل أخرى، وهي التي تدعى الهرقلية، بناها في سالف الزمان هرقل الجبار»، لا يعارض ما نقلناه عن كتاب «التيجان»، أن الباني لهذه الأشياء هو ذو القرنين، لكن مع تقادم الزمان نسي ذو القرنين، وصار سكان الأندلس ومَنْ كان هناك من البلاد الأوروبية الغربية ينسبون هذه الأعمال إلى هرقل الجبّار، وتُدُوول هذا بينهم، وأخذه المسعودي عنهم عن لسانهم أو عن كتبهم، ويحتمل أن هرقل الجبار زاد في هذه المنارات وفي تلك التماثيل وتنوسي مع تطاول الزمان الباني الأول، ولذلك نظائر في التاريخ، وأضف إلى هذا الرجل العربي ما جاء في «مقالة الأب الكرملي»، أن هناك كثيراً من أسماء الحيوان والطير ما هو عربي.

قال القوم: قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها، حتى جيء بنا إلى البر، فأخرجنا وكتفنا إلى الخلف، وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس، ونحن في ضنك وسوء حال من شد الأكتاف، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بأجمعنا، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة، فحلّونا من وثاقنا، وسألونا؟ فأخبرناهم بخبرنا، وكانوا برابرة، فقال لنا أحدهم: أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم؟

فقلنا: لا.

فقال: إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين، فقال زعيم القوم: وا أسفى! فسمّي المكان إلى اليوم (أسفي)، وهو المرسى في أقصى المغرب.

والذي نستخلصه من رواية الإدريسي: إن الأخوة الذين نعتوا ظلماً باسم المغررين، أو المغرورين، ركبوا البحر المحيط من (لشبونة) -عاصمة البرتغال الحالية-، فضربوا في عرضه غرباً، ثم انعطفوا نحو الجنوب فوطئوا أرض جزيرة بها غنم وتين بري بعد مسيرة (23) يوماً، ونحن لا نستبعد أن تكون جزيرة الغنم هذه احدى جزر اللازورد (أزوره)، لأنها تقع غرب (لشبونة)، لا إلى جنوبها الغربي، ولأنها جزر مسكونة من قديم الزمان عرفها القرطاجينيون والنورمانديون والعرب كما جاء في «دائرة المعارف الفرنسية»، وقد هاجر إليها فريق من عرب إسبانيا بعد طردهم من الأندلس.

والذي نظنّه أن هؤلاء الإخوة حطوا رحالهم في إحدى (جزر برموده) أو (جزر الإنطيل)، إن لم يظعنوا إلى أحد أنحاء المكسيك بلاد التين البري (وفصائل الصبير)، والتي كانت تزخر بقطعان الماشية.

ثم قالت: «وهنا قصة لمغامر آخر اقتحم البحر المحيط ولا يعرف إلا الله مصيره، ومن تبعه في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (أوائل القرن الرابع عشر الميلادي)، يحدثنا ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» عن الملك موسى بن أبي بكر أحد ملوك مالي في السودان الغربي، وكان معاصراً

لصاحب «مسالك الأبصار"[1] في أيام الملك الناصر بن قلاوون، قال: قال ابن أمير الحاجب والي مصر عن الملك موسى بن أبي بكر سألته عن سبب انتقال الملك إليه؟

فقال:

«إن الذي قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئتين من السفن وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنين وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته، فغابوا مدّة طويلة، ثم عاد منها سفينة واحدة، وحضر مقدمها، فسأله عن أمرهم؟ فقال: سارت السفن زمناً طويلاً، حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة جرية عظيمة، فابتلع تلك المراكب وكنتُ آخر القوم، فرجعت بسفينتي فلم يصدِّقه، فجهز ألفي سفينة؛ ألفا للأولاد، وألفا: للأزواد، واستخلفني وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك، وكان هذا آخر العهد به».

ثم قالت: «ومما يغلب على الظن أن كولمبس وقف على خبر الإخوة المغرورين وعرف أنهم هبطوا إحدى الجزر فيما وراء المحيط، ولعله كان على علم بنبأ رحلة برندان، ولا جدال في أنه اطلع على ترجمات الكتب الجغرافية العربية التي تقول بكروية الأرض، وبأن البحر المحيط موصل إلى الهند، ثم استطاع أن يقنع الملكة ايزابله، وسار بسفنه الشراعية في 3 أغسطس سنة 1492، متخذاً سبيله في البحر غرباً، ثم جنوباً بغرب، حتى وصل في 12 أكتوبر إلى جزيرة غواني هاني - التي عرفت فيما بعد باسم (سان سلفادور) وكأن معاصريه لم يجدوا فيما أتى به بدعاً أو لم يروا فيه أول مقتحم لبحر الظلمات، فضرب لهم مثل البيضة المعروف، ومات في بلد الوليد عام 1506 آسفاً محسوداً.

فهذه حقائق مستفادة من المصادر العربية، تثبت أن أبناء يعرب جابوا بحر الظلمات قديماً، على أن أخبار مقتحميه منهم وما شاهدوه منه وما رأوا لم تلق من الناس والمؤرخين الأقدمين اهتماماً كبيراً، وهناك ولا ريب كثير من رواد المحيط الناطقين بالضاد ركبوا في قوافل بحرية كبيرة مثل ملك مالي بيد أنهم لم يجدوا من يؤرخ لهم، ولا ريب أن بعضهم

1- هو أحمد بن يحيى، وكانت وفاته سنة 749.

حط رحاله في ربوع أمريكا الوسطى وجزائرها، لذا لا نعجب أن رأينا فيها كثيراً من الأسماء العربية العائدة إلى الحيوان والطير.(1)

ونحن لا نستغرب وصول ذي القرنين إلى القارة الأمريكية وقد أتاه الله من الأسباب والتمكين حيث أنه قد وصل إليها الإنسان منذ قديم الأزل وقد استطاع الفراعنة القدماء أيضاً الوصول إليها بسفنهم التي صنعت من البردي.

لقد كانت رحلة كولمبس الشهيرة التي أسفرت عن اكتشاف القارة الأمريكية معدة مسبقاً من قبل الماسونية في أوروبا لإيجاد وطن جديد لهم بعد اضطهادهم في أوروبا وكان الماسون على علم بالقارة الأمريكية على ضوء الرحلات السابقة التي قام بها العرب وغيرهم من المغامرين الذين سبقوا كولومبس إلى تلك القارة ومنهم ذو القرنين وكان آخر تلك الرحلات الرحلة التي قام بها الأندلسيون العرب الذين عرفوا باسم «المغرورين».

وقال أنور الجندي في كتابه «الإسلام والتكنولوجيا»: أن العرب اكتشفوا أمريكا قبل كولمبس بثلاثة قرون، وقال أيضاً: أعلن ذلك الدكتور هوى لين الصيني في المؤتمر 171 للجمعية الشرقية فقال: كل طفل يتعلم أن كولمبس الذي اكتشف أمريكا عام 1492م، ولكن قام دليل قوي أن العرب سبقوا كولمبس وقال: إنه أنفق ثمانية أعوام في تتبع هذا الأمر، وقد وصل إليَّ أن البحارة العرب قاموا قبل عام 110م من الطرف الغربي للعالم الإسلامي من ميناء الدار البيضاء على التحديد، ورسوا بسفنهم في عدة مواضع على طول الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية.(2)

وقال الأستاذ/ محمد راغب الطباخ في كتابه (ذو القرنين وسد الصين):

تحقق لدينا بما لاشك فيه أن ذا القرنين باني السد هو عربي، ومن ملوك حمير وأن اسمه الصعب بن الحارث.

1- انتهى كلام الأديبة دولت حسن كما نقله عنها محمد راغب الطباخ في كتاب (ذو القرنين وسد الصين).

2- انظر: الإسلام والتكنولوجيا، أنور الجندي ص82.

وأضاف أنه سار من بلاد المغرب الأقصى في إفريقية ثم اجتاز بلاد الأندلس ومنها إلى المغرب الأقصى (أميركا) ممطياً متون السفن وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: 86].

وقد ذكر تلك الرحلة للملك الصعب ذي القرنين في كتابه التيجان في معرفة ملوك الزمان للإمام وهب بن منبه رواية النساب أبي محمد عبدالملك بن هشام وهو كتاب خاص بملوك حمير ملوك اليمن وقد ذكرنا الكثير من سيرة هذا الملك سابقاً.

وجاء في تلك السيرة: قال: ثم رام ركوب البحر المحيط (المحيط الأطلنطي) فزفر عليه البحر وكان كالجبال الشُّم فرأى في الأسباب عقد، فبنى منارة وجعل عليها صنماً من الماس عقد بها عاصفات الرياح ثم سكن البحر فلان، فركبه وسار بجميع جموعه حتى أبعد عن العقد ثم طغى عليه البحر فبنى منارة أخرى ونصب عليها صنماً عقداً فلم يزل يسير في المحيط وكلما عبر وزفر عليه بنى منارة وعقد عقداً حتى انتهى إلى عين الشمس فوجدها تغرب في عين حمئة في البحر المحيط، ويوجد من دونها جزائر فيها أمم لا يفقهون ما يقولون، ولا ما يقال لهم، فقال ذو القرنين: من رمى بكم هنا؟

قالوا له: سبأ.

فأخذهم ذو القرنين، فأراد قتلهم، فقال له الخضر.

﴿يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ [الكهف: 86]

قال ابن هشام: فحمل عساكره في المحيط يريد جزائر الأرض خلف جزيرة الأندلس.. إلى آخر الرحلة.

وعند بعض أهل العلم أن الخضر كان نبيًّا وكان يأتيه الوحي من الله ثم يبلغه إلى ذي القرنين وهذا ما ذكره ابن هشام في «التيجان».

وجزائر الأرض المذكورة في القصة هي ما تعرف بالجزائر الخالدات التي تقع غربي المغرب في المحيط الأطلنطي وتعرف الآن باسم «حزر الكناري».

ولعل المكان الذي وصل إليه ذو القرنين في القارة الأمريكية هو بركان يلستون

الموجود حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية وهو يشبه العين الحمئة، وهو على وشك الانفجار في أي وقت.

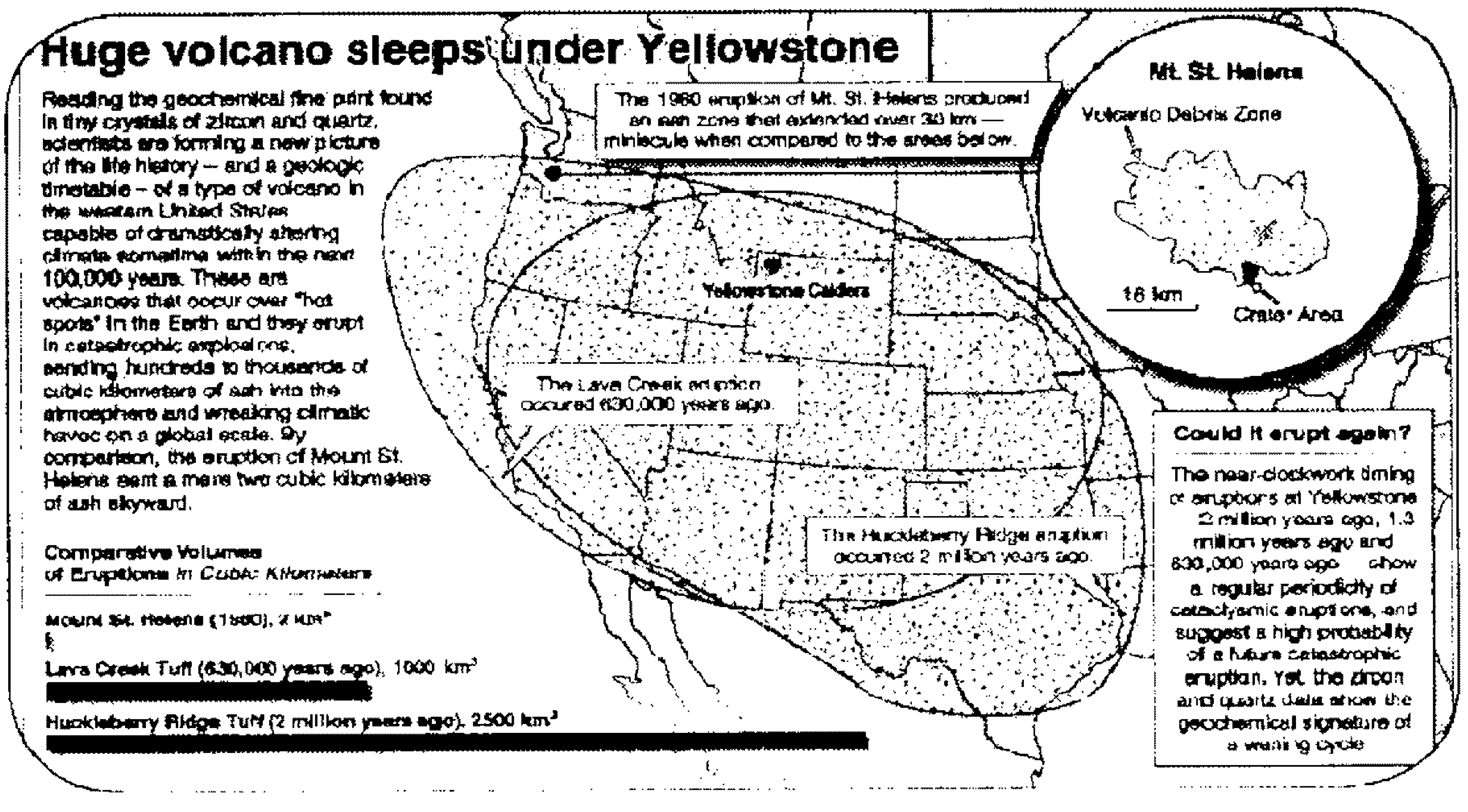
فالبركان العادي كما تعرف له فوهة هي عبارة عن ثقب صغير أو شق تخرج منه الحمم المنصهرة لتبرد بعد خروجها للهواء البارد نسبيًّا وتتصلب على هيئة جبل، وأما البركان الضخم فهو عبارة عن منطقة كبيرة قد تنهار فجأة لتخرج منها الغازات والحمم وترتفع إلى عشرات الكيلومترات في الفضاء مثل بركان يلوستون في أمريكا ومساحته تصل إلى 30 كم^2 عرضاً، و70 كم^2 طولاً وعمق يصل لعدة الكيلومترات وقيل تصل إلى 65 كيلومتراً عرضاً و 80 كيلومترا طولاً.

وقد تم اكتشاف البركان (يلوستون) عن طريق التصوير الفضائي بالأشعة ما تحت الحمراء عن طريق الأقمار الاصطناعية عام 1960م وبدأت دراسته ومراقبته منذ ذلك الحين. (1)

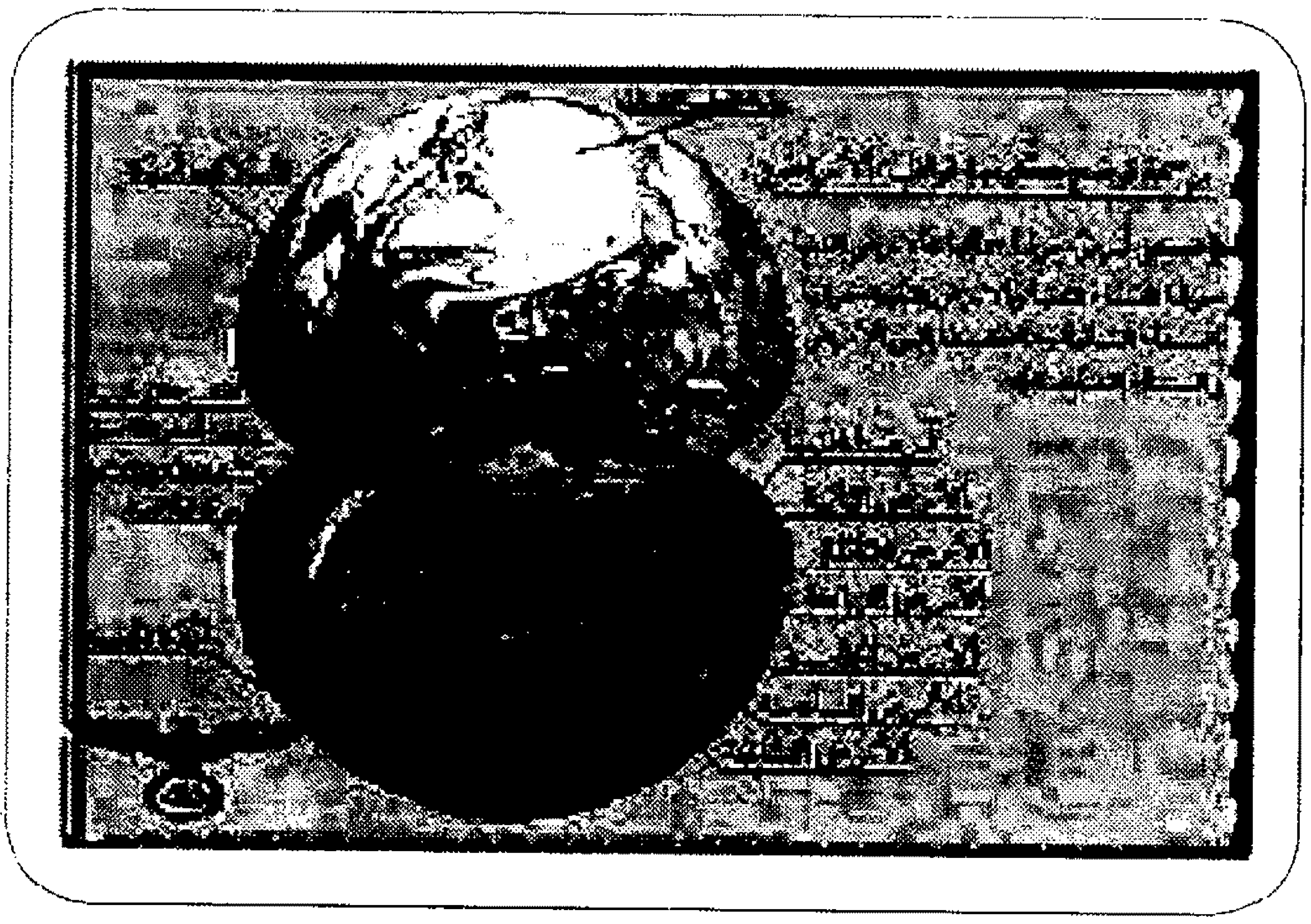
1- ثار هذا البركان آخر مرة منذ 640 ألف سنة، ويقدر العلماء له أن يثور كل 600 ألف سنة أي أنه تأخر هذه المرة نحو 40 ألف سنة، وإذا تحرك هذا البركان سيحل الدمار بالولايات المتحدة ومعظم قارات العالم.



بركان يلستون في أمريكا على وشك الانفجار في أية لحظة.



المناطق التي ستتأثر مباشرة بالانفجار البركاني لبركان يلستون.



رسم توضيحي لعالم الأرضين السبع وجوف الأرض.

6

ذو القرنين ورحلته إلى الشرق (مطلع الشمس)

- مطلع الشمس وذو القرنين.
- ذكر يأجوج ومأجوج في القرآن والسنة النبوية.
- الردم أو السد الذي بناه ذو القرنين لمنع غارات يأجوج ومأجوج على سكان الأرض.
- موقع ردم يأجوج ومأجوج.
- وجود قبر ذي القرنين في الجزيرة العربية.
- ذو القرنين والبحث عن عين الحياة (عين الخلد) المزعومة.

مطلع الشمس وذو القرنين

الأرض كروية وتدور حول الشمس أي أن الشمس ثابتة والأرض متحركة تدور حول نفسها وتدور حول الشمس، وبدورانها حول نفسها يكون الليل والنهار، وبالتالي فلها مشرقان ومغربان، عندما تغرب عندنا تشرق عند آخرين من الجهة الأخرى من الكرة الأرضية وهكذا، فسكان الأرض الموجودون على سطحها ليلاً ينتظرون مشرق الشمس بينما الموجودون في الجهة الأخرى ينتظرون غروبها.

وطلع يطلع أي ارتفع وأما مشرق فمن أشرق يشرق.

قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: 28]

وقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾ [الرحمن: 17، 18]

وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: 40]

وأما قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90]

قال الماوردي في تفسيره: قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ قرئ بكسر اللام وقرئ بفتح اللام وفي اختلافهما وجهان، أحدهما: معناها واحد والثاني: معناهما مختلف وهي بفتح اللام الطلوع، وبكسر الموضوع الذي تطلع منه، والمراد بمطلع الشمس ومغربها ابتداء العمارة وانتهاؤها.

وقوله: ﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ يعني من دون الشمس ما يسترهم منها من بناء أوشجر أو لباس، وكانوا يأوون إذا طلعت عليهم إلى أسراب لهم، فإذا زالت عنهم خرجوا لصيد ما يقتاتونه من وحش وسمك.

قال الكلبي: وهم ثاريس وتاويل ومنسك

والمقصود من مطلع الشمس هو مطلعها من الأفق الشرقي في عين الرائي، وإذا كان ذو القرنين بلغ مغرب الشمس أي جهة الغرب من الكرة الأرضية فمطلع الشمس بالنسبة له هو جهة الشرق من الجانب الآخر للكرة الأرضية من ناحية والوصف والله أعلم ينطبق على الصحارى والسهول الواسعة وعندها وجد قوماً عراة الأجسام، وهؤلاء القوم متواجدون حتى الآن في إفريقيا.

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي في خواطر حول القرآن الكريم في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ : كما قلنا في مغربها فهي دائماً طالعة لأنها تطلع في كل مكان، كل واحد له مطلع وكل و احد له مغرب حسب اتساع الأفق.

وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ الستر هو الحاجز بين شيئين وهو إما ليقيني الحر أو ليقيني البرد، فقد ذهب ذو القرنين إلى قوم من البدائيين الذين يعيشون عراة مثل قبائل وسط إفريقيا حتى الآن ليس عندهم ما يسترهم من الشمس مثل البيوت يسكنونها ولا يعلمون أي شيء عن الحضارة.

في البيئة التي ذهب إليها غير عادية حيث وجد الإنسان وهو مكشوف للحر وللبرد، ولتقلبات الجو، لذلك جعله الله على طبيعة معينة تتحمل هذه التقلبات، على خلاف باقي الجسم المستور بالملابس، فإذا انكشف منه جزء كان شديد الحساسية للحر أو للبرد، وكذلك من الحيوانات ما منحها الله خاصية في جلودها تستطيع أن تعيش في القطب المتجمد دون أن تتأثر ببرودته.

وهؤلاء البدائيون يعيشون هكذا، ويتكيفون مع بيئتهم، ولا تشغلهم مسألة الملابس هذه، ولا يفكرون فيها، حتى يذهب إليهم المتحضرون ويرون الملابس، وكيف أنها زينة وستر للعورة فيستخدمونها.

ونلاحظ هنا أن القرآن لم يذكر لنا عن هؤلاء القوم شيئا وماذا فعل ذو القرنين

معهم، وإن قسنا الأمر على القوم السابقين الذين قابلهم عند مغرب الشمس نقول: ربما حضَّرهم ووفر لهم أسباب الرقي.

وبعض المفسرين يرون أن ذا القرنين ذهب إلى موضع يومه ثلاثة أشهر، أو نهاره ستة أشهر، فصادف وصوله وجود الشمس فلم ير لها غروبا في هذا المكان طيلة وجوده به، ولم ير لها سترا يسترها عنهم، ويبدو أنه ذهب في أقصى الشمال.

ومما سبق يتبين لنا أن ذا القرنين قد ذهب إلى مكان له صفة خاصة معروفة، وهي مطلع الشمس، فوجدها تطلع على قوم غريبين، قوم لا نعرف أسماءهم على وجه القطع والتأكيد، في مكان قد يكون أقرب إلى الشرق القديم وليس لهم من دون الشمس سترا، وأقرب ما يقال في الستر هو الثياب، أي أنه لا ثياب لهم تسترهم من حر الشمس وكذلك منطقتهم مكشوفة وحارة كما قد يستشف من النص، أو غير ذلك والله أعلم.

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا سهل بن أبي الصلت، سمعت الحسن وسئل عن قوله تعالى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ قال: إن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس تغوروا في المياه، فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم. قال الحسن: هذا حديث سمرة، وقال قتادة: ذكر لنا أنهم بأرض لا تنبت لهم شيئا، فهم إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب، حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعايشهم. وعن سلمة بن كهيل أنه قال: ليس لهم أكنان، إذا طلعت الشمس طلعت عليهم، فلأحدهم أذنان يفترش إحداهما ويلبس الأخرى.

وأما قول قتادة إنهم الزنج أي السود الأفارقة: أي أنه رحل إلى قارة إفريقيا على ساحلها.

وقال ابن جريج في قوله: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ قال: لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يبن عليهم فيها بناء قط، كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل.

جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها: لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها. قالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟

قالوا: هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا. قال: فذهبوا هاربين في الأرض.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾

قال مجاهد، والسدي: علماً، أي: نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء، وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].(1)

ومما قاله ابن كثير في تفسيره عن تفسيره للآيات 89 – 91 من سورة الكهف:

ثم سلك طريقا فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الإقليم المتاخم لهم.

وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفا وستمائة سنة يجوب الأرض طولها والعرض حتى بلغ المشارق والمغارب. ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي أمة ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي: ليس لهم بناء يكنهم، ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس.

قال سعيد بن جبير: كانوا حمرا قصارا، مساكنهم الغيران، أكثر معيشتهم من السمك.

وفي تفسير القرطبي قال في تفسيره لآيات سورة الكهف عن رحلة ذي القرنين لمطلع الشمس:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ وقرأ مجاهد وابن محيصن بفتح الميم واللام؛ يقال: طلعت الشمس والكواكب طلوعا ومطلعا. والمطلَع والمطلِع أيضا موضع طلوعها قاله الجوهري.

1- انظر تفسير ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ المعنى أنه انتهى إلى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس أحد من الناس. والشمس تطلع وراء ذلك بمسافة بعيدة وقد اختلف فيهم؛ فعن وهب بن منبه ما تقدم، وأنها أمة يقال لها منسك وهي مقابلة ناسك؛ وقاله مقاتل وقال قتادة: يقال لهما الزنج وقال الكلبي: هم تارس وهاويل ومنسك؛ حفاة عراة عماة عن الحق، يتسافدون مثل الكلاب، ويتهارجون تهارج الحمر.

وقيل: هم أهل جابلق وهم من نسل مؤمني عاد الذين آمنوا بهود، ويقال لهم بالسريانية مرقيسا والذين عند مغرب الشمس هم أهل جابرس؛ ولكل واحدة من المدينتين عشرة آلاف باب، وبين كل باب فرسخ ووراء جابلق أمم وهم تافيل وتارس وهم يجاورون يأجوج ومأجوج وأهل جابرس وجابلق آمنوا بالنبي ﷺ (مر بهم ليلة الإسراء فدعاهم فأجابوه، ودعا الأمم الآخرين فلم يجيبوه)؛ ذكره السهيلي وقال: اختصرت هذا كله من حديث طويل رواه مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ ورواه الطبري مسندا إلى مقاتل يرفعه؛ والله أعلم.(1)

قوله تعالى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ أي حجابا يستترون منها عند طلوعها. قال قتادة: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر؛ كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، وهم يكونون في أسراب لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم رجعوا إلى معايشهم وحروثهم؛ يعني لا يستترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها. وقال أمية: وجدت رجالا بسمرقند يحدثون الناس، فقال بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين، فقيل لي: إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فاستأجرت رجلا يرينيهم حتى صبحتهم، فوجدت أحدهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى، وكان صاحبي يحسن كلامهم، فبتنا بهم..

فقالوا: فيم جئتم؟

قلنا: جئنا ننظر كيف تطلع الشمس؛ فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة، فغشي علي، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذ هي على

1- والحديث لا يصح.

الماء كهيئة الزيت، وإذا طرف السماء كهيئة الفسطاط، فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم، فلما ارتفع النهار وزالت الشمس عن رءوسهم خرجوا يصطادون السمك، فيطرحونه في الشمس فينضج. وقال ابن جريج: جاءهم جيش مرة، فقال لهم أهلها: لا تطلع الشمس وأنتم بها، فقالوا: ما نبرح حتى تطلع الشمس.

ثم قالوا: ما هذه العظام؟

قالوا: هذه والله عظام جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا قال: فولوا هاربين في الأرض.

وقال الحسن: كانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، وكانت لا تحمل البناء، فإذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا، فيتراعون كما تتراعى البهائم.

قلت: وهذه الأقوال تدل على أن لا مدنية هناك والله أعلم. وربما يكون منهم من يدخل في النهر. ومنهم من يدخل في السرب فلا تناقض بين قول الحسن وقتادة. (1)

وفي التفسير الكبير المسمى البحر المحيط لصاحبه أثير الدين أبو عبدالله محمد ابن يوسف الأندلسي:

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾، أي: طريقا إلى مقصده الذي يسر له. وقرأ الحسن وعيسى وابن محيصن (مطلع) بفتح اللام، ورويت عن ابن كثير وأهل مكة وهو القياس.

وقرأ الجمهور بكسرها وهو سماع في أحرف معدودة، وقياس كسره أن يكون المضارع تطلع بكسر اللام، وكان الكسائي يقول: هذه لغة ماتت في كثير من لغات العرب، يعني ذهب من يقول من العرب (تطلع) بكسر اللام وبقي (مطلع) بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس، والقوم هنا الزنج.

وقال قتادة هم الهنود وما وراءهم. والستر البنيان أو الثياب أو الشجر والجبال أقوال، والمعنى أنهم لا شيء لهم يسترهم من حر الشمس.

1- تفسير القرطبي.

وقيل: تنفذ الشمس سقوفهم وثيابهم فتصل إلى أجسامهم.

فقيل: إذا طلعت نزلوا الماء حتى ينكسر حرها، قاله الحسن وقتادة وابن جريج. وقيل: يدخلون أسرابا. وقال مجاهد: السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض.

قال ابن عطية: والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم، وفعلها بقدرة الله فيهم ونيلها منهم، ولو كانت لهم أسراب لكان سترا كثيفا انتهى. وقال بعض الرجاز:

بالزنج حر غيَّر الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا

وذلك إنما هو من قوة حر الشمس عندهم واستمرارها.

كذلك الإشارة إلى البلوغ، أي: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها. وقيل (أتبع سببا) كما (أتبع سببا). وقيل: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هؤلاء عند مطلع الشمس وحكم فيهم.

وقيل: كذلك أمرهم كما قصصنا عليكم. وقيل: ﴿تَطْلُعُ﴾ طلوعها مثل غروبها.

وقيل: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾، أي: مثل أولئك الذين وجدهم في مغرب الشمس، كفرة مثلهم، وحكمهم مثل حكمهم، في التعذيب لمن بقي على الكفر، والإحسان لمن آمن.

وقال الزمخشري: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيما لأمره. وقيل ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف.

وقال ابن عطية: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معناه فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب، وأخبر بقوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ثم أخبر تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف فيه من أفعاله، ويحتمل أن يكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ استئناف قول ولا يكون راجعا على الطائفة

الأولى فتأمله، والأول أصوب. وإذا كان مستأنفا لا تعلق له بما قبله فيحتاج إلى تقدير يتم به كلاما.

وبالجملة فهؤلاء القوم يسكنون الساحل ونميل إلى كونهم كما قال قتادة من الزنج أي السود الأفارقة ولا عجب أن يمر عليهم ذو القرنين في رحلته نحو المشرق أو أقصى المشرق حيث أقوام يأجوج ومأجوج والله أعلم.

ذكر يأجوج ومأجوج في القرآن والسنة النبوية

من أهم ما جاء في قصة ذي القرنين قصته مع أقوام يأجوج ومأجوج في مشرق الأرض، وقد ذكر الحق جل وعلا يأجوج ومأجوج في موضوعين من القرآن الكريم في سورة الكهف وسورة الأنبياء.

فجاء ذكرهم في معرض الحديث عن ذي القرنين وطوافه في الأرض في سورة الكهف في الآيات من 93 - 98 قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾

[الكهف: 93-98]

وفي سورة الأنبياء في الآية رقم 96:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[الأنبياء: 96]

والآية 96 من سورة الأنبياء تتحدث عن خروجهم الأخير آخر الزمان، وقد تعرضنا لقصتهم في كتابنا يأجوج ومأجوج من البدء إلى الفناء.(1)

وقد تعرضت السنة النبوية لملامح أقوام يأجوج ومأجوج وإزالة الكثير من الغموض

1- الناشر: دار الكتاب العربي.

وأجابت عن الكثير من الأسئلة عنهم ولكن هناك الأحاديث المنكرة والموضوعة التي نسبت إلى النبي ﷺ سنذكر بعضها للتوضيح.

وقد أشارت الأحاديث الصحيحة أنهم سيخرجون آخر الزمان وقد امتلكوا أسباب القوة وأن تعدادهم يفوق الحصر ولا يمكن السيطرة عليهم حتى يدعوا عليهم سيدنا عيسى عليه السلام فيهلكهم الله تعالى، وقد ورد في بعض الروايات أن المسلمين سيوقدون من أقواسهم وسهامهم وتروسهم سبع سنين، روى ذلك ابن ماجه عن رسول الله ﷺ.

وكذلك روى النبي في صحيحه أن الله عز وجل يقول لآدم يوم القيامة أخرج بعث النار؟ فيقول: وما بعث النار؟

فيقول الله: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، ففزع الصحابة رضي الله عنهم، وقالوا: يا رسول الله وأينا الواحد؟

فقال: أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً.

وكذلك أوضحت الأحاديث النبوية كيفية خروجهم آخر الزمان، وأن خروجهم من علامات الساعة العشر الكبرى، فقال ﷺ: «لن تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج..) رواه أبو داود.

وروي أنه دخل - ﷺ - على زوجته زينب بنت جحش - رضي الله عنها - فزعا وهو يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من سد «يأجوج ومأجوج» مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت له زينب: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث).(1)

وفي رواية: «فقال أبشروا فإن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه». أي: غلبتاه كثرة، وهذا يدل على كثرتهم، وأنهم أضعاف الناس مرارا عديدة، ثم هم من ذرية نوح،

1- رواه البخاري في صحيحه.

لأن الله تعالى أخبر أنه استجاب لعبده نوح في دعائه على أهل الأرض بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧].

وجاء في الحديث النبوي الصحيح: أن نوحا ولد له ثلاثة، وهم: سام، وحام، ويافث، فسام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك؛ فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك، وهم مغل المغول، وهم أشد بأسا وأكثر فسادا من هؤلاء، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلى غيرهم.

وقد قيل: إن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد وألجأ يأجوج ومأجوج إلى ما وراءه، فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم كفسادهم، فتركوا من ورائه، فلهذا قيل لهم: الترك.(1)

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية:

ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم، فاختلطت بتراب، فخلقوا من ذلك، وأنهم ليسوا من حواء، فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في شرح مسلم وغيره وضعفوه، وهو جدير بذلك، إذ لا دليل عليه، بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن.

وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة جدا؛ فمنهم من هو كالنخلة السحوق، ومنهم من هو غاية في القصر، ومنهم من يفترش أذنا من أذنيه ويتغطى بالأخرى، فكل هذه أقوال بلا دليل، ورجم بالغيب بغير برهان، والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم.

1- البداية والنهاية لابن كثير.

وقد قال النبي ﷺ:

«إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا» ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن.

وهذا فيصل في هذا الباب وغيره. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفا.

فإن صح في خبر قلنا به، وإلا فلا نرده، إذ يحتمله العقل والنقل أيضا قد يرشد إليه، والله أعلم.

بل قد ورد حديث مصرح بذلك إن صح، قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن محمد ابن العباس الأصبهاني، حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا المغيرة، عن مسلم، عن أبي إسحاق، عن وهب بن جابر، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال:

«إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معائشهم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، وإن من ورائهم ثلاث أمم: تاويل، وتاريس، ومنسك».

(وهو حديث غريب جدا، وإسناده ضعيف، وفيه نكارة شديدة).

وأما الحديث الذي ذكره ابن جرير في تاريخه أن رسول الله ﷺ ذهب إليهم ليلة الإسراء، فدعاهم إلى الله فامتنعوا من إجابته ومتابعته، وأنه دعا تلك الأمم التي هناك (تاريس، وتاويل، ومنسك) فأجابوه، فهو حديث موضوع، اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح، أحد الكذابين الكبار الذين اعترفوا بوضع الحديث، والله أعلم.

فإن قيل: فكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فداء المؤمنين يوم القيامة، وأنهم في النار ولم يبعث إليهم رسل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فالجواب أنهم لا يعذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والإعذار إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فإن كانوا في زمن الذي قبل بعث محمد ﷺ قد أتتهم رسل منهم، فقد قامت على أولئك الحجة، وإن لم يكن قد بعث الله إليهم رسلا فهم في حكم أهل الفترة ومن لم تبلغه الدعوة.

وقد دل الحديث المروي من طرق عن جماعة من الصحابة، عن رسول الله ﷺ:

«إن من كان كذلك، يمتحن في عرصات القيامة، فمن أجاب الداعي دخل الجنة، ومن أبى دخل النار».

وقد أوردنا الحديث بطرق وألفاظه وكلام الأئمة عليه عند قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري إجماعا عن أهل السنة والجماعة، وامتحانهم لا يقتضي نجاتهم، ولا ينافي الأخبار عنهم بأنهم من أهل النار، لأن الله يطلع رسوله ﷺ على ما يشاء من أمر الغيب.

وقد أطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء، وأن سجاياهم تأبى قبول الحق والانقياد له، فهم لا يجيبون الداعي إلى يوم القيامة، فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكذيبا للحق في الدنيا لو بلغهم فيها، لأن في عرصات القيامة ينقاد خلق ممن كان مكذبا في الدنيا، فإيقاع الإيمان هناك لما يشاهد من الأهوال أولى وأحرى منه في الدنيا، والله أعلم.

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

وقال تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨].

وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله ﷺ «دعاهم ليلة الإسراء فلم يجيبوا».

فإنه حديث منكر بل موضوع، وضعه عمرو بن الصبح.

وأما السد: فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس، وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال، فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم.

قال الإمام البخاري رحمه الله: «قال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد مثل البرد المُحبر. قال رأيتَه».

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله كما في البداية والنهاية:

قال البخاري: «وقال رجل للنبي ﷺ رأيت السد قال وكيف رأيته قال مثل البرد المحبر فقال رأيته هكذا ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم وأراه مسنداً من وجه متصل أرتضيه، غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسلاً، فقال حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذُكر لنا أن رجلا قال: يا رسول الله قد رأيتُ سد يأجوج ومأجوج قال: انعته لي قال: كالبرد المحبر، طريقة سوداء، وطريقة حمراء. قال قد رأيته.

قال ابن حجر في فتح الباري:

وصله بن أبي عمر، من طريق: «سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن رجل من أهل المدينة، أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله قد رأيتُ سد يأجوج ومأجوج. قال: كيف رأيته؟ قال مثل البرد المحبر، طريقة حمراء، وطريقة سوداء. قال: قد رأيته» ورواه الطبراني، من طريق: «سعيد بن بشير، عن قتادة، عن رجلين، عن أبي بكرة: أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال...» فذكر نحوه، وزاد فيه زيادة منكرة، وهي: «والذي نفسي بيده، لقد رأيته ليلة أسري بي، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة». وأخرجه البزار، من طريق: يوسف بن أبي مريم الحنفي، عن أبي بكرة ورجل رأى السد. فساقه مطولا».

وقال الذهبي رحمه الله كما في «تاريخ الإسلام»:

عن أبي بكرة الثقفي: أن «رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: إني قد رأيت السد. قال: كيف رأيته؟ قال: رأيته كالبرد المحبر». رواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مرسلا، وزاد: «طريقة سوداء، وطريقة حمراء، قال: قد رأيته». قلت: يريد حمرة النحاس، وسواد الحديد».

وذكر ابن خلدون في المقدمة أن حاكما من الحكام بنى في المشرق سدا يشبه السد الذي بناه ذو القرنين.

حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر من خلفاء بني العباس إلى بلغار، قال: لما دخلت بلغار سمعت أن عندهم رجلا عظيم الخلقة، فسألت الملك عنه فقال: نعم، ما كان من بلادنا ولكن قوما خرجوا إلى نهر أثل (وهو نهر عظيم في بلاد الخزر، ويقارب دجلة، ومجيئه من أرض الروس وبلغار ومصبه في بحر الخزر) وكان قد مد وطغى، ثم أتوا وقالوا أيها الملك إنه قد طفى على وجه الماء رجل كأنه من أمة بالقرب منا، فإن كان ذاك فلا مقام لنا. فركبت معهم حتى سرت إلى النهر فإذا برجل طوله اثنا عشر ذراعا ورأسه كأكبر ما يكون من القدور، وأنفه نصف ذراع وعيناه عظيمتان، وكل أصبع أطول من شبر. فأخذنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر إلينا. فحملته إلى مكاني وكتبت إلى وارسو كتابا وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر أستخبرهم عن أمره، فعرفوني أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج وقالوا: إن البحر يحول بيننا وبينهم. فأقام بين أظهرنا مدة، ثم اعتل فمات.(1)

قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري:

قال رجل للنبي ﷺ: «رأيت السد مثل البرد المحبر قال رأيته هذا».

التعليق وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد عن قتادة عن رجل من أهل المدينة، أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله! قد رأيت سد يأجوج ومأجوج! قال: كيف رأيته؟

قال: مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء.

ورواه الطبراني من طريق سعيد عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة: أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال، فذكر نحوه.

وأخرجه البزار من طريق يوسف بن أبي مريم الحنفي عن أبي بكرة: أن رجلا رأى السد.. فساقه مطولا.

وأخرجه ابن مردويه أيضا في (تفسيره) عن سليمان بن أحمد: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى حدثنا أبو الجماهير حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة الثقفي: أن رجلا أتى رسول الله، ﷺ، فقال: يا رسول الله إني قد رأيته، يعني السد، فقال: كيف هو؟

1- انظر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي؛ ومعجم البلدان ياقوت الحموي.

قال: كالبرد المحبر.

قال: قد رأيته؟

قال: وحدثنا قتادة أنه قال: طريقة حمراء من نحاس وطريقة سوداء من حديد.

وقوله: (مثل البرد)، بضم الباء: هو نوع من الثياب معروف، والجمع: أبراد وبرود، والبردة: الشملة المخططة.

قوله: (المحبر)، بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة: وهو خط أبيض وخط أسود أو أحمر.

قوله: (قال: رأيتَه؟) أي: رأيتَه صحيحا وأنت صادق في ذلك.

وقال نعيم بن حماد في (كتاب الفتن): حدثنا مسلمة بن علي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال رجل: يا رسول الله! قد رأيت الردم، وأن الناس يكذبونني. فقال: كيف رأيته؟ قال: رأيته كالبرد المحبر. قال: صدقت، والذي نفسي بيده لقد رأيته ليلة الإسراء، لبنة من ذهب ولبنة من رصاص.

وقال الحوفي في (تفسيره): بعد ما بين الجبلين مائة فرسخ، فلما أخذ ذو القرنين في عمله حفر له أساسا حتى بلغ الماء، وجعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس المذاب، فبقي كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس، فصار كأنه برد محبر.

وجاء في تفسير الدر المنثور بالمأثور (جلال الدين السيوطي متوفى سنة 911هـ):

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة، عن ابن جريج في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف: 90] الآية. قال: حدثت عن الحسن عن سمرة بن جندب... قال: «قال النبي ﷺ: ﴿لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾ [الكهف: 90] أنها لم يبن فيها بناء قط، كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس».

وأخرج الطيالسي والبزار في أماليه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الحسن

في قوله: ﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: 90] قال: أرضهم لا تحتمل البناء، فإذا طلعت الشمس تغور في المياه، فإذا غابت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم. ثم قال الحسن: هذا حديث سمرة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: ذكر لنا أنهم بأرض لا يثبت لهم فيها شيء، فهم إذا طلعت دخلوا في أسراب حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعايشهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل في الآية قال: ليست لهم أكنان، إذا طلعت الشمس طلعت عليهم، ولأحدهم أذنان يفترش واحدة ويلبس الأخرى.(1)

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ الآية. قال: يقال لهم الزنج.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في الآية قال: تطلع على قوم حمر قصار، مساكنهم الغيران، فيلقى لهم سمك أكثر معيشتهم.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن مجاهد في قوله: ﴿بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ قال: علما.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قال: الجبلين، أرمينية وأذربيجان.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قال: الترك.

وأخرج سعيد بن منصور عن تميم بن جذيم، أنه كان يقرأ ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة، فسد ذو القرنين على إحدى وعشرين قبيلة وترك قبيلة، وهم الأتراك.

وأخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب، أنه سئل عن الترك فقال: هم سيارة ليس

1- وهذا الأثر لا يصح.

لهم أصل، هم من يأجوج ومأجوج، لكنهم خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم، فذهبوا سيارة في الأرض.

وأخرج ابن المنذر عن حسان بن عطية قال: إن يأجوج ومأجوج خمس وعشرون أمة، ليس منها أمة تشبه الأخرى.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي المثنى الأملوكي قال: إن الله ذرأ لجهنم يأجوج ومأجوج، لم يكن فيهم صديق قط ولا يكون أبدا.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر والطبراني والبيهقي في البعث وابن مردويه وابن عساكر، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا، وإن من ورائهم ثلاث أمم: تاويل وتاريس ومنسك».

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار،» عن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة بأربعمائة أمة... لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كل قد حمل السلاح. قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأَرز. قلت: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء. قال رسول الله ﷺ: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية». (حديث لا يصح رفعه).

وأخرج نعيم بن حماد في الفتن وابن مردويه بسند واه، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثني الله ليلة أسري بي إلى يأجوج ومأجوج، فدعوتهم إلى دين الله وعبادته فأبوا أن يجيبوني، فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس».(1)

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي بكر النسفي، أن رجلا قال: «يا رسول الله،

1- وهذا حديث لا يصح وقد ذكرنا تخريجه.

قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال: انعته لي. قال: كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة سوداء. قال: قد رأيته».

وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستفتحونه غدا ولا يستثني. فإذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان، فإذا أراد الله بخروجهم على الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه إن شاء الله - ويستثني - فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء قسوة وعلوا. فيبعث الله عليهم نغفا في أعناقهم فيهلكون.

قال رسول الله ﷺ: فو الذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكرا من لحومهم».(1)

وأخرج البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله... ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق - قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: نعم، إذا كثر الخبث».

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وعقد بيده تسعين».

1- والحديث فيه نكارة وإن صح سنده.

الردم أو السد الذي بناه ذو القرنين لمنع غارات يأجوج ومأجوج على سكان الأرض

من أعمال ذي القرنين الباقية إلى قرب قيام الساعة هو ذلك الردم أو السد الذي أقامه بناء على طلب قوم استنجدوا به لينقذهم من هجوم يأجوج ومأجوج عليهم.

فهل ما فعله ذو القرنين يعتبر سدًّا أم ردماً؟

نعود إلى النص القرآني: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94].

طلب هؤلاء القوم من ذي القرنين إقامة سد يحجز بينهم وبين يأجوج ومأجوج، فماذا كان رد ذي القرنين عليهم؟

قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف: 95-97].

فهم طلبوا إقامة السد وهو أشار عليهم بعمل الردم، وكلاهما يحجز بينهم وبين يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض، وجاء في الحديث النبوي الصحيح قوله ﷺ «فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وعقد التسعين....». (1)

وفي حديث وصف السد حين قال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال: كيف رأيته؟ قال: مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء. (2)

1- الحديث في البخاري ومسلم.

2- سبق ذكره وتخريجه.

فجاء وصف ما فعله ذو القرنين في قول النبي صلى الله عليه و سلم أنه ردم، وجاء في وصف الصحابي أنه سد، والحقيقة أن ذا القرنين قد أقام ردماً كما وصف ذلك في القرآن الكريم وهذا الردم هو سد منيع يمنع خروج يأجوج ومأجوج إلى أن يأذن الله.

ومما جاء في تفسير جلال الدين السيوطي[1] (المتوفى 911هـ) لمن بناء السد:

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: ما صنع الله فهو السد، وما صنع الناس فهو السد.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ قال: الذي أعطاني ربي هو خير من الذي تبذلون لي من الخراج.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ قال: هو كأشد الحجاب.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قال: قطع الحديد.

وأخرج الطستي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، أن نافع بن الأزرق قال: أخبرني عن قوله ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قال: قطع الحديد. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت كعب بن مالك ﷺ وهو يقول:

تلظى عليهم حين شد حميمها بزبر الحديد والحجارة شاجر

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ قال: الجبلين.

وأخرج سعيد بن منصور عن إبراهيم النخعي، أنه كان يقرأ ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بفتحتين، قال: يعني بين الجبلين.

وأخرج سعيد بن منصور عن الحسن، أنه كان يقرأ (بين الصُّدُفين) بضمتين.

1- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن مجاهد في قوله: ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ قال: رأس الجبلين.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿قِطْرًا﴾ قال: النحاس.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر، عن مجاهد في قوله: ﴿قِطْرًا﴾ قال: نحاسا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ قال: نحاسا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ قال: نحاسا ليلزم بعضه بعضا.

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ قال: ما استطاعوا أن يرتقوه.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم، عن ابن جريج في قوله: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ يقول: أن يعلوه ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ قال: من أسفله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ قال: جعله طريقا كما كان.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ قال: لا أدري الجبلين يعني به أم ما بينهما.

وأخرج سعيد بن منصور عن الربيع، أنه كان يقرأ ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ ممدودا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: قال علي بن أبي طالب، إن يأجوج ومأجوج خلف السد، لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف لصلبه، وهم يغدون كل يوم على السد فيلحسونه وقد جعلوه مثل قشر البيض، فيقولون: نرجع غدا ونفتحه، فيصبحون وقد عاد إلى ما كان عليه قبل أن يلحس، فلا يزالون كذلك حتى يولد فيهم مولود مسلم، فإذا غدوا يلحسون قال لهم: قولوا بسم الله، فإذا قالوا بسم الله فأرادوا أن يرجعوا حين

يمسون، فيقولون: نرجع غدا فنفتحه. فيصبحون وقد عاد إلى ما كان عليه فيقول: قولوا إن شاء الله. فيقولون: إن شاء الله. فيصبحون وهو مثل قشر البيض فينقبونه فيخرجون منه على الناس، فيخرج أول من يخرج منهم سبعون ألفا عليهم التيجان، ثم يخرجون من بعد ذلك أفواجا فيأتون على النهر مثل نهركم هذا - يعني الفرات - فيشربونه حتى لا يبقى منه شيء، ثم يجيء الفوج منهم حتى ينتهوا إليه فيقولون: لقد كان ههنا ماء مرة، وذلك قول الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ والدك، التراب ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن كعب قال: إن يأجوج ومأجوج ينقرون السد بمناقرهم، حتى إذا كادوا أن يخرقوه قالوا: نرجع إليه غدا فنفرغ منه، فيرجعون إليه وقد عاد كما كان، فيرجعون فهم كذلك، وإذا بلغ الأمر ألقي على بعض ألسنتهم يقولون: نأتي إن شاء الله غدا، فنفرغ منه فيأتونه وهو كما هو فيخرقونه فيخرجون، فيأتي أولهم على البحيرة فيشربون ما كان فيها من ماء، ويأتي أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من الطين، ويأتي آخرهم عليها فيقولون: قد كان ههنا مرة ماء. فيرمون بسهامهم نحو السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون: قهرنا من في الأرض وظهرنا على من في السماء، فيدعو عليهم عيسى ابن مريم فيقول:

اللهم لا طاقة لنا بهم ولا يد، فاكفناهم بما شئت. فيبعث الله عليهم دودا يقال له النغف، فيأخذهم في أقفائهم فيقتلهم حتى تنتن الأرض من ريحهم، ثم يبعث الله عليهم طيرا فتنقل أبدانهم إلى البحر، ويرسل الله إليهم السماء أربعين يوما فينبت الأرض، حتى أن الرمانة لتشبع أهل البيت.

وأخرج ابن المنذر عن كعب قال: عرض أسكفة يأجوج ومأجوج التي تفتح لهم أربعة وعشرون ذراعا تحفيها حوافر خيلهم، والعليا اثنا عشر ذراعا تحفيها أسنة رماحهم.

وأخرج ابن المنذر عن عبدالله بن عمرو قال: إذا خرج يأجوج ومأجوج، كان عيسى ابن مريم في ثلثمائة من المسلمين في قصر بالشام، يشتد عليهم أمرهم فيدعون الله أن يهلكهم فيسلط عليهم النغف فتنتن الأرض منهم، فيدعون الله أن يطهر الأرض منهم

فيرسل الله مطرا فيسيل منهم إلى البحر، ثم يخصب الناس حتى أن العنقود يشبع منه أهل البيت.

وأخرج ابن جرير والحاكم وصححه، عن عبدالله بن عمرو قال: يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة، ويمر آخرهم فيقول: قد كان في هذا النهر مرة ماء، ولا يموت رجل إلا ترك ألفا من ذريته فصاعدا، ومن بعدهم ثلاثة أمم ما يعلم عدتهم إلا الله: تاريس وتاويل وناسك أو منسك.

وأخرج أبو يعلَى والحاكم وصححه وابن عساكر، عن أبي هريرة» عن النبي ﷺ في السد قال: يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا... فستخرقونه غدا. قال: فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله - واستثنى - فيرجعون وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس فيسقون المياه، وينفر الناس منهم فيرمون سهامهم في السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون: قهرنا أهل الأرض وغلبنا من في السماء قسوة وعلوا، فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فيهلكهم.

قال: «والذي نفسي بيده، إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكرا من لحومهم».

وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران أحدهما نار تأجج في عين من رآه، والآخر ماء أبيض فإن أدركه أحد منكم فليغمض ويشرب من الذي يراه نارا فإنه ماء بارد، وإياكم والآخر فإنه الفتنة، واعلموا أنه مكتوب بين عينيه «كافر» يقرؤه من يكتب ومن لا يكتب، وإن إحدى عينيه ممسوحة عليها ظفرة، إنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن على ثنية أفيق، وكل أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن، وأنه يقتل من المسلمين ثلثا ويهزم ثلثا ويبقى ثلث ويجن عليهم الليل فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون أن تلحقوا إخوانكم في مرضاة ربكم؟ من كان عنده فضل طعام فليغد به على أخيه، وصلوا حتى ينفجر الفجر، وعجلوا الصلاة، ثم أقبلوا على عدوكم.

فلما قاموا يصلون، نزل عيسى ابن مريم أمامهم فصلى بهم، فلما انصرف قال: هكذا فرجوا بيني وبين عدو الله فيذوب، وسلط الله عليهم من المسلمين فيقتلونهم، حتى أن الشجر والحجر لينادي: يا عبدالله، يا عبد الرحمن... يا مسلم، هذا يهودي فاقتله. فيقتلهم الله وينصر المسلمون فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير ويضعون الجزية، فبينما هم كذلك أخرج الله يأجوج ومأجوج، فيشرب أولهم البحيرة ويجيء آخرهم وقد انتشفوه ولم يدعوا فيه قطرة فيقولون: ظهرنا على أعدائنا، قد كان ههنا أثر ماء.

فيجيء نبي الله وأصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين يقال لها «لد» فيقولون: ظهرنا على من في الأرض، فتعالوا نقاتل من في السماء، فيدعو الله نبيه عند ذلك فيبعث الله عليهم قرحة في حلوقهم فلا يبقى منهم بشر، فيؤذي ريحهم المسلمين فيدعو عيسى، فيرسل الله عليهم ريحا فتقذفهم في البحر أجمعين».

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي الزاهرية قال: قال رسول الله ﷺ: «مقفل المسلمين من الملاحم دمشق، ومقفلهم من الدجال بيت المقدس، ومقفلهم من يأجوج ومأجوج بيت الطور على الناس».

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: 99] قال: ذلك حين يخرجون على الناس.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ قال: هذا أول يوم القيامة، ثم ينفخ في الصور على أثر ذلك.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق هارون بن عنترة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ قال: الجن والإنس يموج بعضهم في بعض.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن هرون بن عنترة، عن شيخ من بني فزارة في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ قال: إذا ماج الجن والإنس بعضهم في بعض،

قال إبليس: أنا أعلم لكم علم هذا الأمر، فيظعن إلى المشرق فيجد الملائكة قد نطقوا الأرض، ثم يظعن إلى المغرب فيجد الملائكة قد نطقوا الأرض، ثم يظعن يمينا وشمالا حتى ينتهي إلى أقصى الأرض فيجد الملائكة قد نطقوا الأرض فيقول: ما من محيص، فبينما هو كذلك إذ عرض له طريق كأنه شواظ، فأخذ عليه هو وذريته.

فبينما هو كذلك إذ هجم على النار فخرج إليه خازن من خزان النار فقال: يا إبليس، ألم تكن لك المنزلة عند ربك؟ ألم تكن في الجنان؟ فيقول: ليس هذا يوم عتاب، لو أن الله افترض علي عبادة لعبدته عبادة لم يعبده أحد من خلقه. فيقول: إن الله قد فرض عليك فريضة. فيقول: ما هي؟ فيقول: يأمرك أن تدخل النار. فيتلكأ عليه فيقول به وبذريته بجناحه فيقذفهم في النار، فتزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه.

وجاء في تفسير التفسير الكبير (للإمام الطبراني متوفى سنة 360هـ):

من تفسير قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف: 89، 99].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي سلك طريقا آخر نحو المشرق. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾؛ أي حتى إذا انتهى إلى آخر العمارة من جهة المشرق وجد عند الشمس قوما لم يكن لهم جبل ولا شجر ولا شيء يسترهم عن الشمس. قال لكلبي: (معناه حفاة عراة يفترش أحدهم أذنه ويلبس الأخرى).

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [الكهف: 92، 93].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾؛أي ثم أتبع سببا ثالثا مما يبلغه

قطرا من أقطار الأرض، وقيل: أتبع سببا: حتى إذا بلغ طريقا من المشرق نحو الروم، وحتى إذا بلغ بين الجبلين الذين جعلوا الردم بينهما، وهما السدان.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (السدين) بفتح السين، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾؛ الجبلين، ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾؛ أي لا يكادون يفقهون قول غيرهم، ولا يعرفون لغة غيرهم.

قرأ حمزة والكسائي وخلف (يُفْقِهون) بضم الياء وكسر القاف، ومعناه: لا يكادون يفقهون أحدا قولا. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (لا يفقهون كلام أحد، ولا أحد يفهم كلامهم).

﴿قَالُوا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي قالوا بإشارة أو ترجمان؛ لأنه قد تقدم أنهم لا يفقهون قولا، إن يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان من أولاد يافث بن نوح مفسدون في الأرض؛ أي يفسدون أموال الناس؛ لأنهم كانوا أهل بغي وظلم. قال الكلبي: (كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء الذين شكوهم إلى ذي القرنين أيام الربيع فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه، ولا يابسا إلا احتملوه).

وعن عبدالله قال: سألت النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج، قال: «يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» قلنا: يا رسول الله! صفهم لنا؟ قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم طول الرجل منهم مائة وعشرون ذراعا، وصنف طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع أيضا، وهم الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش كل واحد منهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا جمل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، لهم مخالب في أيديهم وأضراس كأضراس السباع، وأنياب يسمع لها حركة

كحركة الجرس في حلوق الإبل، ولهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقى منه الحر والبرد، يعوون عوي الذئاب، ويتسافدون كتسافد البهائم إذا التقوا».

قال وهب: (يشربون ماء البحر ويأكلون دوابها، ويأكلون الخشب والشجر، ومن ظفروا به من الناس أكلوه). وقال كعب: (هم زيادة في ولد آدم، وذلك أن آدم احتلم ذات يوم فامتزجت نطفته في التراب، فخلق الله من ذلك يأجوج ومأجوج، فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم). (لا يصح)

وقال ابن عباس: (هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء). وقيل: إن الترك منهم إلا أن أولئك أشد فسادا من الترك، فتباعدوا عن الناس، كما ينعزل اللصوص. ويأجوج ومأجوج اسمان أعجميان لا ينصرفان؛ لأنهما علمان.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: 94]؛ أي قالوا هل نجعل لك بعضا من أموالنا ضربته في كل سنة على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزا وسدا. والردم هو السد. وردمت الباب؛ أي سددته، والخرج والخراج واحد.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 95].

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾؛ أي قال لهم ذو القرنين: ما مكني الله من الاتساع في الدنيا خير من خراجكم الذي تبذلونه لي، يريد ما أعطاني الله وملكني أفضل من عطيتكم. قوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾؛ أي الرجال والآلات، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾؛ الردم أشد الحجاب، وهو أكبر من السد.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: 96].

قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾؛ والزبرة القطعة العظيمة، فأتوه بها فبناه، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾؛ أي حتى إذا ملأ ما بين الجبلين، وسماهما صدفين؛ لأنهما يتصادفان، أي يتقابلان، فلما وضع بينهما الحديد وجعل «بين» كل قطعتي حديد حطبا حتى ملأ

ما بين الجبلين، فأمر بالنار فأرسلت فيه، و ﴿قَالَ﴾؛ للحدادين: ﴿ٱنفُخُواْ﴾؛ بالمنافيخ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾؛ أي حتى إذا صار الحديد كالنار، ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ﴾؛ أي أعطوني قطرا، ﴿أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾؛ وهو النحاس الذائب أصبه على الحديد والحطب فيتقطر كما يتقطر الماء، ففعل حتى إذا جعل بعضه في بعض، فصار الجميع شيئا واحدا جبلا صلدا من حديد ونحاس. قيل إنه حفر له الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم ملأه وشرفه.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا﴾ [الكهف : 97].

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبًا﴾؛ أي ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وملاسته، وما قدروا أن ينقبوه من أصله؛ لشدته وصلابته.

وعن أبي هريرة: «أن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، ثم يقولون: نرجع إلى غد ونجيء أيضا نحفره، فيأتونه غدا وقد أعاده الله كما كان قبل أن يحفروه».

﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الكهف : 98].

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي قال لهم ذو القرنين لما فرغ من بنائه، هذا التمكين الذي أدركت به السد رحمة من ربي من حيث ألهمني وقواني، ونعمة من ربي عليكم، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾؛ أي وقت اشتراط الساعة جعل السد كسرا. ومن قرأ ﴿دَكَّآءَ﴾ فمعناه أرضا منبسطة، يقال: ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام، ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾؛ أي كان تقديره لخروجهم صدقا كائنا.

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان:

عن سد يأجوج ومأجوج:

ومن مشهور الأخبار حديث سلام الترجمان قال: «إن الواثق بالله -الخليفة العباسي- رأى في المنام أن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج مفتوح؛ فأرعبه

هذا المنام فأحضرني، وأمرني بقصده والنظر إليه والرجوع إليه بالخبر».

فضم إلي خمسين رجلا، ووصلني بخمسة آلاف دينار وأعطاني ديني عشرة آلاف درهم ومائتي بغل، تحمل الزاد والماء.

قال: فخرجنا من (سر من رأى) بكتاب منه إلى إسحاق بن إسماعيل، صاحب أرمينية، وهو بتفليس؛ يؤمر فيه بإنفاذنا وقضاء حوائجنا، ومكاتبة الملوك الذين في طريقنا بتيسيرنا؛ فلما وصلنا إليه قضى حوائجنا.

وكتب إلى صاحب السرير، وكتب لنا صاحب السرير إلى ملك اللان، وكتب ملك اللان إلى فيلانشاه، وكتب لنا فيلانشاه إلى ملك الخزر، فوجه ملك الخزر معنا خمسة من الأدلاء.

فسرنا ستة وعشرين يوما، فوصلنا إلى أرض سوداء، منتنة الرائحة، وكنا قد حملنا معنا خلا لنشمه من رائحتها بإشارة الأدلاء فسرنا في تلك الأرض عشرة أيام، ثم صرنا إلى مدن خراب، فسرنا فيها سبعة وعشرين يوما، فسألنا الأدلاء عن سبب خراب تلك المدن؛ فقالوا خربها يأجوج ومأجوج.

ثم صرنا إلى حصن بالقرب من الجبل الذي السد في شعب منه، فجزنا بشيء يسير إلى حصون أخر، فيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية، وهم مسلمون يقرؤون القرآن، ولهم مساجد وكتاتيب.

فسألونا من أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟

فأخبرناهم أنا رسل أمير المؤمنين؛ فأقبلوا يتعجبون من قولنا، ويقولون: أمير المؤمنين؟!؛ فنقول: نعم، فقالوا: أهو شيخ أم شاب، قلنا: شاب، قالوا: وأين يكون؟، قلنا: بالعراق، في مدينة يقال لها: سر من رأى، قالوا: ما سمعنا بهذا قط.

ثم ساروا معنا إلى جبل أملس، ليس عليه من النبات شيء، وإذا هو مقطوع بواد

عرضه مائة وخمسون ذراعا، وإذا عضادتان مبنيتان مما يلي الجبل، من جنبي الوادي، عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا، الظاهر من تحتها عشرة أذرع خارج الباب، وكله مبني بلبن حديد، مغيب في نحاس، في سمك خمسين ذراعا، وإذا درونك حديد طرفاه في العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا، قد ركب على العضادتين على كل واحد مقدار عشرة أذرع، في عرض خمسة أذرع، وفوق الدرونك بناء بذلك اللبن الحديد والنحاس إلى رأس الجبل، وارتفاعه مد البصر، وفوق ذلك شرف حديد في طرف كل شرفة قرنان بنثني كل واحد إلى صاحبه، وإذا باب حديد بمصراعين مغلقين عرض كل مصراع ستون ذراعا في ارتفاع سبعين ذراعا، في سُخن خمسة أذرع وقائمتاها في دوارة على قدر الدرونك، وعلى بابه قفل طوله سبعة أذرع، غلظ باع وارتفاع القفل من الأرض خسمة وعشرون ذراعا، وفوق القفل نحو خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل، وعلى الغلق مفتاح معلق طوله سبعة أذرع، له أربع عشرة دندانكة، أكبر من دستج الهاون، معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع، في استدارة أربعة أشبار، والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق، وارتفاع عتبة الباب عشرة أذرع، في بسط مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين، والظاهر منها خمسة أذرع، وهذا الذرع كله بذراع السواد، ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس، مع كل فارس مرزبة حديد، فيجيئون إلى الباب، ويضرب كل واحد منهم القفل والباب ضربات كثيرة ليسمع من وراء الباب ذلك، فيعلموا أن هناك حفظة، ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثا، وإذا ضربوا الباب وضعوا آذانهم؛ فيسمعون من وراء الباب دويا عظيما، وبالقرب من السد حصن كبير يكون فرسخا في مثله يقال أنه يأوي إليه الصناع، ومع الباب حصنان، يكون كل واحد منهما مائتي ذراع، في مثلها، وعلى بابي هذين الحصنين شجر كبير، لا يدرى ما هو، وبين الحصنين عين عذبة، وفي أحدهما آلة البناء التي بني بها السد، من القدور، الحديد والمغارف، وهناك بقية من اللبن الحديد، قد التصق بعضه ببعض من الصدإ، واللبنة ذراع ونصف في سمك شبر.

وسألنا من هناك: هل رأوا أحدا من يأجوج ومأجوج؟؟

فذكروا أنهم رأوا منهم مرة عددا فوق الشرف، فهبت ريح سوداء فألقتهم إلى جانبنا؛ فكان مقدار الواحد منهم في رأي العين شبرا ونصفا، فلما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء نحو خراسان، فسرنا حتى خرجنا خلف سمرقند بسبعة فراسخ.

قال: وكان بين خروجنا من سر من رأى إلى رجوعنا إليها ثمانية عشر شهرا.

قال ياقوت: قد كتبت من خبر السد ما وجدته في الكتب، ولست أقطع بصحة ما أوردته لاختلاف الروايات فيه، والله أعلم بصحته.

وعلى كل حال فليس في صحة أمر السد ريب، وقد جاء ذكره في الكتاب العزيز».

موقع سد، أو ردم يأجوج ومأجوج

موقع الردم الذي بناه ذو القرنين اختلف المؤرخون في تحديد مكانه، منهم من قال: **إنه سد الصين العظيم وهذا قول لا يصح تاريخيًّا.**

ومنهم من قال إنه في سيبريا ومنهم من قال أنه في أرمنيا.

روى الإمام محمد بن جرير الطبري بسنده عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس في قوله: حتى إذا بلغ بين السدين، قال الجبلين: الردم الذي بين يأجوج ومأجوج، أمتين من وراء ردم ذي القرنين، قال الجبلان: أرمينية وأذربيجان.

وجاء في كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار - لمحمد بن عبدالمنعم الحميري:

ذكر ابن عفير، أن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما-، أرسل خمسة وعشرين رجلا، إلى سد يأجوج ومأجوج، ينظرون كيف هو، وكتب إلى ملك الخزر، أن يجوزهم إلى من خلفه، وأهدى إليهم هدايا، ففعل حتى انتهوا إلى الجبلين، فرأوا بينهما مثل البصيص، وهو بريق الصفر في الحديد، وسمعوا جلبة من داخل السور، ورأوا درجا يرقى فيه إلى أعلاه، فصعد فيه رجل منهم، فلما بلغ وسطه تحير فسقط فمات، وانصرفوا بقطعة مسحاة وجدوها عند السد.

وقال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة: حدثني سلام الترجمان، أن الواثق بالله - الخليفة العباسي - رأى في منامه، أن سد يأجوج ومأجوج قد انفتح، فدعاني وقال: اخرج إلى السد وعاينه، وجئني بخبره. وضم إلي خمسين رجلا، وأعطانا ما يلزمنا، فشخصنا إلى صاحب إرمينية بتفليس، فكتب لنا إلى صاحب السرير، وكتب لنا صاحب السرير إلى ملك اللان، وكتب لنا ملك اللان إلى فيلان شاه، وكتب لنا فيلان شاه إلى طرخان ملك الخزر، فوجه معنا خمسة أدلاء، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوما، فانتهينا

إلى أرض سوداء منتنة، ثم صرنا إلى مدن خراب، كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها فخربوها، ثم صرنا إلى مدينة إيكة، التي كان ينزلها ذو القرنين بعسكره، ثم صرنا إلى جبل عال عليه حصن، والسد الذي بناه ذو القرنين، هو فج بين جبلين عرضه مائتا ذراع، فحفر أساسه ثلاثين ذراعا إلى أسفل، وبناه بالحديد والنحاس، ثم رفع عضادتين مما يلي الجبل، من جنبتي الفج، عرض كل عضادة خمس وعشرون ذراعا، في سمك خمسين ذراعا، وكله بناء يلبن من حديد مغيب في نحاس، وارتفاعه مد البصر، وفوق ذلك شرف حديد، وبه باب حديد، له مصراعان معلقان، عرض كل مصراع خمسون ذراعا، في ارتفاع خمس وسبعين ذراعا، في ثخن خمس أذرع، وعلى الباب قفل طوله سبع أذرع، في غلظ باع، ومع الباب حصنان، وفي أحد الحصنين آلة البناء، التي بني بها السد، من القدور الحديد، والمغارف الحديد، وبقية من اللبن الحديد، قد التزق بعضه ببعض من الصدأ، وبتلك الحصون حفظة، على عنق كل رجل مرزبة، فيضرب القفل بها ضربة في أول النهار، وفي العصر، ثم يقعدون إلى مغيب الشمس، ليعلموا أن يأجوج ومأجوج لم يحدثوا في الباب حدثا. وبالباب شق، مثل الخيط دقيق، فأخرجت سكينا، فحككت موضع الشق، فأخرجت منه مقدار نصف درهم، لأُريه الواثق بالله.

وفي الجبل موضع القدور، التي كان يخلط فيها النحاس، ويغلى فيه الرصاص والنحاس، والجبل من خارج مسلطح قائم أملس أبيض. وقد سألنا من هناك: هل رأيتم من يأجوج ومأجوج أحدا؟ فذكروا أنهم رأوا مرة عددا فوق الجبل، فهبت ريح سوداء، فألقتهم إلى جانبهم، وكان مقدار الرجل في رأي العين، شبرا ونصفا. فلما انصرفنا، أخذنا الأدلاء إلى خراسان، ثم إلى سمرقند في ثمانية أشهر، ووردنا على أسبيشاب، وعبرنا نهر بلخ، ثم صرنا إلى شروسنة، وإلى بخارى، وإلى ترمذ.

ثم وصلنا إلى نيسابور. ومات من الرجال الخمسين في الذهاب اثنان وعشرون رجلا، وفي المرجع أربعة عشر رجلا، ولم يسلم من المأتي البغال التي كانت معنا، إلا ثلاثة وعشرون بغلا، ووصلنا سر من رأى، ونحن أربعة عشر رجلا، فدخلت على الواثق فأخبرته بالقصة، وأريته الحديد الذي كنت حككته من الباب.

وكان وصولنا إلى السد، في ستة عشر شهرا، ورجعنا في اثني عشر شهرا وأيام.(1)

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري: دخل مطر بن ثلج التميمي، على عبد الرحمن ابن ربيعة بالباب، بعد فتح أذربيجان، وعنده شهربراز صاحب أذربيجان، فدخل عليهم رجل، فقال شهربراز: إني بعثته منذ سنين نحو السد، لينظر ما حاله ومن دونه، وزودته مالا عظيما، وكتبت له إلى من يليني، وسألته أن يكتب له إلى من وراءه، حتى انتهى إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه، فكتب له إلى عامله فأتاه. قال الرجل: فلما انتهينا، فإذا جبلان بينهما سد مسدود، حتى ارتفع على الجبلين، بعد ما استوى بهما، وإذا دون السد خندق أشد سوادا من الليل لبعده، فنظرت إلى ذلك كله ثم انصرفت. فأقبل عبد الرحمن على الرجل وقال: ما حال هذا الردم وما شبهه؟ فقال: مثل ثوب هذا، يعني مطرا. وكان على مطر قباء برود يمانية، أرضه حمراء ووشيه أسود، أو وشيه أحمر وأرضه سوداء، فقال مطر لعبد الرحمن بن ربيعة: صدق والله الرجل، لقد نفذ ورأى. فقال: أجل! وصف صفة الحديد والصفر. اهـ. ملخصا. تاريخ الطبري 2/ 542.

وعنه باختصار: تفسير الرازي 21/ 144 وتفسير غرائب القرآن 4/ 460 واللباب في علوم الكتاب 12/ 561.

وقال العلامة محمود بن عبد الله الآلوسي: هما بموضع من الأرض لا نعلمه، وكم فيها من أرض مجهولة، ولعله قد حال بيننا وبين ذلك الموضع مياه عظيمة، ودعوى استقراء سائر البراري والبحار غير مسلمة، ويجوز العقل أن يكون في البحر أرض

1- انظر المسالك والممالك ومعجم البلدان لياقوت الحموي. وعنه ورد بتمامه في: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق 2/ 934- 938 والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم 1/ 294- 297 وتنوير الغبش في فضل السودان والحبش 1/ 88 - 93، ونهاية الأرب في فنون الأدب 1/ 347-350، وتاريخ الإسلام 3/ 246- 248، والروض المعطار في أخبار الأقطار 1/ 310-311.

وعنه ورد مختصرا في: الفصل في الملل والأهواء والنحل 1/ 96، والتبصرة 1/ 168- 169، وتفسير الرازي 21/ 144، ومعجم البلدان 3/ 199- 200، وآثار البلاد وأخبار العباد 1/ 246، وتفسير غرائب القرآن 4/ 460، والبداية والنهاية 7/ 125، وتفسير ابن كثير 5/ 196، ومقدمة ابن خلدون 1/ 79، ونظم الدرر 4/ 505، والنجوم الزاهرة 2/ 259، واللباب في علوم الكتاب 12/ 561.

نحو أمريقا، لم يظفر بها إلى الآن، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، وبعد إخبار الصادق، بوجود هذين السدين وما يتبعهما، يلزمنا الإيمان بذلك، كسائر ما أخبر به من الممكنات، والالتفات إلى كلام المنكرين، ناشئ من قلة الدين.(1)

وقال أيضا: أما ما ذكره بعضهم، من أن الواثق بالله العباسي، أرسل سلاما الترجمان، للكشف عن هذا السد، فذهب جهة الشمال في قصة تطول، حتى رآه ثم عاد، وذكر له من أمره ما ذكر، فثقات المؤرخين على تضعيفه، وعندي أنه كذب، لما فيه مما تأبى عنه الآية، كما لا يخفى على الواقف عليه تفصيلا.(2)

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين تحت عنوان: سد يأجوج ومأجوج ما نصه: توجد في العتبة الواقعة بين بحر الخزر (هو بحر قزوين)، والبحر الأسود، سلسلة جبال توقان، كأنها جدار طبيعي، وقد سد هذا الجدار.

روى البخاري في صحيحه في باب قصة يأجوج ومأجوج «كتاب أحاديث الأنبياء» ما يلي:

وقول الله تعالى ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الكهف: 94] قول الله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: 83–85] إلى قوله ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف: 96] واحدها زبرة وهي القطع حتى إذا ساوى بين الصدفين يقال عن ابن عباس الجبلين والسدين الجبلين خرجا أجرا.

قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا أصبب عليه رصاصا ويقال الحديد ويقال الصفر.

وقال ابن عباس النحاس فما اسطاعوا أن يظهروه يعلوه استطاع استفعل من أطعت له فلذلك فتح أسطاع يسطيع.

1- انظر روح المعاني.

2- المرجع السابق.

وقال بعضهم استطاع يستطيع وما استطاعوا له نقبا.

قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكا ألزقه بالأرض وناقة دكاء لا سنام لها والدكداك من الأرض مثله حتى صلب وتلبد وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون.

قال قتادة حدب أكمة قال رجل للنبي ﷺ رأيت السد مثل البرد المحبر قال رأيتَه.

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش -رضي الله عنهن- أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون.

قال: نعم، إذا كثر الخبث.

ذكر قصة يأجوج ومأجوج في تغليق التعليق لابن حجر (كتاب أحاديث الأنبياء)

وأما حديثه المرفوع فأخبرناه الحافظ أبو الفضل بن الحسين، أن عبد الله بن محمد بن إبراهيم العطار أخبره، أنا علي بن أحمد، عن محمد بن معمر، أن سعيد بن أبي الرجاء أخبره، أنا أحمد بن محمد بن النعمان، أنا محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم، ثنا إسحاق ابن أحمد الخزاعي، ثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر، ثنا سفيان بن عيينة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن رجل من أهل المدينة، أنه قال للنبي ﷺ: «يا رسول الله، قد رأيت السد الذي بين يأجوج ومأجوج، قال: كيف رأيته (يريد وصفه كما في بعض الروايات: انعته لي)؟ قال: مثل البرد المحبر، طريقة حمراء، وطريقة سوداء، قال: قد رأيته».

تابعه سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، عن ابن عيينة في التفسير.

هذا إسناد صحيح إلى قتادة، فإن كان سمعه من هذا الرجل فهو حديث صحيح لأن عدم معرفة اسم الصحابي لا تضر عند الجمهور، لأن كلهم عدول، ولكن قد اختلف فيه على قتادة، فرواه سعيد بن أبي عروبة، عنه هكذا.

ورواه سعيد بن بشير عنه، فاختلف عليه فيه، فقال أبو الجماهير، والوليد بن مسلم عنه، عن قتادة، عن رجلين، عن أبي بكرة الثقفي أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: «إني قد رأيته يعني السد، فقال: كيف؟

قال: كالبرد المحبر، فقال: قد رأيته».

رواه ابن مردويه في تفسيره، عن الطبراني، عن أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة، عن أبي الجماهير بهذا.

وقوله (رأيت السد مثل البرد المحبر)

معناه: شبه السد بالبرد المخطط، أي الذي فيه خطوط، وهي من البرد اليمانية المعروفة عندهم، وتسمى (الحبرة) كعنبة.

والسد كذلك فيه خطوط معترضة، لأنه مبني من زبر الحديد المعترضة، وبينها النحاس المذاب، فخط حديد وخط نحاس، فإذا رأيته من بعيد فكأنه برد مخطط.

وهذا معنى قوله: (مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء).

والله تعالى أعلم.(1)

1- ورواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن، عن شيخ له، عن سعيد بن نصير، عن قتادة، أن رجلا أتى النبي، فذكره مرسلا؛ ورواه مسلمة بن علي، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس، ومسلمة ضعيف وليس هذا من حديث أنس، والله أعلم؛ ورواه يوسف بن أبي مريم الحنفي، عن أبي بكرة، ورجل رأى السد فساقه مطولا، ورواه البزار في مسنده من هذا الوجه بإسناد حسن، رقم الحديث: 1128.

(حديث مرفوع) وأما حديثه المرفوع فأخبرناه الحافظ أبو الفضل بن الحسين، أن عبد الله بن محمد بن إبراهيم العطار أخبره، أنا علي بن أحمد، عن محمد بن معمر، أن سعيد بن أبي الرجاء أخبره، أنا أحمد ابن محمد بن النعمان، أنا محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم، ثنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، ثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر، ثنا سفيان بن عيينة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن رجل من أهل المدينة، أنه قال للنبي ﷺ: «يا رسول الله، قد رأيت السد الذي بين يأجوج ومأجوج، قال: كيف رأيته؟ قال: مثل البرد المحبر، طريقة حمراء، وطريقة سوداء، قال: قد رأيته». تابعه سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، عن ابن عيينة في التفسير.

هذا إسناد صحيح إلى قتادة، فإن كان سمعه من هذا الرجل فهو حديث صحيح لأن عدم معرفة اسم الصحابي لا تضر عند الجمهور، لأن كلهم عدول، ولكن قد اختلف فيه على قتادة، فرواه سعيد بن أبي عروبة، عنه هكذا، ورواه سعيد بن بشير عنه، فاختلف عليه فيه، فقال أبو الجماهير، والوليد بن مسلم عنه، عن قتادة، عن رجلين، عن أبي بكرة الثقفي أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: «إني قد رأيته يعني السد، فقال: كيف؟ قال: كالبرد المحبر، فقال: قد رأيته».

رواه ابن مردويه في تفسيره، عن الطبراني، عن أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة، عن أبي الجماهير بهذا، ورواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن، عن شيخ له، عن سعيد بن نصير، عن قتادة، أن رجلا أتى النبي، فذكره مرسلا.

ورواه مسلمة بن علي، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أنس، ومسلمة ضعيف وليس هذا من حديث أنس. والله أعلم ورواه يوسف بن أبي مريم الحنفي، عن أبي بكرة، ورجل رأى السد فساقه مطولا، ورواه البزار في مسنده من هذا الوجه بإسناد حسن.

وهذا الوصف الذي جاء في الأحاديث النبوية السابقة يطابق وصف قازوين في جبال القوقاز شمال بلاد فارس «إيران» في دولة «داغستان» بمدينة دربند يسمى «ببوابة قازوين» أسماه ذو القرنين بهذا الأسم حينما تم من انتهائه من الردم. لقربه من «بحر قازوين» ولايوجد أي مكان آخر على طول سلسلة جبال القوقاز قريب من البحر كموقع المدينة الفريد وكان الروم بعد ذالك يسمونها «ببوابة الخزر» وأما العرب فيسمونها «بباب الأبواب» وأما الفرس فيسمونه بلسان لغتهم، بـ (ديربيند) وهو اسم مشتق من كلمتين فارسيتين وهما (دار أو دير) أي: البوابة، وكلمة (بيند) وتعني القفل أو الردم، ومعنى التسمية (البوابة المقفولة). وهي تسمى الأن بدربند وتقع بدولة داغستان الإسلامية ويسمى الحصن الذي فيها إلى الآن ببوابة قازوين.

وفي ذِكر بناء ذي القرنين عليه السلام بوابات القوقاز لصد أمم (يأجوج ومأجوج) عند المؤرخ اليهودي «فلافيوس يوسيفوس» من القرن الأول للميلاد «أمة من اللان» أو سكيثيين (أو أسكوذيين) كانوا يترحلون خلال معبر كان الإسكندر قد سده ببوابات حديدية بجبال القوقاز». ويسجل يوسيفوس أيضا «أن شعب مأجوج، الماجوجيون، هم نفسهم السكيثيين».

ووصف اليكسندر ديوما في كتابه (رحلة في القوقاز) سور المدينة بأنه حقا جدار ضخم يفصل بين أوربا وآسيا ويصد هجمات «الاسكوثيون الخطرة».. وقد بناء ذوالقرنين عليـه السلام بعد أن تـم من «ردم فجوة المعبر» التي تؤدي إلى عالم جوف الأرض الداخلي» ببناء سور حجري فوق بناء الردم» يغلق الممر بين البحر والسلسلة الجبلية بجدار (طوله 40 كم) وقد تم ذكر ذالك في سير الإسكندر.

وتذكر رسالة القديس «جيروم» السابعة والسبعين أن «مخيمات الهون (شعب مترحل) قد تسربت وقطعت الطريق من مايوتيس (اسم قديم لبحر آزوف شمال البحر الأسود) وكانت ديارهم بين تانايس المثلجة والماساجيتيين الهمج في المكان الذي تصد فيه بوابات الإسكندر الشعوب الوحشية في ما وراء القوقاز». وفي تعليق «القديس جيروم» على سفر حزقيال إصحاح 38 عدد 2 يعرف (القديس جيرو) الأمم القاطنة في ما وراء

القوقاز وقرب بحيرة مايوتيس، بحر آزوف [بأنهم جوج وماجوج]. [1]

وذكر مؤرخ الإسكندر الذي أرخ حادثة بناء الردم بيننا وبين يأجوج ومأجوج «المؤرخ اليوناني سودو كاليسثينيس» الذي عاصر الإسكندر عليه السلام وكان «مؤرخ عصره» وكتب عن حياة الإسكندر الكثير ويعد مؤرخ الإسكندر الأول.. ذكر قصة «بناء الردم» على يأجوج ومأجوج في عدة مواضع.. وبين أنه يقع «بجبال القوقاز» بالقرب من بحر قازوين.. وقد سماه الإسكندر ببوابة قازوين.. وأنه فجوة معبر بين جبلين تؤدي إلى بلاد أمم يأجوج ومأجوج. [2]

وهناك رسالة ذكرها صاحب كتاب «سيرة الإسكندر» وهذه الرسالة التي تصف بناء الردم وكيفية بنائه (رسالة الإسكندر عليه السلام إلى أمه): من الرسائل التي أرسلت إليها التي وصف بها السد وبنائه هي الرسالة التي أرسلها عبر رسوله (ابوكريفيا) إليها في وصف بناء الردم وسد الفجوة التي تؤدي إلى العالم البشري الداخلي لجوف الأرض العظيم ومضمون الرسالة هي: (لقد استأذنت الله المعبود الأسمى وقد استمع الله إلى صلواتي فأمر الله المعبود الأسمى الجبلين فتحركا واقتربا من بعضهما إلى مسافة 12 أيلا وهنا بنيت بوابتين نحاسيتين حديديتين بعرض اثنى عشر أيلا وارتفاع ستين أيلا طليتهما من الداخل ومن الخارج حتى لا يمكن للنار ولا للحديد ولا لأي وسيلة أن يفكوا تماسك النحاس وذلك إن النار أطفئت بملامسته ومن ضمن المعبر الذي بين الجبلين بنيت بناء آخر ومن الحجارة وكلا من الحجارة كان عرضة 11 أيلا وارتفاعه 20 أيلا وسمكة 60 أيلا وبإكمالي لهذا الجزء أتممت البناء بوضع مزيج من القصدير والرصاص والحديد والنحاس فوق الحجارة واكتسائها فوق الكل حتى لا يستطيع أحد أن يؤذي البوابتين وقد دعوت البوابتين بوابتي قزوين وقد حجزت خلفهما اثني وعشرين ملكا) (من كتاب سيرة الاكسندر ص178_177).

1- اقرأ بحث منشور على الإنترنت للأستاذ/ وليد بن متعب بن مخلد الرويسان من هذا الموضوع.

2- المصدر السابق.

وأما عن الذين أنكروا وجود السد أصلاً فيكفي أن نذكر لهم بعضاً من أقوال أهل العلم:

قال الشيخ محمد أنور شان الكشميري: سد يأجوج ومأجوج نحو البلاد الشرقية الشمالية، وأما ما تقول به الملاحدة من أهل العصر، أن ما من بقعة من بقع الأرض إلا ومسحت، ولم يوجد له بها يأجوج ومأجوج، وليس بموجود، فغلط محض، فإن في الإفريقية أرض في أربعين منزلاً، لم يطؤها قدم واطئ، فإذن قولهم كذب بحت.[1]

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: وما ادعاه الملحدون، أنه لا وجود ليأجوج ومأجوج أصلا، وأنهم لو كانوا وراء السد إلى الآن، لاطلع عليهم الناس، لتطور طرق المواصلات، فغير صحيح، لإمكان أن يكونوا موجودين، والله يخفي مكانهم على عامة الناس، حتى يأتي الوقت المحدد، لإخراجهم على الناس. ومما يؤيد إمكان هذا، أن الله جعل بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة، وهم في فراسخ قليلة من الأرض، يمشون ليلهم ونهارهم، ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه، لأنهم لو اجتمعوا بالناس، لبينوا لهم الطريق.[2]

وقال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري: وقد اختلفت أقوال العصريين في يأجوج ومأجوج؛ فبعضهم ينكرون وجودهم بالكلية، وينكرون وجود السد الذي جعله ذو القرنين، بينهم وبين الناس. ومستندهم ما تزعمه بعض الدول، في هذه الأزمان، أن السائحين منهم، قد اكتشفوا الأرض كلها، فلم يروا يأجوج ومأجوج، ولم يروا سد ذي القرنين. وهذا في الحقيقة تكذيب، بما أخبر الله به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، عن السد ويأجوج ومأجوج، والتكذيب بما أخبر الله به كفر وظلم.[3]

وقال الشيخ محمد بن يوسف الكافي: السد حق ثابت، ولا ينفتح ليأجوج ومأجوج إلا قرب الساعة، فمن قال بعدم وجود سد على وجه الأرض، ومستنده في ذلك قول

1- انظر العرف الشذى شرح سنن الترمذي ج3، للكشميري.

2- أصول البيان للشنقيطي.

3- اتحافه الجماعة، التويجري.

الكشافين من النصارى، وأنهم لم يعثروا عليه، يكفر. اهـ. المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية.

وقال الشيخ عبد الله بن سليمان الغفيلي: ولا عبرة بمن أنكر وجود يأجوج ومأجوج، ووجود السد الذي بناه ذو القرنين، بحجة ظهور دول الكفر المتقدمة في الصناعة، وأن هؤلاء استطاعوا أن يكتشفوا كل ما في الأرض، ولم يتركوا منها شيئا إلا أتوا عليه، ولكنهم لم يعثروا على يأجوج ومأجوج، ولم يروا سد ذي القرنين. وأما دعواهم أن الأرض اكتشفت كلها، ولم يجدوا فيها يأجوج ومأجوج والسد، فهي دعوى باطلة، تدل على عجز البشر وقصورهم؛ لأن معرفة جميع بقاع الأرض، والإحاطة بما فيها من المخلوقات، لا يقدر عليها إلا الله عز وجل، الذي أحاط بكل شيء علما، ولا يلزم من عدم رؤيتهم عدم وجودهم؛ لأنه قد يكون الله عز وجل، صرفهم عن رؤية يأجوج ومأجوج، ورؤية السد، أو جعل بينهم وبين الناس أشياء، تمنع من الوصول إليهم.[1]

وقال الشيخ يوسف بن عبد الله الوابل: إنه لا يعنينا تحديد مكان السد، بل نقف عند ما أخبرنا الله تعالى به، وما جاء في الأحاديث الصحيحة، وهو أن سد يأجوج ومأجوج موجود، إلى أن يأتي الوقت المحدد لدك هذا السد، وخروج يأجوج ومأجوج، وذلك عند دنو الساعة.[2]

فردم ذو القرنين حق ثابت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكفى بذلك.

وخلاصة القول في السَّد والردم أن الذين استغاثوا بذي القرنين قد طلبوا منه كما أخبرنا القرآن الكريم بناء سد وليس ردماً، والسد بالطبع يختلف عن الردم، وكانوا يريدون منه بناء هذا السد عند مدخل الجبلين، ولكن ذا القرنين رأى بعلمه وحكمته أن الردم أصلح لهم حتى يمنع مرور وخروج يأجوج و مأجوج وذلك بإلهام من الله عز وجل فقرر عمل الردم حتى ساوى بين صدفي الجبلين وهذا استشراف منه للمستقبل

1- أشراط الساعة، يوسف الوابل.

2- المرجع السابق.

البعيد، فكان هذا الردم العظيم سدًّا منيعاً حتى يأتي أمر الله كما قال تعالى في سورة الأنبياء:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾[الأنبياء : 96]

أي يخرجون من تحت سطح الأرض حيث عالم جوف الأرض من كل حدب وهو البراكين الخامدة المنتشرة على سطح الكرة الأرضية آخر الزمان.

أما الأحاديث الذي ذكرت أن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى إذا أمسوا قالوا نكمل العمل غداً فيصبحون من الغد وقد أعاده الله كما كان حتى إذا أراد فتحه قالوا: غداً نفتحه إن شاء الله، فيصبحون من الغد فيفتحونه، فهذه الروايات لا تصح وكلها ضعيفة وموضوعة وفي رفعها نكارة.

والجدير بالذكر أن العلماء عثروا على أعظم كهف في العالم حيث يبلغ عمقه الذي تم التوصل إليه 2191 متراً حيث لم يتم اكتشاف آخره حتى الآن وعثر فيه العلماء على بعد اثنين كيلومتر على حشرات وقامت بعثة دولية نظمتها جمعية استكشاف الكهوف الأوكرانية في الآونة الأخيرة برحلة لأعمق كهف في العالم، ويعتبر الكهف واسمه إيفرست الكهوف وطوله 13232 متراً وعمقه 2191 متراً وهو يقع في جنوب روسيا في احازيا بجمهورية جورجيا التي تجاور دولة داغستان التي بها ردم وسد يأجوج ومأجوج وتم التوصل لأعماق الكهف باستخدام الحبال عبر سلسلة معقدة من الممرات التي يتبعها الماء وللوصول إلى الأجزاء الأعمق من الكهف أجبر المستكشفون على الغطس في مياه باردة جدًّا تصل إلى درجة التجمد، وواجه المستكشفون تطورات غير متوقعة حيث فوجؤوا بصعود الماء بشكل مفاجئ جعلهم يتوقفون عن الاستمرار والتوقف لمدة 30 ساعة وتم اكتشاف نوع جديد من الأسماك الشفافة التي تعيش في مياه باردة على عمق ألفي متر مربع. (1)

وذكر هذا الخبر في جريدة اقتصادية إلكترونية تحت عنوان علماء يعثرون على حشرات في أعمق مسافة تحت الأرض حتى الآن.

1- مقال منشور على الإنترنت للباحث/ وليد بن متعب بن مخلد الرويسان.

وقال علماء أنهم عثروا على كهف على عمق اثنين كيلو متر تحت الأرض في جورجيا على حشرة النطاط وإن هذا هو أكبر عمق تعيش فيه حشرات تحت الأرض يتم اكتشافه حتى الآن حسبما أوضح فريق العلماء الروسي الأسباني.

وعثر الباحثان رافائيل يوردانا واينريكه باكفيرو من جامعة نافارا في مدينة بامبلونا الأسبانية على أربعة أنواع جديدة من الحشرات في كهف كروبيرا فورونيا في جورجيا ونشروا نتائج هذا الإنجاز العلمي في مجلة «تريستريال ارثروبود ريفيوس».

وأوضح الباحثان أن هذه الحشرات المكتشفة تبين تكيفا خاصا مع الوسط البيئي فقير الغذاء على هذا العمق السحيق وأنها بلا أعين ولديها حاسة كيميائية مفرطة وقالوا إن إحدى هذه الحشرات التي أطلقوا عليها اسم بلوتوموروس أورتوبالاجانينسيس تعيش على عمق 1980 مترا وإن هذه الحشرة تعيش في عمق هو الأكبر حتى الآن تحت الأرض بين بقية الحشرات.

وحشرة النطاط هي الجراد، فكيف يوجد الجراد على هذا البعد إلا إذا كان هنالك حشائش بعالم جوف الأرض يتغذى عليها وقد لجئ إلى هذا الكهف وتم اكتشافه من قبل هاؤلاء العلماء؟؟ (1)

ويبلغ العمق الطبيعي لكهف كروبيرا فورونيا 2191 مترا تحت الأرض وهو بذلك الأعمق في العالم ويقع غرب القوقاز في إقليم أبخازيا الذي أعلن استقلاله عن جانب واحد من جورجيا. واكتشف الباحثون هذه الحشرات الجديدة خلال بعثة استكشافية في صيف عام 2010.

وكذلك تم اكتشاف مدن تحت الأرض في القوقاز تم العثور على صرح غريب تحت الأرض في كاباردينو بلكاريا بالقوقاز بمحض الصدفة، لتنطلق بعثات عديدة من الباحثين الجيولوجيين الطوعيين الذين ذهلوا لدى معاينتهم له واحتاروا في منشئه مرجحين فرضية قيام مدن كاملة تحت الأرض.

1- السؤال للباحث/ وليد بن متعب.

وطالما اجتذب وادي «باكسانسكوي» الفضوليين والمهتمين باكتشاف أسرار البشرية من كل حدب وصوب، لاحتوائه على عدة منشآت غامضة لم يصل المختصون لاتفاق حول منشئها حتى الآن. وبينت صحيفة «أرغومينتي اي فاكتي» كيف وجد المستكشف ارتور جيموخوف تكوينا غريبا في أرضية الوادي مردوما بالحجارة بدا كجحر كبير، ولكن تيار الهواء الخارج منه أثار فضوله، وبعد إزالة الردم تبين أنه فتحة مستطيلة تمتد شاقوليا باتجاه ظلام الأعماق.

وأكثر ما أذهل جيمونوف هو الجدران المصقولة لهذا النفق، ليدرك مباشرة أن لقيته بالغة الأهمية، ولدى هبوط أعضاء بعثة رابطة «كوسموبويسك» إلى داخل النفق وصلوا إلى صالة كبيرة تجري فيها تيارات هوائية تصدر أصواتاً غريبة. و«كوسموبويسك» وهي حركة دولية ورابطة روسية تضم المهتمين الطوعيين الذين يجرون أنشطتهم لاستكشاف الظواهر الغامضة وفق القوانين الدولية والروسية.

وبين منسق الرحلات الاستكشافية من الرابطة فاديم شيرنوبروف لصحيفة «أرغومينتي اي فاكتي» قائلا: «لقد قمنا بسبع رحلات استكشافية إلى وادي باكسانسكوي ووادي مالكينسكي وحاولنا جمع معلومات من السكان المحليين الذين تعاونوا معنا بعد أن تمكنا من كسب ثقتهم، فوصلنا إلى الأماكن المقدسة بنظرهم» وأضاف «من اللافت تنافس الشعوب القاطنة في المنطقة لنيل صفة الشعب الأقدم، فكل منهم يدعي أنه أول من قطن في المنطقة، إلا أنهم جميعا يعجزون عن تفسير ظهور هذه المنشآت».

وفي المنطقة ذاتها يوجد تل ضخم متطاول ومكون بفعل عوامل غير طبيعية في المنطقة يدعى «تل العملاق» متوضع بجوار نهر مالكا والذي يبدو كقبر هائل مكون من درجتين يبلغ طول الدرجة العليا 80 مترا ويتخذ محوره اتجاه شرق غرب، كحال أغلب المدافن القديمة، وكشفت الأجهزة الالكترونية وجود أجسام غريبة داخل جسد

التل ولكن السكان المحليون لم يسمحوا للباحثين بالحفر لمعاينتها لإيمانهم بقدسية التل. كما توجد في المنطقة منشآت تشبه الفطور العملاقة تتوضع على سفوح الجبل المكسي بالغابات الكثيفة وفق ما نشرته الصحيفة، والتي شبهها الباحثون بفتحات تهوية لمنشآت مقامة تحت الأرض.

ويرجح الباحثون الجيولوجيون أن تكون هذه المنشآت أجزاء مترابطة فيما بينها لتكون في مجموعها مدينة تحت الأرض كحال المدينة التي وجدت في تركيا منذ نصف قرن تقريبا والتي تدعى «ديرنكويو» حيث ما تزال أعمال التنقيب قائمة حتى الآن.(1)

1- المصدر السابق.

قبر ذي القرنين في الجزيرة العربية

من الأمور العجيبة وجود آثار لقبر يعرف بقبر ذي القرنين حيث تتبع الطالعي القشيري في (الرحلة القشيرية ص 183) أقوال المؤرخين في ذلك منذ زمن، ومنها ما ذكره لسان اليمن ومؤرخها الحسن بن يعقوب الهمداني رحمه الله في كتابه (صفة جزيرة العرب) ص230: «... عسير قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزرت، ودخلت في عنز، فأوطان عسير إلى رأس تيه، وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها، وبها قبر ذي القرنين، فيما يقال: عثر عليه على رأس الثلاثمائة من تاريخ الهجرة، والدارة، والفتيحاء، واللصبة، والملاحة، وطبب، وأتانة، وعبل، والمغوث، وجرشة، والحدبة، هذه أودية عسير كلها...».

قال الطالعي القشيري في (الرحلة القشيرية):

إن كثيراً من أوطان عسير الواردة عند الهمداني لا تزال معروفة بأسمائها التي ذكرها قبل ألف عام من اليوم، ولعله يقصد بـ (العقبة التي في رأس تيه) إما عقبة رجم أو عقبة شعار الحالية، إذ كلاهما في رأس وادي تيه، ولعل الهمداني كان أول من تناول ذكر ذي القرنين في حد علمي وأشار إلى قبره في بلاد عسير.

أما المؤرخ اللبناني فؤاد حمزة في كتابه (في بلاد عسير) ص 95 معددا أودية بلاد عسير وذكر منها:

وادي جوحان.. وأنه ينبع بالقرب من العقبات الواقعة جنوبي أبها، ويصب في وادي أبها عند بلدة (قاعد) و(الدارة) بين بني مغيد وبني مالك.. إلى أن قال وقد زرت هذا المكان فوجدت عند ملتقى الواديين مستنقعا عظيما تجمعت المياه في بعض

أنحائه فكونت بركا متسعة، نما على أطرافها نبات الحلفا والنمص، وفيها نوع من السمك ذي اللون الأسود، وبجوار هذه البرك مزار قديم العهد مهدم، يزعم أهل هذه البلاد أنه قبر ذي القرنين.

وقال المؤرخ محمد الأكوع اليمني محقق كتاب صفة جزيرة العرب ص 230 لعل هدمه أي قبر ذي القرنين كان في سنة 1342هـ.

أما مؤرخ الحجاز محمد عمر رفيع وهو من رواد التعليم الأوائل في بلاد عسير قبل ستين عاما فقال في كتابه (في ربوع عسير) ص 44: بعد ذكره قول الهمداني السالف الذكر.. قال: وقد عد صاحب كتاب (في بلاد عسير) نسبة هذا القبر إلى ذي القرنين تخريفا من أهل هذه الجهة، مدفوعا فيما تراءى لي بما تبادر له من أنه ذو القرنين الإسكندر المقدوني، وليس كذلك، فإن ذا القرنين هذا عربي يماني، ذكره الهمداني أيضا في كتابه (الإكليل) في الجزء العاشر فقال ما معناه: إن ذا القرنين السيار، ويكنى بالصعب في رواية هو الهميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان، وفي رواية أخرى هو الصعب ذو القرنين السيار ابن مالك بن الحارث الأعلى بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان.

وجاء في هامش القول المذكور من تحقيقات العلامة السيد محب الدين الخطيب ناشر ذلك الجزء: أن هناك قولا ثالثا مزعوما لأمير المؤمنين علي، ولحبر الأمة عبدالله ابن عباس -رضي الله عنهما- أن ذا القرنين السيار هو الصعب بن عبدالله بن مالك بن سدد بن حمير الأصغر، (واختتم محمد عمر رفيع حديثه بالقول) : فغير بعيد عن الحقيقة والصحة نسبة القبر إلى ذي القرنين هذا، لاسيما وأنه مقول منذ القرن الثالث الهجري.

قال الطالعي القشيري: وخلال تتبعي لهذا الأثر منذ زمن بعيد، ووقوفي عليه مرات عدة أسفت من أنه لا يزال في طي النسيان، خاصة وأنه واقع في أهم المدن السياحية من

بلادنا، وأسفت أيضا على الدور اللامبالي من قبل هيئة السياحة في عدم ترميمه وإيلائه ما يستحق من ترويج إعلامي بعد أن انهدم قبل ما يزيد عن تسعين عاما.

وقد أخبرني بعض كبار السن من عسير أنهم ينقلون عن أسلافهم أن بعض الولاة العثمانيين إبان بسط الخلافة العثمانية نفوذها على عسير، أولوا مسجد ذي القرنين وقبره عناية، واهتماماً، نظرا لما لهذه الشخصية الشهيرة من مكانه دينية لدى المسلمين في تلك الفترة، ولحرص العثمانيين على الاهتمام بكل ماله علاقة بمقامات الصالحين كانت تلك العناية بـ (مسجد ذي القرنين وضريحه).

قال الطالعي القشيري: وأنا لا أجزم بأن المسجد والقبر يعودان لذي القرنين الوارد في الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف : 83] إلا ان المعروف أن ذا القرنين كان عربي الأرومة، بينما ذو القرنين الإسكندر المقدوني باني الإسكندرية كان ملكا فاجرا كما روي عنه، مما يقوي احتمال أن يكون هذا القبر للرجل الصالح الوارد في القران، ومع ذلك يظل الأمر من ثقافة مجتمع أبها وغيرهم في ذلك الزمن بناء على ما تواتر لديهم جيلا بعد جيل من ارتباط الأثر بما ورد في القرآن.

يقع المسجد على تل يسميه القرويون من عسير بـ (القرنين) وقد لعب العوام بلفظ الاسم كالعادة، فما أن كانوا ينطقونه على النطق الصحيح (ذي القرنين) حتى اختصروه إلى (القرنين) وكما ذكرت فإنه يقع على الجانب الأيسر لوادي أبها الأسفل، إلى الشمال الشرقي من (قرية آل جرجر) من قرى بني مالك عسير، في منطقة خالية وشبه جرداء من الشجر عدا شجيرات متباعدة من الطلح وغيره هنا وهناك، والموقع بعيدا جدا عن القرى الآهلة بالسكان قديما، فلا مساكن ولا مزارع في تلك الناحية يوحي بأنها منطقة قديمة للاستيطان البشري، ويعجب الإنسان أشد العجب من وجود هذا الأثر الهام في مثل هذا الموقع النائي، وفي رأيي أنه ليس صحيحا ما أورده بعض المؤرخين من أن المسجد والقبر يقعان عند مصب وادي جوحان، قريبا من قرية الدارة، بل المسافة بين

موقع المسجد والدارة بعيدة شيئا ما، إلا أن يكون مسمى (الدارة) يضم موقع المسجد والقبر في ذلك الزمن فذلك شيء آخر.

وعند الوصول للموقع يشاهد الزائر لوحة تحذيرية عتيقة وبائسة مما طالها والموقع الذي تحرسه من الإهمال والنسيان، لقدم العهد لآخر زيارة لمنسوبي هيئة الآثار لهذا الموقع الأثري.

وهذه اللوحة قد لعبت بها الريح في هذا القفر الساكن، مكتوب عليها تحذير بأن الموقع يعد منطقة آثار يحظر التعدي عليها وفق نظام الآثار..الخ، إلا أن من يشاهد الموقع الأثري يجد أن حاله بات في واد، وما تتضمنه اللوحة من تحذير في واد آخر، ولسان حال هذه اللوحة يردد قول الشاعر:

في رأس مرجـوم عسير المنالي　　تلعب به الأرياح مـع كـل نسنـاس
في مهمه قفـر مـن النـاس خالـي　　يشتاق له من حس بالقلب هوجاس
قعدت فـي راسـه وحيـد لحالـي　　والقـلـب فـي لجات لفكار غطـاس
متذكر فـي مرقبـي وش غدالـي　　وصفقت بالكفـين ياس علـى يـاس

وخلال معاينة الموقع، وتقصي ما تبقى من آثاره، وجدت أن المسجد مبني بالحجارة ولم يستخدم فيه الطين كالعادة في طراز المباني المشيدة على وادي أبها، تبلغ مساحته (10م طولا في 7م عرضا).

وكانت تحمل سقفه ستة أعمدة اسطوانية الشكل، مبنية بالحجر، بقطر يقارب الستين سنتيمترا، ويبدو أن السقف كان من الخشب المحلي، ولم يتبق من تلك الأعمدة إلا أساساتها في أرضية المسجد بعد الهدم، ولا تزال أساسات الأعمدة تكتسي بشيء من الجص الأبيض الذي كان يغطيها، أما جدران المسجد فلا تزال بعضها قائمة، خاصة الزوايا، وفي جداره الشرقي قرب الزاوية الشمالية نافذة صغيرة، ومتن المسجد بني بسمك السبعين سنتيمترا تقريبا، والمحراب في وسط القبلة وهو مربع الشكل.

ويخرج في الزاوية الشمالية الغربية حجر بارز عبارة عن رف يوضع عليه السراج للإنارة حسب إمكانات ذلك الزمن، أما الباب الرسمي للمسجد فيقع في الجدار الغربي في الزاوية الجنوبية الغربية وبقربه في زاوية الجدار الجنوبي الزاوية الجنوبية الغربية يوجد باب آخر داخل المسجد ويفضي إلى غرفة القبر الملاصقة للمسجد، وتشاركه في الجدار الجنوبي، والغرفة بعرض يقارب المترين ونصف المتر في طول عشرة، وهي نفس مسافة طول المسجد (2، 5م في 10م)، وحيث أن أنقاض الجدران المهدمة مكومة في وسط الغرفة فلا يتضح للمشاهد أثر القبر، إلا أن ما يتناقله الأهلون في عسير أن القبر كبير وطويل جدا وطول غرفة الدفن يدل على صحة ذلك، بالرغم من أنه لا يمكن التأكد من ذلك إلا بحفريات أثرية متخصصة.

أما المسجد وغرفة الدفن من الخارج فأبرز ما يشد الانتباه حولها وجود أربعة أحواض مكسية بالجص الأبيض الذي كان يستخدم في الأزمان الغابرة لتلييس المساكن، وهو في نفس قوة الأسمنت إن لم يكن أكثر مقاومة منه.

وتختلف أحجام تلك الأحواض مابين المتر طولا والنصف متر عرضا إلى أقل من ذلك إلا إنها قد نفذت بطريقة بديعة، وفيما يبدو أن تلك الأحواض كانت تجمع فيها مياه الأمطار المسربة من سطح المسجد للاستفادة منها في الوضوء وخلافه، وقد تملأ بواسطة القرب من المياه الجارية في وادي أبها المجاور، وبشكل عام فإن مظهر المسجد كما يبدو فيما مضى عادي ويفتقد لأي مظهر من مظاهر الزخرفة.

وأهم الآثار المحيطة به ما يقع في جهته الغربية من بقايا منزل يتكون من عدة غرف متداخلة ذات المساحات الصغيرة ولا تزيد المسافة بينه وبين المسجد عن عشرة أمتار، ولعله كان سكنا للقائمين على سدانة المسجد، وإلى جهة القبلة بمسافة تقارب اثنى عشر مترا توجد عدة قبور، أما الجهة الشرقية، على بعد العشرة أمتار تقريبا فتوجد بعض الأحجار الكبيرة على شكل يوحي بأنها نصب تذكاري، كونها إما دلالة على وجود قبر

أو قبور تحتها، أو أنها أقيمت لغرض آخر لم أفهمه، وتوجد قبور أخرى متناثرة هنالك بعيدا في الجهة الجنوبية الشرقية، بما يزيد عن خمسة عشر مترا، فوق رابية جبلية كلسية، إلا أن منظرها قد طالته أيادي العابثين، ومن الممارسات الغريبة الأخرى التي تسترعي الانتباه ولم أجد لها تفسيرا مقنع أن الأحواض التي ذكرتها سالفا بجوار المسجد قد حفرت تحتها حفر حديثة، وعميقة شيئا ما، توحي بأن من حفرها قد استخرج شيئا ما من تحتها، لا أعلم كنهه!! أو أنه توقع أن يجد شيئا ما هناك!!.[1]

1- البحث منشور على شبكة الإنترنت العالمية.

ذو القرنين والبحث عن عين الحياة المزعومة

منذ أن خلق الله آدم عليه السلام والإنسان يحب الدنيا والخلود فيها، رغم أن الإنسان يعرف أن حياته في الدنيا لا خلود فيها وأن الخلود في الجنة أو النار أي أن الدنيا هي دار ابتلاء والآخرة دار جزاء، فلا خلود في الدنيا.

وهناك أساطير كثيرة عن عين الحياة أو عين الخلود يؤمن بها البعض، وقد ذكر أهل التواريخ القدماء مثل ابن عساكر وغيره أخباراً مطولة عن رحلة ذي القرنين للبحث عن عين الحياة والخلود ومعه وزيره الخضر، وقال البعض إن هذه الرحلة كانت في عالم جوف الأرض، وأن ذو القرنين لم يصل إلى تلك العين ولم يشرب منها.

وقال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: وقد ذكر ابن عساكر بسنده عن زين العابدين خبراً مطولاً جدًّا فيه أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له: رفائيل، فسأله هل تعلم في الأرض عيناً يقال لها عين الحياة؟

فذكر له صفة مكانها، فذهب ذو القرنين في طلبها وجعل الخضر على مقدمته فانتهى الخضر إليها في واد في أرض الظلمات فشرب منها، ولم يهتد ذو القرنين إليها.

وذكر اجتماع ذي القرنين ببعض الملائكة في قصر هناك، وأنه أعطاه حجرا، فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه، فوضعوه في كفة ميزان وجعلوا في مقابلته ألف حجر مثله فوزنها، حتى سأل الخضر فوضع قباله حجرا وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به.

وقال: هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب، فسجد له العلماء تكريما له وإعظاما، والله أعلم.

ثم ذكر تعالى أنه حكم في أهل تلك الناحية: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ

فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف : 86، 87] أي: فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة، وبدأ بعذاب الدنيا لأنه أزجر عند الكافر.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف : 88] فبدأ بالأهم وهو ثواب الآخرة، وعطف عليه الإحسان منه إليه، وهذا هو العدل والعلم والإيمان.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف : 89] أي: سلك طريقا راجعا من المغرب إلى المشرق، فيقال: إنه رجع في ثنتي عشرة سنة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف : 90].

أي: ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر الشمس، قال كثير من العلماء: ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلى أسراب قد اتخذوها في الأرض شبه القبور.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف : 91] أي: ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكلؤه بحراستنا في مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها.

وقد روي عن عبيد بن عمير، وابنه عبد الله، وغيرهما من السلف: أن ذا القرنين حج ماشيا، فلما سمع إبراهيم الخليل بقدومه تلقاه، فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا، ويقال: إنه جيء بفرس ليركبها فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل، فسخر الله له السحاب وبشره إبراهيم بذلك، فكانت تحمله إذا أراد.(1)

وذكر الباحث/ أسامة مرعي في سلسلة عالم جوف الأرض ما يلي:(2)

أثناء رحله النبي الملك ذي القرنين (عليه السلام) الأولى الكبرى في أقصى الشمال مما يلي القطب الشمالي إلى قوم مغرب الشمس في عالم جوف الأرض الداخلي ذهب هو ووزيره

1- البداية والنهاية، لابن كثير.

2- الناشر: دار الكتاب العربي.

سيدنا الخضر (عليه السلام) للبحث عن عين في جوف الأرض تسمى عين الحياة (عين الخلد) فيها من الله عزيمة، من يشرب منها شربة لم يمت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل الله تعالى الموت..!!

ولكن الأمر الغريب والشيء العجيب أن عين الحياة (عين الخلد) التي كان يبحث عنها النبي الملك ذو القرنين (ﷺ) ووزيره سيدنا الخضر (عليه السلام) تقع في مدينة عدن جنة الله في أرضة ومهد الجنس البشري التي توجد ببلاد أمم وأقوام يأجوج ومأجوج الذين يسكنون الآن تحت سطح الأرض بعالم جوف الأرض الداخلي..!!

وإليكم أيها الإخوة الأحباب: تفاصيل رحله النبي الملك ذي القرنين (ﷺ) الأولى الكبرى في أقصى الشمال مما يلي القطب الشمالي إلى قوم مغرب الشمس في عالم جوف الأرض الداخلي للبحث عن عين الحياة (عين الخلد) التي من يشرب منها لم يمت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل الله تعالى الموت كما وردت في عدة روايات في السنة النبوية الشريفة كما يلي:

أولا: قال أبو إسحق النيسابوري المعروف بالثعلبي - رحمه الله - في كتابه: (قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس) تحت عنوان: (خبر دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة) ما يلي:

(روى عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أنه قال: ملك ذو القرنين ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره. فبينما هما ذات يوم يتحادثان إذ قال ذو القرنين: يا رفائيل، حدثني عن عبادتكم في السماء. فبكى وقال: يا ذا القرنين، وما عبادتكم بشيء عند عبادتنا إن في السماء من الملائكة من هو قائم أبدا لا يجلس ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا، ومنهم الراكع لا يستوي أبدا قائما، يقولون: سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح، ربنا ما عبدناك حق عبادتك. فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال: إني لأحب أن أعيش فأبلغ من عبادة ربي حق طاعته.

قال رفائيل: أو تحب ذلك؟

قال نعم.

قال: فإن لله عينا في الأرض تسمى عين الحياة فيها من الله عزيمة، إن من يشرب منها شربة لم يمت أبدا حتى يكن هو الذي يسأل ربه الموت.

قال ذو القرنين: هل تعلم موضع تلك العين؟ قال الملك: لا، غير أنا نتحدث في السماء أن الله تعالى في الأرض ظلمة لا يطؤها إنس ولا جان، فنحن نظن أن العين في تلك الظلمة.

فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم: أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله وما جاءكم من أحاديث الأنبياء ومن كان قبلكم أن الله وضع في الأرض عينا سماها عين الحياة؟

قالوا لا.

وقال عالم من العلماء: إني قرأت وصية آدم، وصى أن الله تعالى خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان ووضع فيها عين الخلد.

فقال ذو القرنين: فأين وصيته في الأرض؟

قال: على قرن الشمس. فبعث ذو القرنين وحشر إليه العلماء والأشراف والملوك، ثم سار يطلب مغرب الشمس، فسار اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة، فإذا ظلمة تقوم مثل الدخان ليست بظلمة ليل، فعسكر هناك، ثم جمع العلماء وقال: إني أريد أن أسلك هذه الظلمة. قالوا: إنه من كان قبلك من الأنبياء والملوك لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطلبها، فإنا نخاف أن ينبثق عليك أمر تكرهه فيكون فيه فساد أهل الأرض.

فقال: لا بد من أن أسلكها. قالوا: أيها الملك كف عنها ولا تطلبها فإنا لو نعلم أنك إن طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط علينا ربنا لاتبعناك، ولكنا نخاف العتب من الله عز وجل وفساد الأرض ومن عليها. فقال: لا بد أن أسلكها.

قالوا: شأنك بها.

قال: أي الدواب بالليل أبصر؟

قالوا: الخيل. قال: فأي الخيل أبصر؟

قالوا: الإناث. قال: فأي الإناث أبصر؟

قالوا: الأبكار. فجمع ذو القرنين ستة آلاف فرس بهذه الصفة، ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل، فدفع إلى كل رجل فرسا، وعقد للخضر (عليه السلام) على مقدمته ألفين، وبقي هو في أربعة آلاف.

وقال ذو القرنين للناس: لا تبرحوا من معسكركم هذا إلى اثنتي عشرة سنة، فإن رجعنا إليكم وإلا فارجعوا إلى بلادكم. فقال الخضر (عليه السلام): أيها الملك، إنا نسلك ظلمة لا ندري كم المسير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا، فكيف نصنع إذا ضللنا فدفع إلى الخضر خرزة حمراء وقال: حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع إليها أهل الضلال أين صاحت.

فسار الخضر (عليه السلام) بين يديه، يرتحل الخضر (عليه السلام) وينزل ذو القرنين، فبينما الخضر (عليه السلام) يسير إذ عرض له واد فظن أن العين فيه وألقى الله ذلك في قلبه، فقام على شفير الوادي وقال لأصحابه: قفوا لا تبرحوا، ورمى بالخرزة في الوادي ومكث طويلا حتى أجابته الخرزة، فطلب صوتها فانتهى إليها فإذا هي إلى جانب العين.

فنزع الخضر (عليه السلام) ثيابه ثم دخل العين، فإذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد، فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه.

ثم رمى الخرزة نحو أصحابه، فوقعت الخرزة وصاحت، فرجع إلى صوتها حتى انتهى إلى أصحابه، فركب وقال: سيروا على اسم الله. ومر ذو القرنين فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوما وليلة، ثم خرجوا إلى ضوء ليس بضوء شمس ولا قمر، وإلى أرض حمراء ورملة خشخاشية، فإذا هو بقصر مبني في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب، فنزل ذو القرنين بعسكره، ثم خرج وحده فدخل القصر، فإذا حديدة قد وضع طرفاها على جانبي القصر من هاهنا وهاهنا، وإذا طائر أسود يشبه

الخطاف مزموم بأنفه إلى الحديدة، معلق بين السماء والأرض، فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟

قال: أنا ذو القرنين. فقال: يا ذا القرنين، أما كفاك ما وراءك حتى وصلت إلي ثم قال الطائر: يا ذا القرنين، حدثني.

قال سل؛ فقال: هل كثر بناء الآجر والجص في الأرض؟

قال نعم؛ فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة، ثم قال: يا ذا القرنين، هل كثرت شهادات الزور في الأرض؟ قال نعم؛ فانتفض الطائر ثم انتفخ فملأ الحديدة وسد ما بين جداري القصر. ففرق ذو القرنين فرقا عظيما. فقال الطائر: لا تخف. حدثني.

قال سل.

قال: هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله بعد؟ قال لا، فانضم الطائر ثلثه ثم قال: هل ترك الناس الصلاة المفروضة بعد؟ قال لا، فانضم ثلثاه. ثم قال: يا ذا القرنين، هل ترك الناس غسل الجنابة بعد؟

قال لا.

فعاد الطائر كما كان. ثم قال: يا ذا القرنين. اسلك هذا الدرج درجة درجة إلى أعلى القصر. فسلكها وهو خائف وجل لا يدري على ماذا يهجم، حتى انتهى إلى سطح ممدود، عليه صورة رجل شاب قائم، وعليه ثياب بيض. رافعا وجهه إلى السماء، واضعا يديه على فيه، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟

قال: أنا ذو القرنين.

قال: يا ذا القرنين، إن الساعة قد اقتربت، وأنا منتظر أمر ربي يأمرني أن أنفخ فأنفخ، ثم أخذ صاحب الصور شيئا بين يديه كأنه حجر وقال: خذه يا ذا القرنين، فإن شبع هذا شبعت، إن جاع جعت؛ فأخذه ونزل إلى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قال له وما رد عليه، وما قال صاحب الصور. ثم جمع علماء عسكره فقال: أخبروني عن هذا الحجر ما أمره؟

فقالوا: أيها الملك، أخبرنا عما قال لك فيه صاحب الصور.

فقال ذو القرنين: إنه قال لي: إن شبع هذا شبعت وإن جاع جعت فوضعوا ذلك الحجر في إحدى كفتي ميزان وأخذوا حجرا مثله فوضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا هو يميل، فوضعوا معه آخر فإذا هو يميل بهما فلم يزالوا يضعون حتى وضعوا ألف حجر فمال بالألف جميعا، فقالوا: انقطع علمنا دون هذا الحجر لا ندري أسحر هو أم علم ما نعلمه فقال الخضر (عليه السلام): نعم أنا أعلمه، فأخذ الميزان بيده ثم وضع الحجر في كفتها وأخذ كفا من تراب فجعله في الكفة الأخرى ثم رفع الميزان فاستوى. فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا: هذا علم لم يبلغه علمنا.

فقال الخضر (عليه السلام): أيها الملك، إن سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه، وأمره نافذ فيهم، وحكمه جار عليهم؛ وإن الله تعالى ابتلى خلقه بعضهم ببعض، فابتلى العالم بالعالم، والجاهل بالجاهل، والعالم بالجاهل، والجاهل بالعالم؛ وإنه ابتلاني بك وابتلاك بي.

قال ذو القرنين: صدقت، فأخبرني ما هذا؟

فقال الخضر: أيها الملك، هذا مثل ضربه لك صاحب الصور، إن الله تعالى مكن لك في البلاد، وأعطاك منها ما لم يعط أحدا، وأوطأك منها ما لم يوطئ أحداً، فلم تشبع، وآتيت نفسك شرها، حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه إنس ولا جان، فهذا مثل ضربه لك، إن ابن آدم لا يشبع أبدا دون أن يحثى عليه التراب، ولا يملأ جوفه إلا التراب. فبكى ذو القرنين وقال: صدقت، لا جرم أني لا طلبت أثرا في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت، ثم انصرف راجعا. فلما توسط الظلمة وطئ وادي الزبرجد.

فقال من معه لما سمعوا الخشخشة تحت حوافر دوابهم: ما هذا أيها الملك؟

فقال: خذوا منه فإنه من أخذ منه ندم، ومن تركه ندم. فمنهم من أخذ، ومنهم من ترك. فلما خرجوا من الظلمة إذا وهو الزبرجد. فندم الآخذ كونه لم يكثر، والتارك كونه لم يأخذ. قال: فقال النبي ﷺ: «رحم الله أخي ذا القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد في المبتدأ ما ترك منه شيئا حتى أخرجه إلى الناس لأنه كان راغبا في الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد

في الدنيا لا حاجة له فيها» ثم رجع ذو القرنين إلى العراق وملك ملوك الطوائف كلها، ومات في طريقه قبل وصوله بشهر) (1)

ثانيا: وذكر هذه القصة أيضا مع بعض الاختلافات اليسيرة الإمام الحافظ / جلال الدين السيوطي - رحمه الله - في كتابه: [الدر المنثور في التفسير بالمأثور] كما يلي:

أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قال: كان لذي القرنين صديق من الملائكة يقال له زرافيل وكان لا يزال يتعاهده بالسلام فقال له ذو القرنين: يا زرافيل هل تعلم شيئا يزيد في طول العمر لنزداد شكرا وعبادة؟ قال: ما لي بذلك علم ولكن سأسأل لك عن ذلك في السماء فعرج زرافيل إلى السماء فلبث ما شاء الله أن يلبث ثم هبط فقال: إني سألت عما سألتني عنه فأُخبرت أن لله عينا في ظلمة هي أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد من شرب منها شربة لم يمت حتى يكون هو الذي يسأل الله الموت قال: فجمع ذو القرنين علماء الأرض إليه فقال: هل تعلمون أن لله عينا في ظلمة؟ فقالوا: ما نعلم ذلك فقام إليه رجل شاب فقال: وما حاجتك إليها أيها الملك؟ قال: لي بها حاجة قال: فإني أعلم مكانها قال: ومن أين علمت مكانها؟

قال: قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها: إن لله عينا خلف مغرب الشمس في ظلمة ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد من شرب منها شربة لم يمت حتى يكون هو الذي يسأل الله الموت فسار ذو القرنين من موضعه الذي كان فيه اثنتي عشرة سنة حتى انتهى إلى مغرب الشمس عسكر وجمع العلماء فقال: إني أريد أن أسلك هذه الظلمة بكم.

ثم ذكر مثل الحديث السابق.

وبناء على ما جاء في الروايات السابقة التي تصف لنا تفاصيل رحله النبي الملك ذي القرنين (عليه السلام) الأولى الكبرى في أقصى الشمال مما يلي القطب الشمالي إلى قوم مغرب

1- هذه الرواية وغيرها لا تصح وهي من الموضوعات وقد ذكر مثلها ابن عساكر والسيوطي وغيرهما.

الشمس في عالم جوف الأرض الداخلي للبحث عن عين الحياة (عين الخلد) التي من يشرب منها لم يمت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل الله تعالى الموت يمكن أن نعرف أن عين الحياة (عين الخلد) التي كان يبحث عنها النبي الملك ذو القرنين (عليه السلام) ووزيره سيدنا الخضر (عليه السلام) تقع في مدينة عدن جنة الله في أرضة ومهد الجنس البشري التي توجد ببلاد أمم وأقوام يأجوج ومأجوج تحت سطح الأرض بعالم جوف الأرض الداخلي..!![1]

والحديث السابق وما هو على شاكلته لا يصح وإنما ذكرناه للتنويه والتنبيه على ضعفه.

ونشرت جريدة الشرق الأوسط خبر عن باحث سعودي يؤكد وجود «عين الحياة» في الأحساء، أصدر كتابا سماه «الأسرار الخفية في معالم الأحساء الأثرية» وجاء في هذا الخبر ما يلي:

«يزعم باحث سعودي، أن «عين الحياة» التي شرب منها النبي الخضر عليه السلام، هي واحدة من العيون المائية الموجودة في واحة الأحساء.

ويرى الباحث إبراهيم بن حسين البراهيم، الذي خصص فصلا كاملا عن وجود عين الحياة في واحة الأحساء، في كتابه «الأسرار الخفية في معالم الأحساء الأثرية»، أن البحث عن «عين الحياة» استغرق منه وقتا طويلا من البحث والتدقيق، داعما ذلك بعدد كبير من الأحاديث والروايات وآيات من القرآن الكريم.

وقال البراهيم في حديث لـ «الشرق الأوسط»، إن النتيجة التي توصل إليها، أن «عين الحياة» هي الآن المعروفة بـ«عين الخدود»، حيث اشتق اسمها، من خدد، أحد أولاد نبي الله عاد، كما يشير، وتعود العين إلى العام 1800 قبل الميلاد، مبينا أن «عين الخدود» هي الأقرب لأن تكون «عين الحياة»، وذلك لعدة أمور، والتي من أهمها موقعها الاستراتيجي، حيث كانت تحيط بها 60 عينا شرق الهفوف، وكانت إلى وقت

1- نقلاً عن كتاب: قارة اطلانتس وجنة عدن بعالم جوف الأرض الداخلي، الباحث، أسامة حامد مرعي، وما ذكره الباحث يقع على مسؤوليته فلا يوجد شيء اسمه عين الخلد أو عين الحياة.

قريب كلها جارية، كذلك مكانتها من بين أكثر 400 عين تنبع في أراضي الجزيرة العربية، كما أنها تعتبر أحد أكبر أربعة ينابيع للمياه في الأحساء.

وانطلق البراهيم في بحثه، في تحديد موقع «عين الحياة» التي تحمل سرا وهو إحياء الأموات، كما تذكر المصادر، من خلال وجود الخضر بطل القصة في منطقة الأحقاف (الربع الخالي) التي تقع بين عمان (صحار) واليمن (حضرموت)، مشيرا من خلال الأدلة إلى أن الخضر هو أحد أبناء هذه البلاد (الأحقاف) بمعنى أنه قد ولد في إحدى مناطقها وهي الآن المعروفة بالأحساء أو حضرموت أو غيرهما. حيث إن الربع الخالي توجد أجزاء كبيرة منه في أرض الأحساء، وتمتد بها عن طريق رمال يبرين.

ويؤكد البراهيم، أن الرواية التي دعا بها ذو القرنين أصحابه إلى مكان تنتشر به العيون هي أرض الأحساء لوجود أكثر من 360 عينا متفرقة، حيث اكتشف الخضر العين في قصة مشهورة، والذي كان ضمن 360 رجلا، توزعوا على العيون الموجودة في المكان في ذلك الوقت.

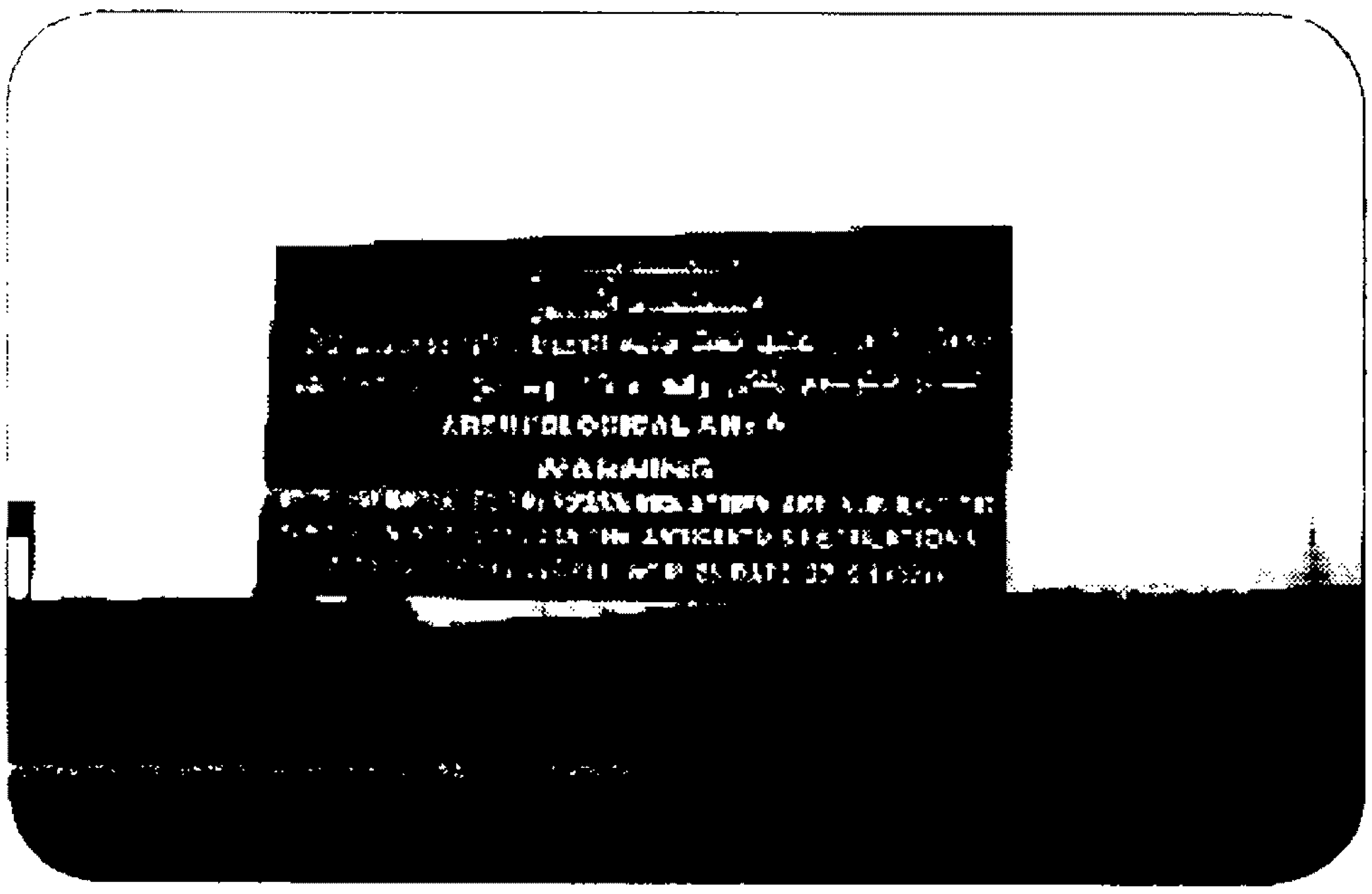
ويقول البراهيم، إن جميع الأدلة والبراهين، تعزز أن تكون أرض الأحساء مسرحا للقصة التي دارت فصولها بين ذي القرنين والخضر للبحث عن «عين الحياة»، وذلك لوجود الخضر في أرض الأحقاف، كذلك ما دلت عليه الروايات من وجود عين الحياة في القطعة التي بين المغرب والجنوب من الأرض، وهذا ما ينطبق على هذه المنطقة (الأحقاف) فالأحساء هي أكثر الأراضي الملائمة والمطابقة لأن تكون العيون 360 هي المشار إليها. ويضع البراهيم في كتابه المكون من (434 صفحة) عشرة فصول متنوعة، تتحدث عن المدن والقرى، والحصون والقصور والقلاع والأبراج، والعيون والآبار، والجبال والتلال، والمساجد، والأسواق، ومعالم متنوعة، والمكتشفات الأثرية، والتراث العلمي والأدبي، وعين الحياة في الأحساء وفك أسرار مجمع البحرين، وعجائب الأحساء السبع.

وتطرق البراهيم في كتابه إلى عدد من المعالم، التي يعتقد أنها تمثل عجائب الأحساء

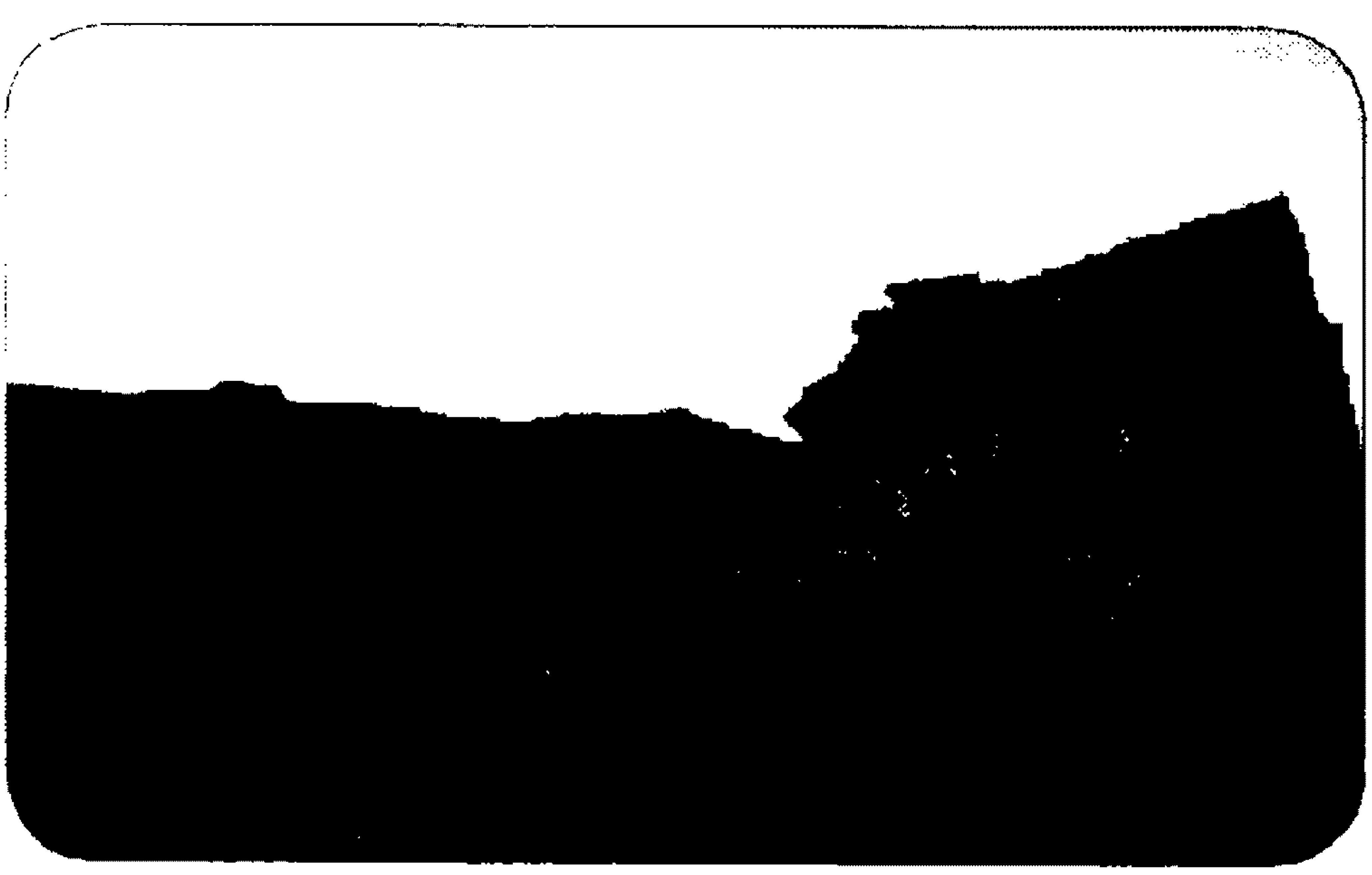
السبع، على غرار عجائب الدنيا السبع، التي دخلت الأحساء منافسة لها بين دول العالم، لما تحمله من إثارة ودهشة وإبهار من حيث البناء والمكونات والطبيعة، وهي جبل الشبعان (القارة)، ومدينة الجرهاء: وهي مدينة مفقودة ويرجح أكثر العلماء أنها تقع بالقرب من الساحل شمال العقير، حيث تأسست قبل الميلاد على يد الكلدانيين الذين قدموا إليها من بابل، كذلك حصنا المشقر والصفا وهما حصنان عظيمان لعبد القيس في هجر، ونهر محلم، وآثار منطقة جواثا، وعين نجم، وقصر إبراهيم.

ودعا البراهيم في آخر كتابه إلى المقارنة بين المعالم الأثرية في مصر وفي منطقة الأحساء، حيث يقول البراهيم، إن أوجه الشبه كبيرة بين مصر والأحساء، فقد جاء كثير مما تم تشييده وبناؤه مشابها لبعضهما البعض، من ناحية المعالم الأثرية والجبال والحصون والأسواق الشعبية القديمة.(1)

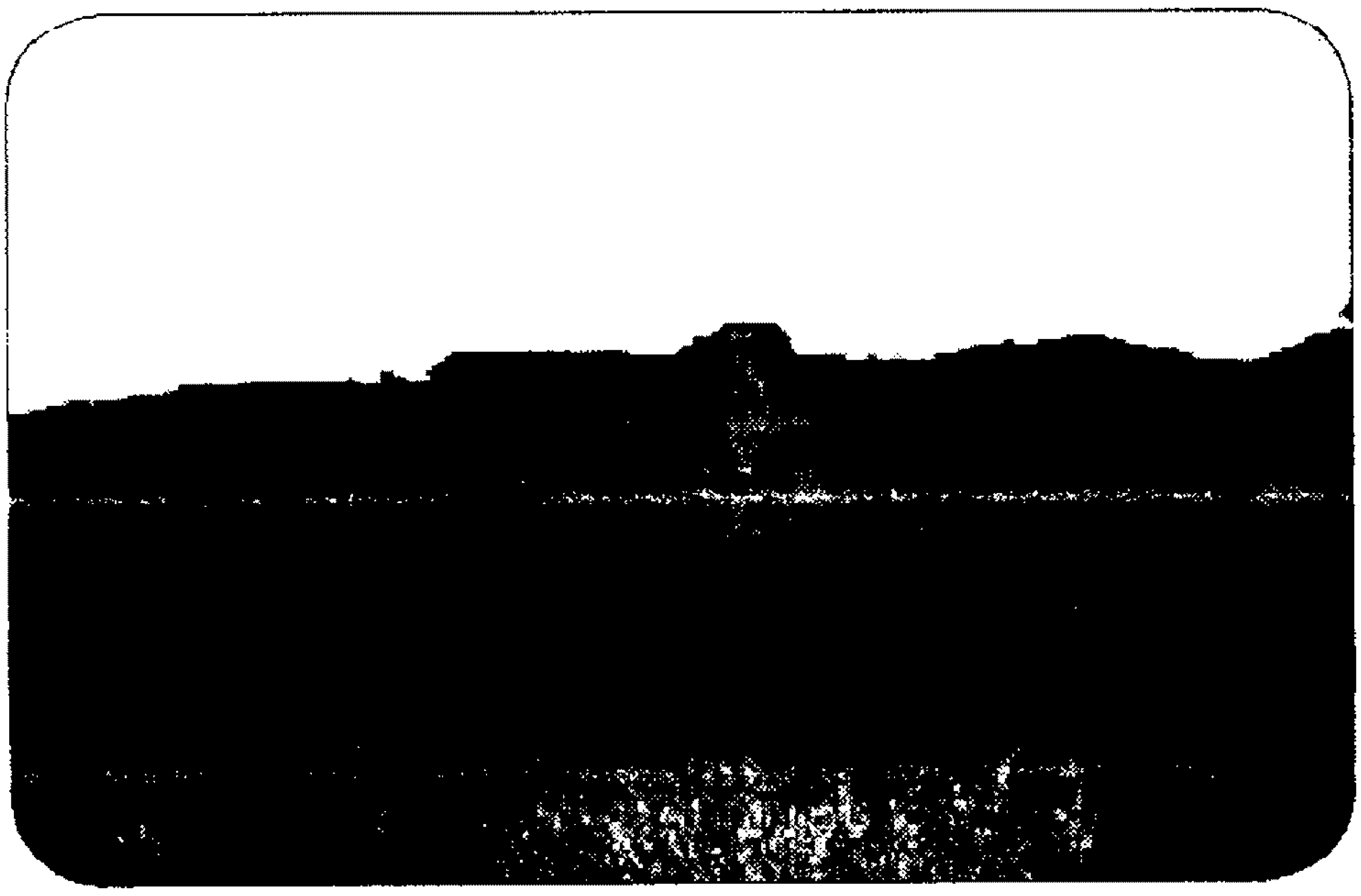
1- جريدة الشرق الأوسط على الإنترنت العدد 10834، يوم الأحد 23 رجب 1429هـ - 27 يوليو 2008م.



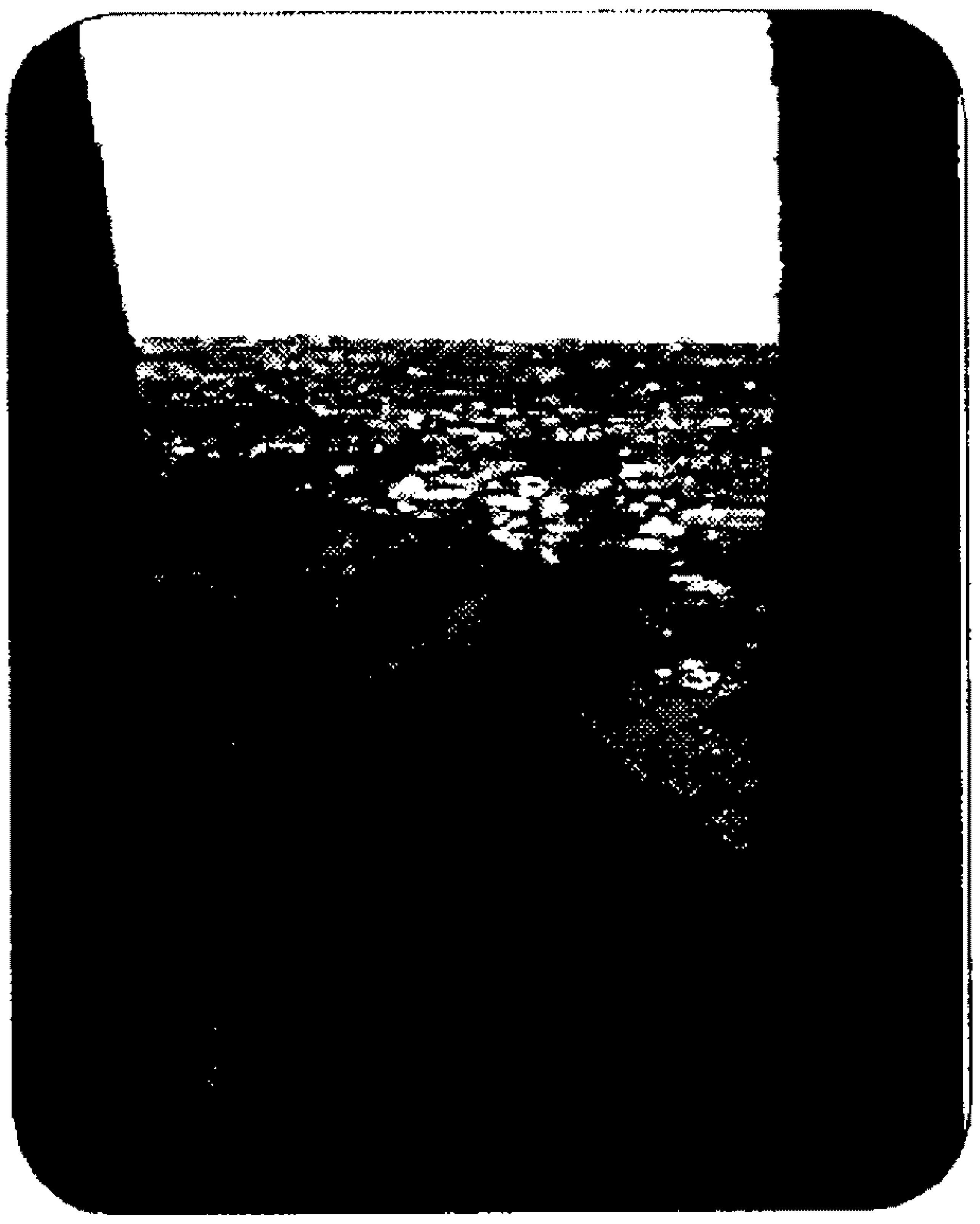
المنطقة التي يقال إن بها قبر ذي القرنين بعسير بالسعودية.



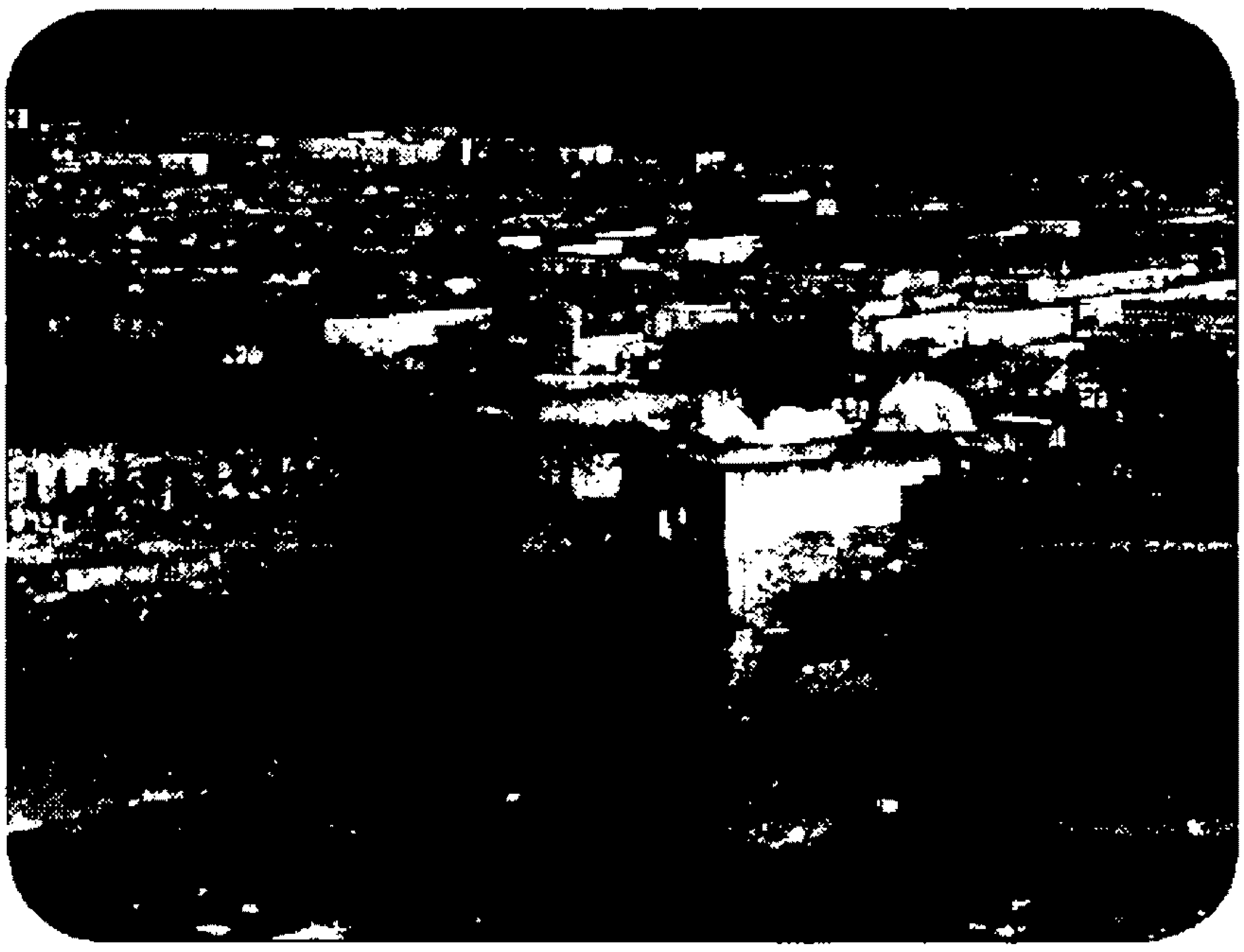
المكان الذي يقال إن به قبر الملك ذي القرنين.



بقايا آثار قبر ذي القرنين.



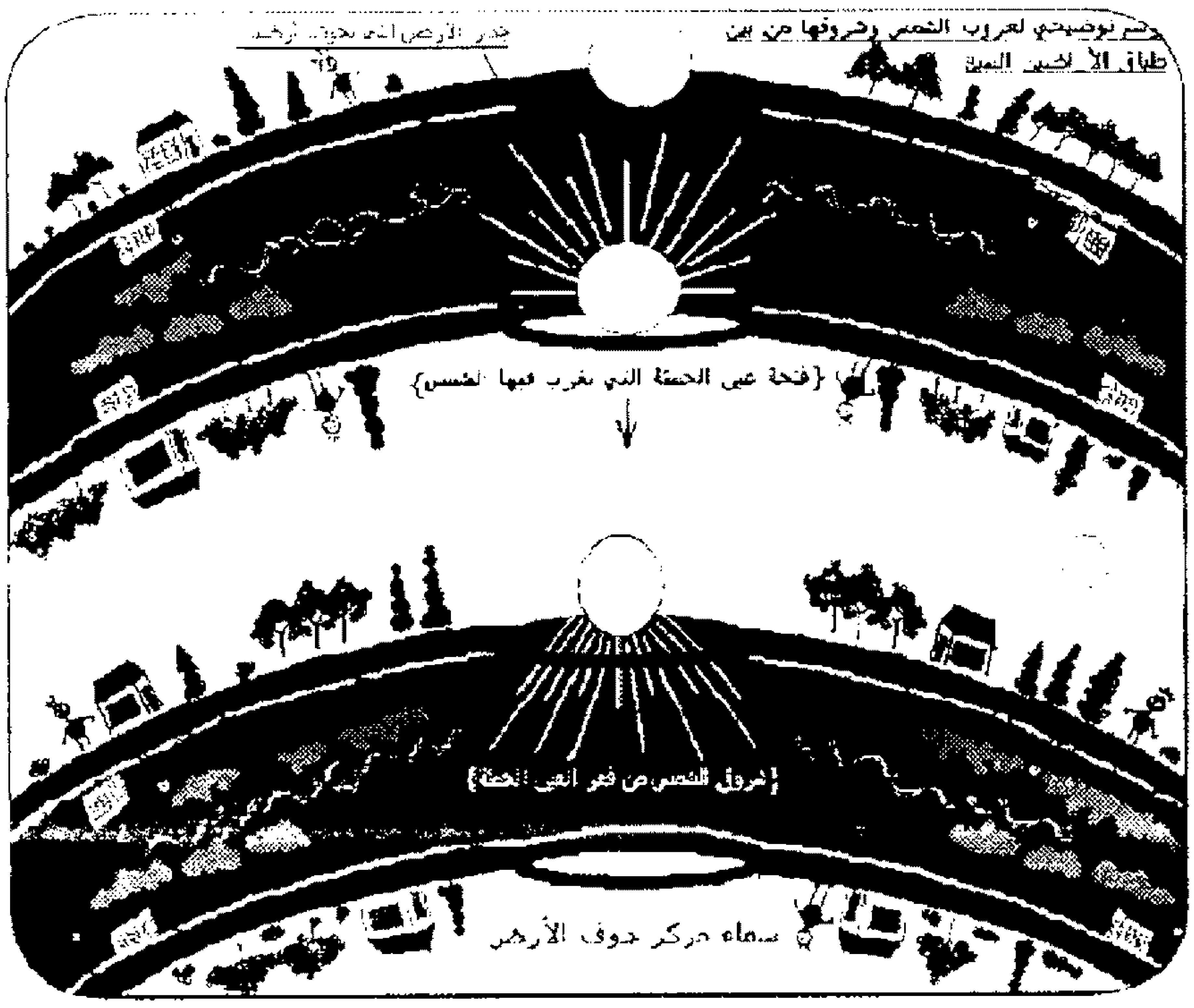
منظر لبوابة قزوين بمدينة دربند بجمهورية داغستان الإسلامية التي يرى الكثيرون من العلماء والمفسرين والمؤرخين العرب القدامى أنها ردم ذي القرنين.



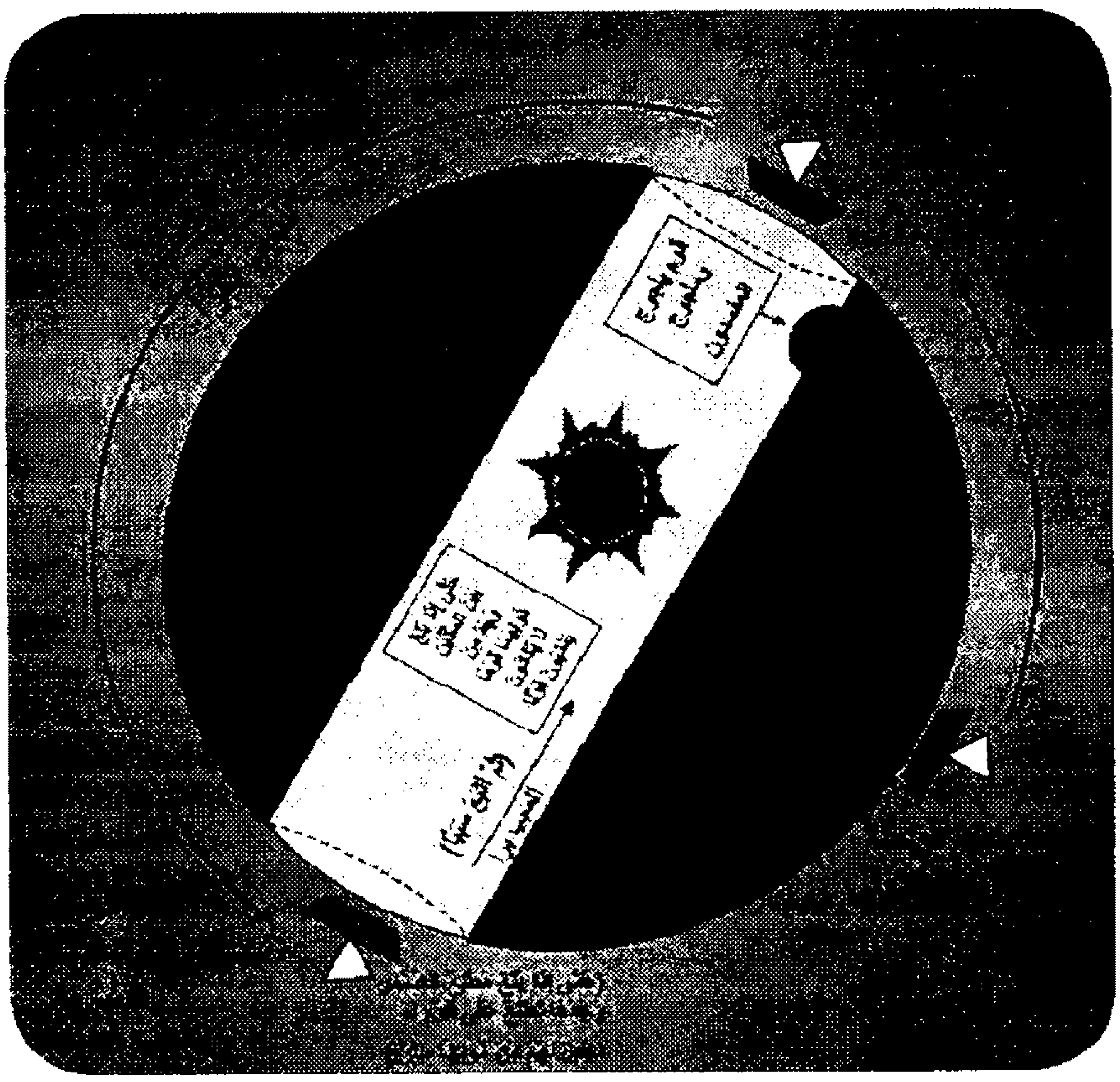
صورة آخرى لبوابة قزوين بمدينة دربند بجمهورية داغستان الإسلامية التي يرى الكثيرون من العلماء والمفسرين والمؤرخين العرب القدماى أنها ردم ذي القرنين.



رسمة في مخطوطة فارسية قديمة من القرن السادس عشر تصور عملية بناء ردم ذي القرنين.



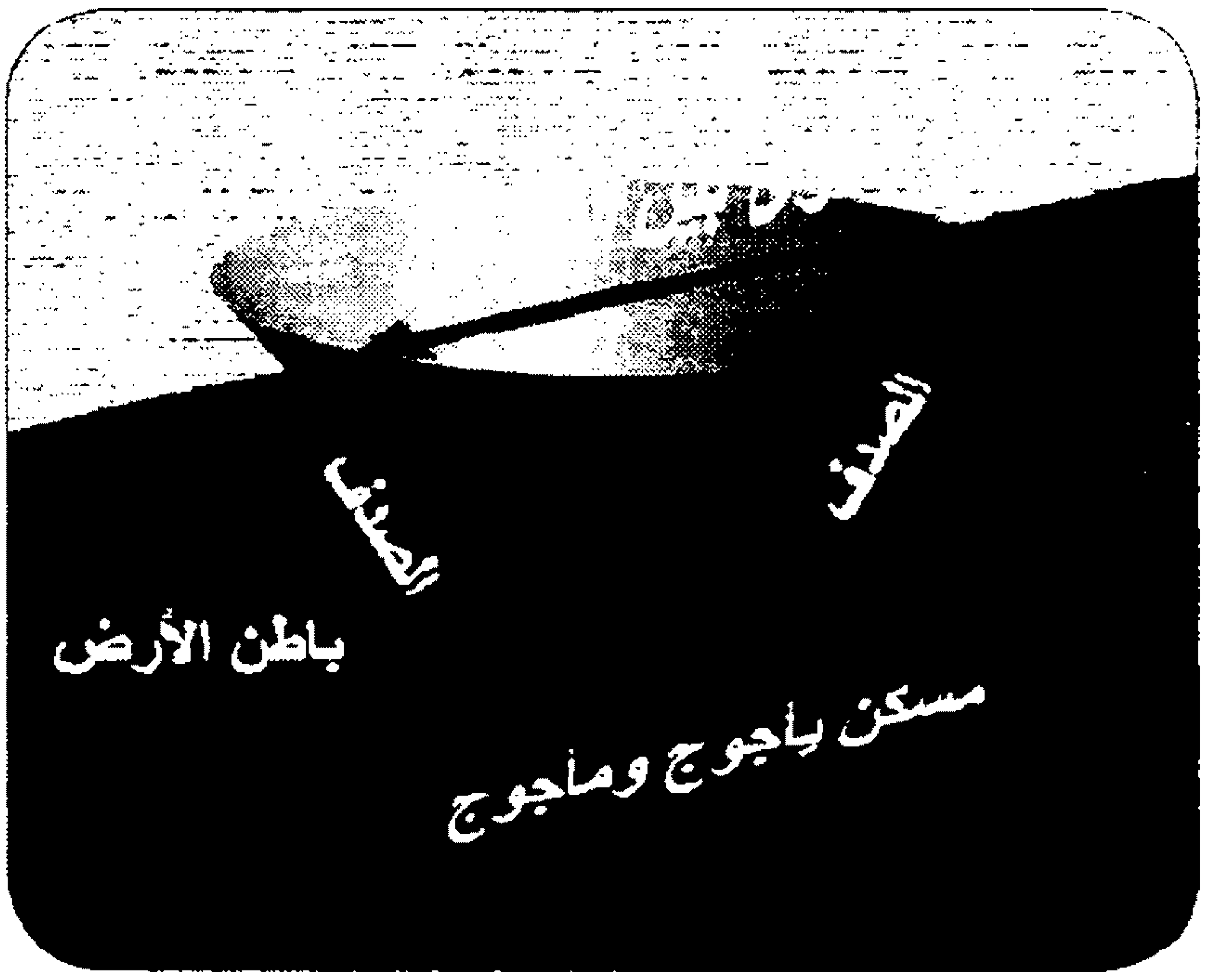
رسم توضيحي لكيفية طلوع وغروب شمس عالم جوف الأرض الداخلي عبر فتحات العيون الحمئة التي توجد فيها بين طباق الأرضين الستة ببلاد يأجوج ومأجوج بعالم جوف الأرض الداخلي.



شرح تفصيلي لرحلات النبي الملك ذي القرنين عليه السلام إلى أقوام مغرب ومطلع الشمس الداخلية المركزية بعالم جوف الأرض الداخلي كما يرى البعض أن ذا القرنين دخل عالم جوف الأرض.



زبر الحديد أو الحجارة الحديدية التي بُني بها الردم.



رسم يوضح كيف ساوى النبي الملك ذو القرنين ﷺ بين الصدفين وهما الجانبان المتقابلان للنجوة التي كانت تؤدي إلى داخل باطن الأرض المجوفة.

كلمة أخيرة

هكذا مضت رحلتنا مع الملك ذي القرنين سريعاً لم نطل عليكم، وحاولنا قدر الإمكان الاختصار مع عدم الإخلال بالموضوع، فما قيل عن ذي القرنين كثير جدًّا، لكن معظمه من الإسرائيليات والأساطير، وقد حاولنا جاهدين أن نعرض لكم سيرته من خلال ما ذكره أهل التواريخ وما صح عنه والإشارة إلى ما هو ضعيف وموضوع.

ولم نشأ أن نطيل في ذكر يأجوج ومأجوج حيث قد تحدثنا عنهم بالتفصيل في كتابنا «يأجوج ومأجوج من البدء إلى الفناء»(1).

وخلاصة سيرة ذي القرنين أنه نموذج للحاكم العادل القوي الذي استمد قوته من الإيمان بالخالق العظيم الذي أعطاه الأسباب وأن هذا الملك هو عربي من الجزيرة العربية من العرب القدماء العرب العاربة، وقد تشبه به بعض الملوك الآخرين الذين فتحوا بلاد العالم ولكنهم كانوا على الشرك بالله أمثال الإسكندر الأكبر المقدوني أو حتى كورش أو غيرهما.

نسأل الله أن ينتفع بهذا العمل كل من يقرأه وأن يكون في ميزان حسناتنا يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

المؤلف

١ - الناشر: دار الكتاب العربي.

أهم المراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- مسند الإمام أحمد.
- ذو القرنين القائد الفالح والحاكم الصالح - محمد خير رمضان يوسف.
- ذو القرنين وسد الصين - محمد راغب الطباخ - تحقيق وتعليق أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان.
- كورش العظم ذو القرنين - أبو الكلام آزار.
- أطباء الزمان - المسعودي.
- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ - القرماني.
- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير - د. رمزي نعناعة.
- الإسرائيليات في الغزو الفكري - د. عائشة عبدالرحمن.
- الأساطير والخرافات عند العرب - د. محمد عبدالمعبد خان.
- إحياء علوم الدين للغزالي.
- تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.
- الإشاعة لأشراط الساعة - محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
- تاريخ الأمم والملوك للطبري.
- البداية والنهاية - لابن كثير .
- البدء والتاريخ - المقريزي.
- تاريخ العرب قبل الإسلام - د. السيد عبد العزيز سالم.
- تفسير القرطبي.
- التبيان في تفسير القرآن - أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

- تاريخ اليعقوبي.
- يأجوج ومأجوج من البدء إلى الفناء - منصور عبدالحكيم.
- في ظلال القرآن - سيد قطب.
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير - لابن الجوزي.
- التيجان في معرفة ملوك آخر الزمان - لابن هشام.
- تنمية المختصر في أخبار البشر - عمر بن الوردي.
- ذيل كشف الظنون - إسماعيل باشا البغدادي.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف - أبو القاسم القشيري.
- الروض الأنف - السهيلي.
- السيرة النبوية لابن هشام.
- صحيح مسلم بشرح النووي.
- فتح الباري لشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني.
- صفة جزيرة العرب - الهمداني.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم - الآلوسي.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان - نظام الدين القمي النيسابوري.
- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري - العيني.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) - ابن خلدون.
- قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس - الثعالبي.
- الفِصل في الملل والأهواء والنحل - ابن حزم.
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير.
- لسان العرب - ابن منظور.
- المختصر في أخبار البشر - أبو الفداء.
- فتوح مصر وأخبارها - عبدالرحمن بن عبدالحكم.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي.
- المسالك والممالك - ابن خرداذبه.

- لغز الحضارة المصرية - د. سيد كريم.
- محاسن التأويل - القاسمي.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور - محمد بن إياس الحنفي.
- الملل والنحل - الشهرستاني.
- سيرة الإسكندر الأكبر - المؤرخ اليوناني كالستنيس - ترجمة مار يعقوب السروجي.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - المقريزي.
- دلائل النبوة - لأبي زرعة الرازي.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - ابن إدريس الحمودي الحنفي.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - لابن الجوزي.
- مفاهيم جغرافية في القصص القرآني - د. عبدالعليم عبد الرحمن خضر.
- تاريخ دمشق - لابن عساكر.
- أخبار عبيد بن شريه في أخبار اليمن - عبيد بن شريه الجرهمي.
- النجوم الزاهرة - للمسعودي.
- الإسكندر المقدوني - تيرانس راتيجان.
- البحر المحيط - أبو حيان.
- الأخبار الموفقيات - الزبير بن بكار.
- الكشف والبيان في تفسير القرآن - للثعالبي.
- أرسطو عند العرب - عبدالرحمن بدوي.
- الشفاء - لابن سينا.
- تفسير الكشاف - للزمخشري.
- فتح القدير - الشوكاني.
- تفسير البيضاوي.

الكاتب في سطور

- منصور عبدالحكيم محمد عبدالجليل.
- من مواليد القاهرة 1955.
- حاصل على ليسانس في الحقوق جامعة عين شمس 1978م.
- يعمل بالمحاماة والكتابة في الصحف والمجلات العربية والإسلامية له العديد من الإصدارات والأبحاث في الصحف والمجلات العربية والإسلامية واللقاءات على الفضائيات العربية وترجمت بعض كتبه للغة الإنجليزية ولغات أخرى.

وعدد الكتب التي صدرت له حتى عام 2013 (161) كتاباً متنوعاً أثْرَت المكتبة العربية والإسلامية.

من الكتب التي صدرت له:

- السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان.
- نهاية العالم وأشراط الساعة.
- عشرة ينتظرها العالم.
- تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود.
- يأجوج ومأجوج من البداية إلى الفناء.
- البداية فتن والنهاية ملاحم.
- واقتربت الساعة.
- أقدم تنظيم سري في العالم.
- العالم رقعة شطرنج.
- من يحكم العالم سرًّا؟
- أسرار الماسونية الكبرى.
- أوراق ماسونية سرية للغاية.

- الإمبراطورية الأمريكية - البداية والنهاية.
- العراق أرض الفتن والنبوءات.
- بلاد الشام أرض الأنبياء والنبوءات.
- بلاد الحجاز معقل الإيمان آخر الزمان.
- نيويورك وسلطان الخوف.
- معجزات الشفاء بالحجامة.
- طارد الجن.
- مواجهة الجن.
- موائد الشيطان.
- الأعشاب والجن.
- دعوة للزواج.
- عرش إبليس ومثلث برمودا.
- نهاية العالم قريباً.
- نهاية دولة إسرائيل 2022م.
- الحرب العالمية الثالثة قادمة.
- المهدي المنتظر.
- نهاية ودمار أمريكا وإسرائيل.
- شهداء الصحابة.
- نساء أهل البيت النبوي.
- زوجات الأنبياء والرسل.
- بنات الصحابة.
- النساء المبشرات بالجنة.
- النساء المبشرات بالنار.
- الفراسة في معرفة الآخرين.

- ازدراء وإيذاء الأنبياء.
- بيوت الرسول والصحابة حول المسجد النبوي.
- جبريل ﷺ أمين الوحي الإلهي.
- الشرق الأوسط في نبوءات الكتب المقدسة.
- المهدي في مواجهة الدجال.
- الحرب السابعة ونهاية اليهود.
- هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل.
- السفياني صدام آخر على وشك الظهور.
- إسرافيل وأهوال القيامة.
- مؤامرات وحروب صنعتها الماسونية.
- عزرائيل ملك الموت.
- حكومة الدجال الماسونية الخفية.
- مناسك الحج والعمرة.
- صلاح الدين المنقذ المنتظر.
- هلاك الأمم من قوم نوح إلى قوم عاد الثانية.
- جنكيز خان إمبراطور الشر.
- هولاكو مارد من الشرق.
- مالك خازن النار - النار وأهوالها.
- عرش إبليس ومثلث برمودا.
- هل الشعراوي متطرفاً يا إبراهيم.
- نهاية العالم قريباً.
- الحرب العالمية الثالثة قادمة.
- المهدي المنتظر.
- شهداء الصحابة.

- نساء أهل البيت.
- زوجات الأنبياء والرسل.
- بيوت الرسول وبيوت الصحابة حول المسجد النبوي.
- النساء المبشرات بالجنة.
- بنات الصحابة.
- المبشرات بالنار من النساء. (مترجم للإنجليزية).
- رضوان خازن الجنة.
- الحرب العالمية الأخيرة قادمة.
- أعمال يحبها الله.
- دولة فرسان مالطا وغزو العراق.
- القرين العدو الحقيقي للإنسان.
- الثالوث الغامض .. قارة أطلانتس ومثلث برمودا والأطباق الطائرة.
- عالم السحر والسحرة والمسحورين.
- الحياة الأخرى.
- أصحاب البروج في مواجهة أصحاب الكهوف.
- السلطان عبدالحميد الثاني آخر السلاطين المحترمين.
- تيمورلنك إمبراطور على صهوة جواد.
- مصطفى كمال أتاتورك ذئب الطورانية الأغبر.
- الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية.
- عمرو بن العاص - داهية العرب.
- خالد بن الوليد قاهر الأكاسرة والقياصرة.
- نهاية العالم قريباً.
- زوجات الرسول للأطفال.
- 100 قصة لرجال ونساء عفا عنهم الرسول ﷺ.

- اختبر معلوماتك الإسلامية.
- النساء المبشرات بالجنة.
- الموسوعة الإسلامية للنساء.
- التمهيد الأخير لظهور الدجال.
- هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه.
- السلطان قطز وعين جالوت.
- معاوية بن أبي سفيان.
- الشفاء بالتمر.
- السواك وفوائده.
- الشفاء بالأحجار الكريمة.
- بر الوالدين وعقوقهما وصلة الأرحام.
- 150 قصة عن بر الوالدين وعقوقهما وصلة الأرحام.
- أبناء في الجنة وآباء في النار.
- يوم الحشر وأهوال القيامة.
- عالم الملائكة الكرام.
- مشاهير وعظماء اغتالتهم الماسونية.
- هاروت وماروت بين الحقيقة والخيال.
- الماسونية والثورات الشعبية بين الحقيقة والافتراء.
- جنود الله من البعوضة إلى الفيس بوك.
- الصحابة تسأل والله تعالى يجيب.
- الشرق الأوسط في نبوءات الكتب المقدسة.
- مثلث برمودا مقبرة الأطلنطي.
- حوار مع صديقي عن الماسونية.
- قصة أبينا آدم من الطين إلى الجنة.

- الدولار الأمريكي الشفرة المقدسة للنظام العالمي الجديد.
- لعبة المتنورين والنظام العالمي الجديد.
- آل روكفلر تجار الموت وأعوان الدجال.
- الدولة العثمانية وسلاطين بني عثمان.
- طوفان نوح العظيم.
- السلطان سليمان القانوني وحريم السلطان.
- الشام على أعتاب النهاية.
- عبدالله بن سبأ مؤسس الماسونية في الإسلام.
- السلطان العاشق .. سليمان وهويام.
- الملك النبي سليمان ﷺ.
- تركيا من الخلافة إلى الحداثة.
- الملك ذو القرنين نموذج الملك العادل.
- القبيلة الثالثة عشرة تحكم العالم.
- عراب الإعلام (مردوخ).
- حديث الفتن والثورات.
- الملك النمرود أول جبابرة الأرض.
- نبوخذ نصر قاهر اليهود.
- المؤامرة الكبرى على العالم.
- الكشكول.

وكتب أخرى متنوعة تطلب جميعها من دار الكتاب العربي (دمشق - القاهرة) والمكتبات الكبرى.

الفهرس

إلى أستاذي الذي لم أقابله يوما

إلى العراب

صانع الضياء

إلى العزيز الذي رحل فجأة

سنفتقدك دائما

إلى أحمد خالد توفيق

رحمك الله وغفر لك

وآنس وحشتك